

# الخطب والمواعظ الباهرة في ذكر الموت وأهوال المقبرة

تأليف

الشيخ / السيد مراد سلامة





الدار العالمية للنشر والتوزيع

مُحْفَوظَةٌ  
جَمِيعُ حَقُوقِ

لدار العالمية للنشر والتوزيع

٣١ شارع الصالحي - محطة مصر - الإسكندرية

جمهورية مصر العربية

شكر و اهداء





## بسم الله الرحمن الرحيم المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمد عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾

[آل عمران ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾

[النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب ٧٠-٧١].

أما بعد؛

فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار وبعد

فان الله تعالى يقول قال الله - عز وجل ﴿ أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [النحل: ١٢٥].

ومن أعظم المواعظ التي تؤثر في القلوب فتلين، وفي العيون فتبكي، وفي الجلود فتقشر، الموت والقبر.

## كفى بالموت واعظا:

وأبي واعظ أبلغ من هذا الواعظ؟ فبينما ترى الإنسان وجهها مضيئا وجسدا حيا وعقلا مدبرا، إذا بالموت ينزل به فيذبل ذلك الوجه المضيء ويموت الجسد الحي، ويتحول الإنسان إلى جثة هامدة لتوارى في التراب، فينبغي للعاقل الحازم أن يتذكر تلك اللحظات ولا يغتر بها هو فيه من العافية والسلامة، فالموت يأتي بغتة.

وصدق من قال:

كل ابن أنثى وإن طالت سلامته يوما على آلة حدباء محمول

قال الحسن البصري رحمه الله: فضح الموت الدنيا، فلم يترك لذي لب فرحا، والموت على ما فيه من أهوال وشدائد، إلا أنه باب يدخل منه إلى غيره، فإما نعيم وإما جحيم، فليستعد العاقل لتلك اللحظات، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى.

وهذا كتاب جمعت فيه بعض الخطب التي ألقيتها في السنوات الماضية وكان سبب تدوين وطباعة هذا الكتاب يرجع إلى أمرين:

الأمر الأول: أنه يؤلني ويؤلم كل مسلم أن يجد بعض الدعاة والخطاب يعتمدون في حديثهم عن الموت على الأحاديث الضعيفة والموضوعة بحجة أن الحديث الضعيف يعمل به في فضائل الأعمال فتجد أن الخطبة والموعظة قد جمعت كل غث من الأحاديث الموضوعة والنبي ﷺ حذرنا من روايتها كما في حديث عن سمرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((من حدث عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين)).<sup>(١)</sup>

وقد ذهب جماعة من أهل العلم إلى كفر من تعمد الكذب عليه ﷺ.

١ - أخرجه: مسلم في مقدمة " صحيحه " ٧/١ .

قال الحافظ ابن حجر في الفتح: (فإن قيل: الكذب معصية إلا ما استثنى في الإصلاح وغيره والمعاصي قد توعد عليها بالنار فما الذي امتاز به الكاذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوعيد على من كذب على غيره؟

السبب الثاني: أن يكون هذا الكتاب مادة علمية جاهزة للسادة الأئمة الدعاة ينهلون منها وتريحهم من عناء البحث والاطلاع وخاصة أن الموت يأتي فجأة وربما تكون حالة وفاة يوم الجمعة فتساعده هذه المادة إلى الاطلاع عليها بيسر وسهولة فاللهم اجعل عملي هذا خالصا لوجهك الكريم واجعله زاداً لي ولكل مسلم يرجو أن يكون من أولي الألباب.

وصلى الله وسلم على محمد وعلى اله وصحبه وسلم

تأليف

أبو أسماء / السيد مراد سلامه

محافظة البحيرة / مركز شبراخيت قرية / فرنوى

[hamam411@gmail.com](mailto:hamam411@gmail.com)



## (١) أُولَئِكَ الْأَكْيَاسُ

### الخطبة الأولى

الحمد لله الذي أعطى الأمان لمن شكر  
سبحانه سبحانه رب عظيم قد على فوق الخلاق واقتدر  
سبحانه سبحانه عنت الوجوه لجاهه واستسلمت فطر الحياة لأمره لما أمر  
فأتم فيض نعيمه للمؤمنين العاملين لدينهم جنات عدن عزها نور الجلال أفاءه  
أمر الذي في كل أمر قد أمر  
وأضاف من مدد الخلود ما غاب عن وعي المسامع والبصر  
من كل فيض ناعم يسمو على كل الفكر  
ويفوق كل تصور عرفته أذهان البشر  
واشهد أن لا إله إلا الله واحد أحد فرد صمد لا شريك له في ملكه ولا سند  
سبحانه سبحانه جعل الحياة مطية مطواعة للمؤمنين المحسنين لأنهم قد وحدوا  
الله العظيم المقتدر  
ومشوا على درب الهدى لما بدى في المبتدى نور الذي أحيا الفطر  
ونشهد أنه رسول الله من جاء فخرا للحياة يؤمها نحو العلا حتى علت رغم  
الحفر

رغم الصعاب تقدمه تمحو الظلام وتنتصر  
بالعلم ترسم للحياة سبيلها من أجل إسعاد البشر

## العنصر الأول: من هم الأكياس؟

أحباب رسول الله ﷺ نعيش في هذا اللقاء ونحن نودع حبيبا لقلوبنا ونذهب به إلى معسكر الأموات لنواريه التراب مع الأكياس فمن هم؟

الأكياس جمع كيس والكيس هو العقل الذي يميز به المسلم بين الحق والباطل والنور والظلام والنافع والضار

وأكيس الناس في ميزان الشرع هو من أكثر من ذكر الموت وعمل لما بعده

فَعَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّهُ قَالَ: كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَجَاءَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَفْضَلُ قَالَ: أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا قَالَ فَأَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَكْبَسُ قَالَ: أَكْثَرُهُمْ لِلْمَوْتِ ذِكْرًا وَأَحْسَنُهُمْ لِمَا بَعْدَهُ اسْتِعْدَادًا أَوْلَيْكَ الْأَكْيَاسُ.<sup>(١)</sup>

فتك هي همهم لذا حثكم رسول الله ﷺ على الإكثار من ذكر الموت قبل الفوت: عن أبي هريرة قال: كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول: (أكثرُوا من ذكر هاذم اللذات)<sup>(٢)</sup>

## العنصر الثاني: حقارة الدنيا

أحباب رسول الله ﷺ إن الأكياس نظروا إلى حقائق الأمور فعلموا أن الدنيا مهما عظمت فهي حقيرة ومهما طالت في قصيرة

جاء في كتاب "قصر الأمل"؛ لابن أبي الدنيا أن النخعي قال: "يا أيها الناس، إن الدنيا جُعِلت قليلاً، وإنه لم يبق إلا قليلاً من قليل"<sup>(٣)</sup>

١ - أخرجه ابن ماجة (٤٢٥٩) الألباني: حسن، الصحيحة (١٣٨٤).

٢ - أخرجه أحمد "٢/٢٩٢-٢٩٣" والترمذي "٤/٤٧٩ والنسائي "٤/٤" وابن ماجة "٢/١٤٢٢" "٤٢٥٨"

٣ - قصر الأمل لابن أبي الدنيا (ص: ١٢٤)

عمر الدنيا مهها طال فهو قصير

والله لو عاش الفتى في عمره  
متلذذا فيها بكل لذیذة  
ألفا من الأعوام مالك أمره  
متنعما فيها بنعمى عصره  
منها بأول ليلة في قبره  
ما كان ذلك كله في أن يفي

فحذار عباد الله من الركون إلى الدنيا و الاغترار بزخرفها فلم يبق منها إلا اقل  
القليل تأملوا عباد الله إلى قول نبيكم ﷺ وهو يصف لنا حال الدنيا التي عليها  
نتقاطع نتقاتل

أخرج ابن أبي الدنيا " في " قصر الأمل " عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال:  
خرج علينا رسول الله ﷺ والشمس على أطراف السَّعَف، فقال: «ما بقي من الدنيا  
إلا مثل ما بقي من يومنا هذا إلى ما مضى منه»؛<sup>(١)</sup>

عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: مر بنا رسول الله ﷺ ونحن نصلح خصا  
لنا، فقال: «ما هذا؟» قلنا: خصا لنا، وهي فنحن نصلحه، قال: فقال: «أما إن الأمر  
أعجل من ذلك»<sup>(٢)</sup>.

مرّت سنون بالوِصال وباهتنا  
ثم اثنتُ أيام هجرٍ بعدها  
فكأنها من قصرها أيام  
ثم انقضت تلك السنون  
فكأنها من طولها أعوام  
وأهلها فكأنها وكأنهم أحلام

ولقد حثَّ النبي ﷺ على قصر الأمل:

وهذا ما نراه جلياً في الحديث الذي أخرجه البخاري عن ابن عمر - رضي الله

١ - تخريج أحاديث إحياء علوم الدين (٦ / ٢٤٩١) قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل

بإسناد حسن والترمذي نحوه من حديث أبي سعيد وحسنه

٢ - تخريج أحاديث إحياء علوم الدين (٥ / ٢٢٩٦) قال العراقي: رواه أبو داود والترمذي وصححه

وابن ماجة انتهى.

عنها-قال: «أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي، فقال: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل»، وفي رواية: «فإنك يا عبد الله لا تدري ما اسمك غدًا».

وكان ابن عمر -رضي الله عنهما- يقول: "إذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وخذ من صححتك لمرضك، ومن حياتك لموتك"،<sup>(١)</sup> إنها أيام قلائل.

فيكفي من الطعام ما سد الجوعة ومن الثياب ما ستر العورة  
وما هي إلا جوعَةٌ قد سددها وكل طعام بين جنبيٍّ واحدٌ  
أقول هذا القول، وأستغفر الله العظيم الكريم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل  
ذنب؛ فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

### الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين.  
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله،  
صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما.

أما بعد:

### العنصر الثالث: منافع ذكر الموت

إخوة الإسلام: إن ذكر الموت له منافع كثيرة وفوائد جلييلة ذكرها لنا الأفاضل من  
العلماء وهاكم يا رعاكم الله بيانها

### (١) قطع أسباب الغفلة بتقصير الأمل:

فإن طول الأمل أكبر أسباب الغفلة فالموت لا يترك فقيرا فقره ولا غنيا لغناه "

١ - أخرجه البخاري (٢٣٥٨/٥، رقم ٦٠٥٣). وأخرجه أيضًا: ابن حبان (٤٧١/٢، رقم ٦٩٨)،  
والبيهقي (٣٦٩/٣، رقم ٦٣٠٤).

وقد ذكروا عن ابن السماك أنه قال: (بينما صياد في الدهر الأول يصطاد السمك، إذ رمى بشبكته في البحر، فخرج فيها جمجمة إنسان، فجعل الصياد ينظر إليها ويبكي ويقول: عزيز فلم تترك لعزك!! غني فلم تترك لغناك!! فقير فلم تترك لفقرك!! جواد فلم تترك لجودك!! شديد لم تترك لشدتك!! عالم فلم تترك لعلمك!!). يردد هذا الكلام ويبكي. (١)

## (٢) يبحث على الاستعداد وحسن العمل:

أخي المسلم إن من أكثر من ذكر الموت أحسن الاستعداد ليوم المعاد قال أبو علي الدقاق: من أكثر من ذكر الموت أكرم بثلاثة أشياء: تعجيل التوبة، وقناعة القلب، ونشاط العبادة. ومن نسي ذكر الموت عوقب بثلاثة أشياء: تسويق التوبة، ترك الرضا بالكفاف، والتكاسل في العبادة. (٢)

عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ حين نزلت هذه الآية {فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام} قال إذا أدخل الله النور القلب انشرح وانفسح، قالوا: فهل لذلك من آية يعرف بها قال: الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزول الموت. (٣)

قال أبو عبد الرحمن السلمي في مرضه: كيف لا أرجو ربي وقد صمت له ثمانين رمضان؟! (٤).

وختم آدم بن أبي إياس القرآن وهو مسجى للموت ثم قال: بحبي لك إلا رفقت بي في هذا المصرع، كنت أؤملك لهذا اليوم، كنت أرجوك، لا إله إلا الله. ثم

١ - روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص: ٢٨٦) ١

٢ - التذكرة للقرطبي (ص: ٨)

٣ - سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة (٢/ ٣٨٣) أخرجه ابن جرير (١٢)

١٣٨٥٥ / ١٠٠ /

٤ - المحضرين (ص: ٢٠٦)

قضى رحمه الله. (١)

وكان يزيد الرقاشي يقول لنفسه: ويحك يا يزيد من ذا يصلى عنك بعد الموت؟ من ذا يصوم عنك بعد الموت؟ من ذا يترضى عنك بعد الموت؟ ثم يقول: من كان الموت طالبه، والقبر بيته، والتراب فراشه، والدود أنيسه، وهو مع هذا ينتظر الفزع الأكبر كيف يكون حاله؟ (٢)

### (٣) الزهد في الدنيا وعدم الاغترار بها:

ومن أكثر من ذكر الموت زهد في زخارف الدنيا واستوى عنده ذهبها مع حذفها قال التميمي: شيطان قطعاً عني لذة الدنيا: ذكر الموت، وذكر الموقف بين يدي الله تعالى. (٣)

وقال الحسن: إن هذا الموت أفسد على أهل النعيم نعيمهم، فالتمسوا عيشاً لا موت فيه.

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام: مَنْ زَهَدَ فِي الدُّنْيَا هَانَتْ عَلَيْهِ المِصِيبَاتُ، وَمَنْ ارْتَقَبَ المَوْتَ سَارَعَ فِي الخَيْرَاتِ

عن إبراهيم بن الأشعث، قال: سمعت الفضيل بن عياض، يقول: لو أن الدنيا بحذافيرها عرضت عليّ حلالاً لا أحاسبُ بها في الآخرة، لكُنتُ أفذرها كما يقدر أحدكم الجيفة إذا مرَّ بها أن تُصيب ثوبه قال وهب بن منبه: قرأت في بعض الكتب: الدنيا غنيمة الأكياس، وغفلة الجهال، لم يعرفوها حتى أخرجوا منها، فسألوا الرجعة فلم يرجعوا عن موسى بن عبيدة الربذي، أن لقمان، قال لابنه: يا بني إنك استدبرت الدنيا منذ يوم نزلتها، واستقبلت الآخرة، فأنت إلى دار تقرب منها أقرب

١ - الثبات عند الممات (ص: ١٥٩)

٢ - العاقبة في ذكر الموت (ص: ٤٠)

٣ - التذكرة للقرطبي (ص: ٨)

منك إلى دار تباعد عنها<sup>(١)</sup>

#### (٤) يردع عن المعاصي:

فمن اعتقد أن الموت يخطفه في أي لحظة هل يجرؤ على المعصية. خصوصا إذا علم أن من عاش على شيء مات عليه، ومن مات على شيء بعث عليه. فهل يرضى أن يبعث يوم القيامة وهو مقيم على معصية الله تعالى فيفضح بين الخلائق؟!

#### (٥) الرضا على كل حال:

فمن كان في ضيق فذكر الموت وسعه عليه، ومن كان في سعة تدعوه للبطر والكبر فذكر الموت ضيقها عليه، ومن أصابته مصيبة فتعزى بالموت هانت عليه مصيبته، ولذلك قالوا:

اصبر لكل مصيبة وتجد واعلم بأن المرء ليس مخلد

من لم يصب ممن ترى بمصيبة هذا سبيل لست فيه بأوحد

وقال الشافعي يعزي رجلا في ميت له:

إننا نعزيك لا أنا على ثقة أنا نعيش ولكن سنة الدين

فلا فالمعزى سيبقى بعد ميته ولا المعزى وإن عاشا إلى حين

#### (٦) دواء قسوة القلب:

وقسوة القلب داء عضال وله في النفس علامات وهي:

\* لا نشعر بالخشوع في صلاتنا وعبادتنا.

\* عدم التأثر والتباكي عند تلاوة القرآن.

\* عدم التورع عن الشبهات في المعاملات

---

١ - الزهد لابن أبي الدنيا (ص: ٨٠)

\* الظلم والاعتداء على حقوق الآخرين.

\* الجفاء وسوء الظن بين الإخوان.

\* انتشار القطيعة بين الأسر.

أخي السلم إن مما يلين القلوب ويذيب قساوتها ذكر الموت وتشجيع الجنائز فاذا  
أردت عينا مدرارة وقلبا خشعا فأكثر من ذكر هادم

قال أبو الدرداء من أكثر ذكر الموت قل فرحه وقل حسده

ويقول سعيد بن جبير رحمه الله: لو فارق ذكر الموت قلبي لخشيت أن يفسد علي  
قلبي.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر  
الحكيم.

\*\*\*

## (٢) لماذا يكره ابن آدم الموت؟

### الخطبة الأولى

الحمد لله لم يزل عليًا، ولم يزل في علاه سمياً، قطرة من بحر جوده تملأ الأرض  
ريًا، نظرة من عين رضاه تجعل الكافر وليًا، الجنة لمن أطاعه ولو كان عبدًا حبشيًا  
والنار لمن

عصاه ولو شريفًا قرشيًا، أنزل على نبيه ومصطفاه قولاً بهياً {تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي  
نُورِثُ مَنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا} [مريم: ٦٣]

وكم لله من لطف خفي

وكم أملٌ تساق به صباحا

وكم يسر أتى من بعد عسر

إذا ضاقت بك الأحوال يوما

ونصلي ونسلم على سيدنا محمد ﷺ

جاءت له الدنيا فأعرض زاهدا	يبغي من الأخرى المكان الأرفعا
من ألبس الدنيا السعادة حلّة	فضفاضة لبس القميص مرقّعا
وهو الذي لو شاء نالت كفه	كل الذي فوق البسيطة أجمعا
مسك به اختتم المهيمن رسله	وأبان أمر الدين والدنيا معا
نادى إلى الحسنى فلما أعرضوا	واستكبروا شرع الرماح فأسمعا
والحق ليس بمعتدٍ لكنه	إن دافعته يد الضلال تدفعا
بعض الأنام إذا رأى نور الهدى	عرف الطريق ولم يضل المرجعا

ومن البرية معشر لا ينشي عن غيِّه حتى يخاف ويفزعاً

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾

[آل عمران ١٠٢].

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ءِالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾

[النساء: ١].

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب

[٧٠-٧١].

### أما بعد

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدى محمد -صلى الله عليه وسلم-  
وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثاتها بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

اللهم لا تعذب جمعاً التقى فيك ولك ولا تعذب ألسناً تخبر عنك ولا تعذب  
قلوباً تشاق إلى لذة النظر إلى وجهك الكريم

### ثم أما بعد:

أمة الإسلام نقف في هذا اللقاء مع سؤال مهم قد يدور في مخيلة الإنسان {لماذا  
يكره ابن آدم الموت؟}

لماذا يكره الإنسان الموت وما هي درجات الناس وطبقاتهم في كراهية الموت؟

امنع جفونك أن تذوق مناماً\*\*\* وذر الدموع على الخدود سجاماً

وأعلم بأنك ميت ومحاسب\*\*\* يا من على سخط الجليل أقاما

لله قوم أخلصوا في حبه\*\*\* فرضي بهم واختصهم خداماً

قوم إذا جن الظلام عليهم \*\*\* يأتوا هنالك سجداً وقياماً  
خص البطون من التعفف ضمراً \*\*\* لا يعرفون سوى الحلال طعاماً  
يتلذذون بذكره في ليلهم \*\*\* ويكابدون لدى النهار صياماً  
فسيغنمون عرائسا بعرائس \*\*\* ويؤأون من الجنان خياماً  
وتقر أعينهم بما أخفى لهم \*\*\* وسيسمعون من الجليل سلاماً

### العنصر الأول: الموت مكروه لدي بني آدم

اعلم علمني الله تعالى وإياك: أن كراهية الموت أمر جبلي في بني الإنسان وهذا ما  
قرره النبي العدنان - ﷺ

فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ إن الله قال من عادى لي ولياً فقد آذنته  
بالحرب وما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إلى مما افترضته عليه وما يزال عبدي  
يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي  
يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألتني لأعطينه ولئن  
استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره  
الموت وأنا أكره مساءته" (١)

فالمؤمن كره شدة الموت وغصصه كما أخبر بذلك الصادق المصدوق - صلى الله  
عليه وسلم -

وها هو النبي - صلى الله عليه وسلم - يزيد الأمر وضوحاً عن محمود بن لبيد أن  
النبي صلى الله عليه وسلم قال: " اثنتان يكرهما ابن آدم: يكره الموت، والموت خير  
للمؤمن من الفتنة، ويكره قلة المال، وقلة المال أقل للحساب " (٢)

١ - أخرجه البخاري (٥/ ٢٣٨٤ ، رقم ٦١٣٧)

٢ - أخرجه أحمد ٥/ ٤٢٧ (٢٤٠٢٤) سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٢/ ٤٥٢)

واعلموا أيها الأحباب: أن الإنسان المؤمن عندما يبشر برضوان الله تعالى ورحمته وجنته عندها يجب لقاء الله فيحب الله تعالى لقاءه

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من أحب لقاء الله، أحب لقاءه الله، ومن كره لقاء الله، كره الله تعالى لقاءه، فقال بعض أزواجه عائشة: بأبي فأينا لا يكره الموت؟ قال: إنه ليس بذلك ولكن المؤمن إذا حضره الموت بشر بكرامة الله عز وجل ورضوانه، فليس شيء أحب إليه مما أمامه، فأحب لقاء الله، فأحب الله تعالى لقاءه، وأن الكافر إذا حضره الموت بشر بعذاب الله تعالى وعقوبته، فليس شيء أكره إليه مما أمامه، فكره لقاء الله، وكره الله تعالى لقاءه" <sup>(١)</sup>

عن أبي عبد الله الصنابحي قال: «الدنيا تدعو إلى فتنة، والشيطان يدعو إلى خطيئة، ولقاء الله خير من الإقامة معها» <sup>(٢)</sup>

يقول ابن الربيع ابن خثيم لما احتضر أبي بكت أختي فقال لها: يا بنية لا تبكي ولكن قولي يا بشرى فالיום ألقى ربي، وها هي امرأة وكانت متعبدة تقول: والله لقد سئمت الحياة ولو وجدت الموت يباع لا شتريته شوقاً إلى الله تعالى وحباً للقاءه

فقيل لها: أفعلی ثقة أنت من عملك؟؟

ف قالت: لا ولكن لحبي إياه وحسن ظني به اشتقت إلى لقياه أفتراه يعذبني وأنا أحبه

قلت أنا: لا والله... فإنه يجبهم ويجبونه

وما أحسن حسن الظن بالله والرجاء بالله فمن أحب شيئاً أحسن ظنه به ورجاه

\*مرض أعرابي فقيل له: إنك تموت.. قال: وأين يُذهب بي؟؟

١ - أخرجه البخاري ١١ / ٣٥٧ الحديث (٦٥٠٧)، ومسلم في الصحيح ٤ / ٢٠٦٥

٢ - حلية الأولياء (١٢٩ / ٥)

قالوا: إلى الله عز وجل

قال: فما أجمل الموت وما أجمل لقاء الله

### العنصر الثاني: الموت خير لابن آدم من الحياة

أيها الإخوة: الإنسان العاقل هو الذي يدرك أن الدنيا دار ابتلاء وأنها سجن المؤمن وأن لقاء الله خير من الإقامة في دار الأذى والأحزان والمصائب والألام، أخرج البيهقي في شعب الإيمان عن زرعة بن عبد الله مرسلًا: "أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "يجب الإنسان الحياة والموت خير لنفسه، ويجب الإنسان كثرة المال وقلة المال أقل لحسابه."<sup>(١)</sup>

والهدية والتحفة التي يتحف الله بها أوليائه الموت فعن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: "تحفة المؤمن الموت"<sup>(٢)</sup>.

واعلم أنك لن تصل إلى الراحة إلا إذا فارقت دار العناء والشقاء فعن ابن مسعود قال: ليس للمؤمن راحة دون لقاء الله تعالى.<sup>(٣)</sup>

وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف عن ابن مسعود قال: ما من نفس برة ولا فاجرة إلا والموت خير لها من الحياة، فإن كان بارًا فقد قال الله تعالى: {وما عند الله خير للأبرار} وإن كان فاجرًا فقد قال عز وجل: {ولا يحسبن الذين كفروا أنها نملي لهم خير لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثما ولهم عذاب مهين}.<sup>(٤)</sup>

١ - أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٧/٣٥٦، رقم ١٠٥٧٠).

٢ - أخرجه ابن المبارك (١/٢١٢، رقم ٥٩٩)، والحاكم (٤/٣٥٥، رقم ٧٩٠٠)، وقال: صحيح الإسناد. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة (١٤/٩١٠) قال الألباني: ضعيف.

٣ - أخرجه ابن المبارك (١/٦، رقم ١٧)، وأبو نعيم في الحلية (١/١٣٦).

٤ - مصنف ابن أبي شيبة - ترقيم عوامة (١٣/٣٠٣)

### العنصر الثالث: طبقات الناس في كراهية الموت

واعلم زادك الله علماً- أن الناس ليسوا على طبقة واحدة في كراهية الموت بل يتفاوتون على حسب ما عندهم من إيمان وقرب أو ما عندهم من معاصي وبعد عن الله وإليك بيان ذلك

#### الطبقة الأولى: الحياء من الله

أعلى هذه الطبقات طبقة أهل الحياء من رب الأرض والسماء وهو أن يستحي العبد من لقاء ربه لما جنت يده كحياء أم هارون.

قال أحمد أبي الحواري: قلت لأم هارون العابدة الدمشقية:

أتحيين الموت؟

قالت: لا

قلت: ولم؟

قالت: لو عصيت آدمياً ما أحببت لقاءه فكيف أحب لقاء الله وقد عصيته؟ (١)

**الطبقة الثانية: الخشية الحادة من أن ينزل المرء منزلة تضره ولا تسره.**

وهذا من الأخطار التي ينبغي على العاقل ألا يغفل عنها فالإنسان منا لا يدري أهو من أهل السعادة أو من أهل الشقاوة

قال بعض أصحاب هذه الخشية:

وكيف تنام العين وهي قرير \*\*\* ولم تدر في أي المحلين تنزل؟

قال سعيد بن أبي عطية:

لما حضر أبا عطية الموت جزع منه، فقالوا له:

---

١- (صفة الصفوة ج ٤ ص ٣٠٤)

## أتجزع من الموت؟

فقال: مالي لا أجزع، فإنها هي ساعة، ثم لا أدري أين يسلك بي؟<sup>(١)</sup>

لما حضرت أحمد بن خضرويه الوفاة، سئل عن مسألة فدمعت عيناه، وقال:

يا بني باب كنت أدقه خمسا وتسعين سنة، هو ذا يفتح الساعة لي، لا أدري أيفتح

بالسعادة أو الشقاوة، فأنى لي أو ان الجواب؟<sup>(٢)</sup>

عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، أنه ذكر عمر وأبا بكر ابني المنكدر قال: " لما

حضر أحدهما الموت بكى، فقليل له: ما يبكيك؟ إن كنا لنغبطك بهذا اليوم، قال: أما

والله ما أبكي أن أكون ركبت شيئا من معاصي الله اجترأ على الله، ولكنني أخاف أن

أكون أتيت شيئا هينا وهو عند الله عظيم. قال: وبكى الآخر عند الموت فقليل له مثل

ذلك، فقال: إني سمعت الله يقول لقوم: {وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون}

[الزمر: ٤٧] ، فأنا أنتظر ما ترون، والله ما أدري ما يبدو لي " <sup>(٣)</sup>

عن محمد بن المنكدر أنه بينا هو ذات ليلة قائم يصلي إذ استبكى وكثر بكاؤه

حتى فزع أهله وسألوه ما الذي أبكاه فاستعجم عليهم وتمادى في البكاء فأرسلوا إلى

أبي حازم فأخبروه بأمره فجاء أبو حازم إليه فإذا هو يبكي قال يا أخي ما الذي

أبكاك قد رعت أهلك أفمن علة أم ما بك قال فقال إنه مرت بي آية في كتاب الله عز

وجل قال وما هي قال قول الله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون قال

فبكى أبو حازم أيضا معه واشتد بكاؤهما قال فقال بعض أهله لأبي حازم جئنا بك

لتفرج عنه فزدته قال فأخبرهم ما الذي أبكاهما<sup>(٤)</sup>

١- (الحلية ج ٥ ص ١٥٤)

٢- (رسالة الثبات عند المات ص ٦٢)

٣- المحتضرين (ص: ١٧٠)

٤- حلية الأولياء (٣/ ١٤٦)

### الطبقة الثالثة: ضعف التزود من العمل الصالح

وهم أقوام أحسوا بقلّة الزاد وبعد السفر وقلّة الأنيس لذا فهم يكرهون الموت

مخافة الفوت

قال الله - سبحانه - قد قال فيمن هذا شأنهم: ﴿ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾ ﴾

[المنافقون: ١٠، ١١]

\* تحسر بعض الناس عند الموت، فقليل له: ما بك؟

فقال ما ظنكم بمن يقطع سفرا طويلا بلا زاد، ويسكن قبرا موحشا بلا مؤنس،

ويقدم على حكم عدل بلا حجة.<sup>(١)</sup>

بكى أبو هريرة قبل الوفاة فقليل له: وما يبكيك؟ فقال: [قلّة الزاد، وبعد السفر،

وضعف اليقين، وخوف الوقوع من الصراط في النار].<sup>(٢)</sup>

تزود من التقوى فإنك لا تدري  
فكم من صحيح مات من غير علة  
وكم من صغار يرتجى طول عمرهم  
وكم من عروس زينوها لزوجها  
وكم من فتى أمسى وأصبح ضاحكاً  
إذا جنّ ليل هل تعيش إلى الفجر؟  
وكم من عليل عاش حيناً من الدهر  
وقد أدخلت أجسادهم ظلمة القبر  
وقد قبضت أرواحهم ليلة القدر  
وقد نسجت أكفانه وهو لا يدري

روي أن أبا الدرداء رضي الله عنه، وقف ذات يوم أمام الكعبة ثم قال لأصحابه " أليس

إذا أراد أحدكم سفرا يستعد له بزاد؟ قالوا: نعم، قال: فسفر الآخرة أبعد مما

١ - (الكشكول للعالمي ج ١ ص ٢٩٠)

٢ - مفتاح الأفكار للتأهب لدار القرار (١/ ٣٥)

تسافرون!

فقالوا: دلنا على زاده؟

فقال: (حجوا حجة لعظائم الأمور، وصلوا ركعتين في ظلمة الليل لوحشة القبور، وصوموا يوماً شديداً حره لطول يوم نشوره).<sup>(١)</sup>

### الطبقة الرابعة: الإسراف على النفس والغفلة عن محاسبتها

إخوة الإيمان: إن الغفلة عن المحاسبة، والتسوية بالمتاب يفضيان إلى تراكم السيئات، حتى يذهل من تراكمها من يتنبه إليها.

كان الشيخ توبة بن الصمة من الطيبين، وكان محاسباً لنفسه في أكثر أوقات ليله ونهاره، فحسب يوماً ما مضى من عمره، فغذا هو ستون سنة، فحسب أيامها، فكانت إحدى وعشرين ألف يوم وخمسمائة يوم فقال: يا ويلتا، ألقى مالكي بإحدى وعشرين ألف ذنب ثم صعق صعقة كانت فيها وفاته. (وهذا بحساب ذنب واحد فقط في اليوم الواحد).<sup>(٢)</sup>

وتأملوا في أحوال المحسنين الذين يخافون من الله تعالى فعن عبد الله بن مسعود، حديثين: أحدهما عن النبي صلى الله عليه وسلم، والآخر عن نفسه، قال: «إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مر على أنفه» فقال به هكذا، قال أبو شهاب: بيده فوق أنفه " <sup>(٣)</sup>

كانوا يتهمون أعمالهم وتوباتهم ويخافون أن لا يكون قد قبل منهم ذلك فكان ذلك يوجب لهم شدة الخوف وكثرة الاجتهاد في العمل الصالح قال الحسن أدركت أقواماً لو أنفق أحدهم ملء الأرض ما أمن لعظم الذنب في نفسه.

١ - حلية الأولياء (١ / ١٦٥)

٢ - (الكشكول للعالمى ج ٢ ص ٣٣٧)

٣ - أخرجه: البخاري ٨ / ٨٣-٨٤ (٦٣٠٨)

\* فهذا عمر بن عبد العزيز رحمه الله، عند موته يقول: أجلسوني، فأجلسوه، فقال: أنا الذي أمرتني فقصرت، ونهيتني فعصيت، ولكن لا إله إلا الله، ثم رفع رأسه فأحد النظر. فقالوا له: إنك لتنظر نظراً شديداً يا أمير المؤمنين. قال: إني أرى حضرة ما هم بإنس ولا جن ثم قبض رحمه الله وسمعوا تالياً يتلو: {تِلْكَ الدَّارُ الْأَخْرَةُ نَجَعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ} (القصص: ٨٣).<sup>(١)</sup>

قال معاوية -رضي الله عنه- عند موته لمن حوله: أجلسوني .... فأجلسوه .... فجلس يذكر الله، ثم بكى، وقال: الآن يا معاوية، جئت تذكرك بعد الانحطام والانهدام، أما كان هذا وعض الشباب نضير ريان؟! ثم بكى وقال: يا رب، يا رب، ارحم الشيخ العاصي ذا القلب القاسي .... اللهم أقل العثرة، واغفر الزلة، وجد بحلمك على من لم يرج غيرك، ولا وثق بأحد سواك .... ثم فاضت روحه رضي الله عنه (٢).

أقول هذا القول، وأستغفر الله العظيم الكريم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب؛ فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

### الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين.  
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً.

١ - المحتضرين لابن أبي الدنيا (ص: ٨٤)

٢ - العاقبة في ذكر الموت (ص: ١٢٥)

أما بعد:

**الطبقة الخامسة: تعلق المرء بالدنيا أو بشيء معين منها:**

واعلم أن من تعلق قلبه بالدنيا وبشيء من متاعها كره الموت لأنه يعلم انه سيفوت على ذلك المحبوب

روى الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء القارئ النحوي أنه قال: بينما أنا ذات يوم -أحسبه قال في ضيعتي- سمعت قائلاً يقول:

وإن امرءاً دنياه أكبر هممه لمستمسك منها بحبل غرور

فكتبت هذا البيت على فص خاتمي فكان نقشه هذا. <sup>(١)</sup>

قال الحسن -رحمه الله- ابن آدم، لا تعلق قلبك بشيء من الدنيا، تعلقها شر تعلق، اقطع عنك حباثلها، وأغلق دونك أبوابها.

وليكن حسبك -أيها المغرور- منها ما يبلغك المحل، وإياك أن تظن أنك تُباهي يوم القيامة بمالك وولئك، هيهات أن ينفعك شيء من ذلك يوم يقوم الحساب! ذلك يوم تذهب الدنيا فيه بحالها، وتبقى الأعمال قلائد في أعناق عمّالها.

**خاتمة السوء: وها هي خاتمة السوء لمن تعلق بشيء من متاع الدنيا والخواتيم ميراث السوابق**

ففي كتاب العاقبة: أن رجلاً كان واقفاً على باب داره وكان بابها يشبه باب حمام مجاور له، فمرت به جارية لها منظر، وهي تقول: أين الطريق إلى حمام منجّاب ..

فقال لها: هذا حمام منجّاب ... وأشار إلى داره .. فدخلت الدار، فدخل وراءها، فلما رأت نفسها معه في داره وليست بحمام علمت أنه خدعها، فعلمت أنه لا نجاة لها منه إلا بالحيلة والخداع .. فأظهرت له البشر والفرح باجتماعها معه على

١ - الهواتف (ص: ٦٧)

تِلْكَ الْخُلُوةِ فِي تِلْكَ الدَّارِ، وَقَالَتْ لَهُ: يَصْلِحُ أَنْ يَكُونَ عِنْدَنَا مَا يَطِيبُ بِهِ عَيْشَنَا وَتَقَرُّ بِهِ عَيْونَنَا ، مِنْ طَعَامٍ وَشَرَابٍ .

فَقَالَ لَهَا:السَّاعَةَ آتِيكَ بِكُلِّ مَا تَرِيدِينَ وَبِكُلِّ مَا تَشْتَهِينَ ، وَخَرَجَ فَتَرَكَهَا فِي الدَّارِ ، وَلَمْ يَغْلِقْهَا ، وَتَرَكَهَا مَفْتُوحَةً عَلَى حَالِهَا وَمَضَى .

فَأَخَذَ مَا يَصْلِحُ لَهَا وَرَجَعَ ، وَدَخَلَ الدَّارَ فَوَجَدَهَا قَدْ خَرَجَتْ وَذَهَبَتْ ، وَلَمْ يَجِدْ لَهَا أَثْرًا ، فَهَامَ الرَّجُلُ بِهَا ، وَأَكْثَرَ الذِّكْرَ لَهَا ، وَالْجُرْعَ عَلَيْهَا ، وَجَعَلَ يَمْشِي فِي الطَّرِيقِ وَالْأَزْقَةَ وَهُوَ يَقُولُ :

يَا رَبِّ قَائِلَةٌ يَوْمًا وَقَدْ تَعَبْتُ \*\*\* أَيْنَ الطَّرِيقُ إِلَى حَمَامٍ مُنْجَابٍ

وَفِي رِوَايَةٍ: أَنَّهُ بَعْدَ أَشْهُرٍ مَرَّ فِي بَعْضِ الْأَزْقَةِ وَهُوَ يَنْشُدُ هَذَا الْبَيْتَ ، وَإِذَا بِالْجَارِيَةِ تَجَاوَبَهُ مِنْ طَاقٍ وَهِيَ تَقُولُ :

هَلَا جَعَلْتَ لَهَا إِذْ ظَفِرْتَ بِهَا \*\*\* حُرْزًا عَلَى الدَّارِ أَوْ قُفْلًا عَلَى الْبَابِ؟

إِنْ يَنْفَسِدِ الرَّزْقُ فَالرِّزْقُ يَخْلِفُهُ \*\*\* وَالْعَرُضُ إِنْ نَفَدَ فَمِنْ أَيْنَ يُنْجَابُ؟

فَزَادَ هَيْبَانَهُ ، وَاشْتَدَّ هَيْجَانَهُ ، وَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى كَانَ مِنْ أَمْرِهِ أَنَّهُ لَمَّا نَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ وَجَاءَتْ سَاعَةُ احْتِضَارِهِ ، فَقِيلَ لَهُ قُلْ : "لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ " .. فَلَاحَ يَسْتَطِيعُ ، إِنَّمَا جَعَلَ يَقُولُ : أَيْنَ الطَّرِيقُ إِلَى حَمَامٍ مُنْجَابٍ ؟<sup>(١)</sup>

فَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْمَحْنِ وَالْفِتَنِ ، وَمِنْ سُوءِ الْخَاتِمَةِ .

الدُّعَاءُ .....

\*\*\*

١ - العاقبة في ذكر الموت (ص: ١٧٩)

## (٣) الموت الأبيض

### الخطبة الأولى

الحمد لله المجيب لكل سائل، التائب على العباد فليس بينه وبين العباد حائل.

جعل ما على الأرض زينة لها، وكل نعيم لا محالة زائل.

حذر الناس من الشيطان وللشيطان منافذ وحبائل.

فمن أسلم وجهه لله فذاك الكيس العاقل، ومن استسلم لهواه فذاك الضال

الغافل.

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تنزهه عن الشريك وعن الشبيه وعن

المشاكل.

من للعباد غيره؟ ومن يدبر الأمر؟ ومن يعدل المائل؟ من يشفي المريض؟ من

يرعى الجنين

في بطن الحوامل؟

من يجيب المضطر إذا دعاه؟ ومن استعصت على قدرته المسائل؟

من لنا إذا انقضى الشباب وتقطعت بنا الأسباب والوسائل؟

وَقَمْتُ أَشْكُو إِلَى مَوْلَايَ مَا أَجِدُ!

وَمَنْ عَلَيْهِ لِكَشْفِ الضَّرِّ اعْتَمِدُ!

مَا لِي عَلَى جَمَلِهَا صَبْرٌ وَلَا جَلْدُ!

إِلَيْكَ يَا خَيْرَ مَنْ مَدَّتْ إِلَيْهِ يَدُ!

فَبَحْرٍ جُودِكَ يَرُوي كُلَّ مَنْ يَرِدُ!

لَيْسْتُ ثَوْبَ الرَّجَا وَالنَّاسُ قَدْ رَقَدُوا

وَقُلْتُ: يَا عُدَّتِي فِي كُلِّ نَائِبَةٍ

أَشْكُو إِلَيْكَ أُمُورًا أَنْتَ تَعْلَمُهَا

وَقَدْ مَدَدْتُ يَدِي بِالضَّرِّ مُبْتَهَلًا

فَلَا تَرُدَّنَّهَا يَا رَبَّ! خَائِبَةٌ



ونصلي ونسلم على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾

[آل عمران ١٠٢].

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ؕ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ؕ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾

[النساء: ١].

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ؕ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب

[٧٠-٧١].

### أما بعد

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثاتها بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

### أما بعد:

أمة الإسلام: حديثا اليوم عن نوع من أنواع الموت قد كثر في الآونة الأخيرة يختطف الأصحاء والأقوياء الشباب والفتيات فهو لا يفرق بينهم، كثرت سهامه وعظم شأنه فما هو الموت الأبيض؟

ولماذا سمي بالموت الأبيض؟

وهل الموت الأبيض محمود أو مذموم؟

وما الواجب على كل مسلم ومسلمة أن يقوم به استعدادا للموت الأبيض؟

أعيروني القلوب والأسماع

## العنصر الأول: ما هو الموت الأبيض؟

اعلموا عباد الله أن الموت أنواع عديدة ذكرها العلماء وأهل اللغة منها الموت

الأبيض

يقول ابن الأعرابي: يُقال لِلْمَوْتِ الْفَجَاءَةِ: الْمَوْتُ الْأَبْيَضُ، وَالْجَارِفُ، وَاللَّافِتُ،

وَالْفَاتِلُ

يُقال: لَقَتَهُ الْمَوْتُ، وَفَلَّتَهُ، وَافْتَلَّتَهُ، وَهُوَ الْمَوْتُ الْفَوَاتُ (وَالْفَوَاتُ) وَهُوَ أَخَذَهُ

الْأَسْفَ، وَهُوَ الْوَجِي. وَالْمَوْتُ الْأَحْمَرُ: الْقَتْلُ بِالسَّيْفِ، وَالْمَوْتُ الْأَسْوَدُ: هُوَ الْغَرَقُ

وَالشَّرْقُ، وَفِي الْحَدِيثِ: (أَنَّ رَجُلًا أَنَاهُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أُمَّي افْتُلَّتَتْ نَفْسُهَا،

فَمَاتَتْ وَلَمْ تُوصِ، أَفَأَتَصَدَّقُ عَنْهَا؟ فَقَالَ: نَعَمْ (١)

قال أبو عبيد: افْتُلَّتَتْ نَفْسُهَا: يَعْنِي مَاتَتْ فَجَاءَةً وَلَمْ تَمْرُضْ فَتُوصِي، وَلَكِنِهَا

أَخَذَتْ نَفْسُهَا فَلَتَتْ. يُقال: افْتَلَّتَهُ، إِذَا اسْتَلَبَهُ. (٢)

## العنصر الثاني: لماذا سمي بالأبيض

فإن سألتهم عباد الله: ما هي العلة التي من أجلها سمي بالموت الأبيض؟

فإن للعلماء في ذلك قولان:

١- أنه سمي بالأبيض لأنه لم يكن قبله مرضا يغير لون الإنسان

يقول الدكتور جواد علي - وورد: "الموت الأبيض" و"الموت الأحمر". الأبيض

الفجأة، أي ما يأتي فجأة، ولم يكن قبله مرض يغير لونه. والأحمر الموت بالقتل

لأجل الدم (٣).

١ - أخرجه البخاري "١٣٨٨" ومسلم "١٠٠٤" عن عائشة - رضي الله عنها

٢ - تاج العروس من جواهر القاموس (٢٩ / ٥)

٣ - المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (١٤٨ / ٩)

## ٢-القول الثاني أنه سُمي أبيض لأنه خلا من التوبة والوصية

معنى البياض فيه خلوة عما يُحدثه من لأغافص<sup>(١)</sup>؛ من توبه واستغفار وقضاء حقوق لازمة وغير ذلك من قولهم: بيّضت الإناء إذا فرّغته وهو من الأضداد.<sup>(٢)</sup>

### العنصر الثالث: أقول العلماء في موت الفجأة

فإن سأل سائل من الإخوة الكرام ما هو موقف العلماء من الموت الأبيض؟

اعلموا - رحمني الله وإياكم -

### ❖ القول الأول أنهم يكرهون الموت الأبيض:

فذهب فريق من العلماء إلى أن الموت الأبيض مكروه فيها هو الإمام الأحمّد -

رحمه الله - يكره موت الفوات

فقد روي عن الإمام أحمد قال: «أكره موت الفوات»، وورد في ذلك حديثنا

عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ولكنه ضعيف

والعلة في الكراهية الخوف حرمان الوصية، وفوات الاستعداد للمعاد بالتوبة

وغيرها من الأعمال الصالحة

قال ابن بطال: وكان ذلك والله أعلم لما في موت الفجأة من خوف حرمان

الوصية، وترك الاستعداد للمعاد بالتوبة<sup>(٣)</sup>

وذلك لأن الإنسان في صحته يأمل حياة طويلة، ويتهاون بكتابة الوصية وما له

وما عليه مع أن ذلك مندوب مؤكد، عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ما حق امرئ مسلم له شيء يريد أن يوصي فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة

١ - غافص الرجل مُعَافِصَة، وغفاصا: اخذه على غرة. (المحكم والمحيط الأعظم (٥ / ٤٢٤)

٢ - الفائق في غريب الحديث و الأثر (١ / ١٤٢)

٣ - مشكاة المصابيح مع شرحه مرعاة المفاتيح (٦ / ٧٧٣)،

عنده<sup>(١)</sup>

" والشيء الذي حث على كتابته مثل الأمانات والديون والأوقاف وكذلك وصيته ووصايا أبويه إذا كانت على يديه، فيكتب ما يخرج منه من ماله، ويكتب مصارفه الذي يصرف فيها، ويكتب الناظر عليه والوكيل، ويكتب الديون التي في ذمته، والديون التي له مثلاً، ويكتب الحقوق والأمانات التي عنده، ويكتب الأشياء التي قد يجهلها غيره وهو يعلمها من الأملاك أو نحو ذلك، حتى لو فجأة الموت لم يكن مفترطاً، بل وجد ما عنده مكتملاً، أما لو فرط ومات فجأة بقيت ذمته مشغولة، وبقيت حقوق الناس وأماناتهم عنده وديونهم في ذمته؛ لأن الورثة قد لا يعلمون شيئاً عن ذلك، فيقتسمون ما خلف من الأموال، وقد يكون بعضها أو أكثرها لغيره، فيأكلون ما لا يستحقون، وسبب ذلك تفريطه هو حيث لم يثبت ما عنده من الأمور.<sup>(٢)</sup>

عن عبيد بن خالد، رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال في موت الفجأة: "أخذة أسف"<sup>(٣)</sup>

عن طلحة، عن تميم بن سلمة، قال: مات منا رجل بغتة، فقال رجل من أصحاب النبي ﷺ أخذة غضب، فذكرته لإبراهيم، وقل ما كنا نذكر لإبراهيم حديثاً إلا وجدنا عنده فيه، فقال: كانوا يكرهون أخذة كأخذة الأسف.<sup>(٤)</sup>

ولأن المصيبة تكون وقعها على الأهل والأصحاب كبيرة فربما جرهم ذلك إلى السخط وإلى أعمال الجاهلية

١ - أخرجه البخاري (٣/ ١٠٠٥، رقم ٢٥٨٧)، ومسلم (٣/ ١٢٤٩، رقم ١٦٢٧)

٢ - شرح عمدة الأحكام لعبد الله بن جبرين (٤/ ٥٨)

٣ - مسند أحمد ط الرسالة (٢٤/ ٢٥٤) قال الشيخ الألباني: (صحيح) انظر حديث رقم: ٦٦٣١ في

صحيح الجامع

٤ - "مصنف ابن أبي شيبة" ٣/ ٥٥ - ٥١ (١٢٠٠٣ - ١٢٠٠٩) كتاب: الجنائز، باب: في موت الفجأة.

## ❖ القول الثاني: الموت الأبيض راحة للمؤمن

وذلك الآن المسلم يستريح من عناء الدنيا ويخرج من سجنها عن عبد الله بن عبيد بن عمير، قال: سألت عائشة عن موت الفجأة، أيكره؟ قالت: لأي شيء يكره؟ سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال: "راحة للمؤمن وأخذ أسف للفاجر"<sup>(١)</sup>

(موت الفجأة راحة للمؤمن) أي المتأهب للموت المراقب له فهو غير مكروه في حقه بخلاف من هو على غير استعداد منه كما أشار إليه بقوله (وأخذ أسف للفاجر) أي الكافر أو الفاسق لما ذكر وقد مات إبراهيم الخليل صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم بلا مرض كما بينه جمع وقال ابن السكن الهجري توفي إبراهيم وداود وسليمان عليهم السلام فجأة قال: وكذلك الصالحون وهو تخفيف عن المؤمن

قال النووي في تهذيبه بعد نقله ذلك: قلت هو تخفيف ورحمة في حق المراقبين وقال في الإحياء: وهو تخفيف إلا لمن ليس مستعدا للموت لكونه مثقل الظهر<sup>(٢)</sup>

## العنصر الرابع صور موت الأبيض

عباد الله: وقد كثرت في الآونة الأخيرة تلك الظاهرة الموت فجأة وله صور عديدة نذكر منها:

بالسكتة القلبية، بأن تتوقف حركة القلب، ويحصل بعدها الموت في تلك اللحظة، ولا يتمكن الأهالي من العلاج ولا من استدعاء الأطباء، لحصول تلك السكتة بغتة بدون مقدمات آلام أو أمراض، ومن صورها الغشية والإغماء الذي يحصل بعده خروج الروح، يحصل الموت فجأة، ولا يكون هناك مقدمات ولا علامات قبل هذه الغيبوبة، فتحصل الوفاة في تلك اللحظات.

١ - السنن الكبرى للبيهقي (٣/ ٥٣١)

٢ - فيض القدير (٦/ ٣٢٠)



\*ومن الصور ما تكاثر من الحوادث المرورية للسيارات، والتي يحصل بسببها موت العديد من أفراد وجماعات، وذلك بسبب تهور بعض السائقين وركوبهم الأخطار، وتعرضهم لأسباب الحوادث، فتارة بالسرعة الجنونية، والتي يكون من آثارها حوادث الانقلاب والاصطدام، وينتج عن ذلك زهوق أرواح في تلك اللحظة، أو الموت دماغياً زيادة على الخسائر الفادحة بالجراحات وإتلاف السيارات وما أشبهها، وأحياناً يكون بسبب غلبة النوم والنعاس على قائد السيارة، مما يحصل بسببه الكثير من الحوادث باصطدام أو انقلاب أو خروج عن الطريق ووقوع في حفر أو مرتفعات، أو اصطدام بحجارة أو حيطان أو صبات في حواجز الطرق، وتارة يكون بسبب خلل في السيارات، كما يكون في انفجار العجلات، والتي تسمى كفترات، أو اختلال الأذرعة أو الفرامل، ويحصل بسبب ذلك اختلال في السير، وارتباك في التصرف يكون ذلك سبباً في الانقلاب وحصول الوفيات.

ومن صور موت الفجأة ما يحصل بالقتال مع اللصوص والصائدين وقطاع الطرق، الذين يعرضون للناس، ومعهم أسلحة فتاكة، ويطلبون منهم أخذ ما معهم من الأموال أو فعل الفاحشة بالنساء والصبيان، وإذا حصلت مقاومة كان هناك قتل وإطلاق للنار، وسفك للدماء وذلك من أسباب موت الفجأة. <sup>(١)</sup>

### ❖ الموت الأبيض من علامات الساعة

واعلموا عباد الله: أن الموت الأبيض من علامات الساعة كما أخبر بذلك النبي - صلى الله عليه وسلم - فعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " من اقترب الساعة انتفاخ الأهلة، أن يرى الهلال لليلة، فيقال: هو ابن ليلتين، وأن تتخذ المساجد طرقاً، وأن يظهر موت الفجأة " <sup>(٢)</sup>

١ - الموقع الرسمي لفضيلة الشيخ عبد الله بن جبريل

٢ - الروض النضير ١٠٧، الصحيحة ٢٢٩٢

### العنصر الثالث التحذير من الغفلة الاغترار بطول الأمل

أيها الأحباب: الموت يتخطف الشباب والأصحاء من حولنا فما أحوجنا إلى  
اليقظة وما أحوجنا إلى الاعتبار

يا نفس توبي فإن الموت قد حان واعصي الهوى فالهوى مازال فتانا

أما ترين المنايا كيف تلقطنا لقطا وتلحق آخرنا بأولانا

في كل يوم لنا ميت نشيعه نرى بمصرعه آثار موتانا

يا نفس مالي ولأموال أتركها خلفي وأخرج من دنياي عريانا

ما بالنا نتعamy عن مصائرنا. ننسى بغفلتنا من ليس ينسانا

نزداد حرصا وهذا الدهر يزجرنا كأن زاجرنا بالحرص أغرانا

أين الملوك وأبناء الملوك ومن كانت تحرله الأذقان إذعانا

صاحت بهم حادثات الدهر فانقلبوا مستبدلين من الأوطان أوطانا

خلوا مدائن قد كان العز مفرشها. وأستفرشوا حفرا غبرا وقيعانا

يا راكضا في ميادين الهوى فرحا وغافلا في ثياب الغي نشوانا

قضى الزمان وولى العمر في لعب يكفيك ما قد مضى قد كان ما كان

جعل الله - سبحانه وتعالى - الغفلة سبباً من أسباب الحسرة والندامة يوم  
القيامة، يقول تعالى: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ  
﴿٣٩﴾ [مريم: ٣٩].

ويبين أنها سبب نسيان الآخرة وسبب الاغترار بالدنيا، قال تعالى: ﴿أَقْرَبَ  
لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ  
مُحَدِّثٍ إِلَّا أَسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَأَهِيَ قُلُوبُهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ

هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ تَبْصُرُونَ ﴿٢﴾ [الأنبياء: ١-  
٣].

وجعل الله عقوبة أهل النار، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا  
بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَأَطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أُولَئِكَ مَا لَهُمْ  
النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ [يونس: ٧، ٨].

قال سلمان الفارسي - رضي الله عنه -: (ثلاث أعجبتني حتى أضحكتني: مؤمل  
الدنيا والموت يطلبه! وغافل ليس يُغفل عنه! وضاحك ملء فيه ولا يدري أساخط  
ربُّ العالمين عليه أم راضٍ؟! )<sup>(١)</sup>

أقول هذا القول، وأستغفر الله العظيم الكريم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل  
ذنب؛ فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

### الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين.  
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله،  
صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما.

أما بعد:

بنو ادب و صوارخ و ثواكل	يا غافلاً عن ساعة مقرونة
فالموت أسرع من نزول الهاطل	قدم لنفسك قبل موتك صالحاً
وصميم قلبك لا يلين لعاذل	حتم سمعك لا يعي لمذكر
يكفيك من دنياك زاد الراحل	تبغي من الدنيا الكثير وإنما

١ - شعب الإيمان (١٣ / ١٩٢)

آي الكتاب تهزُّ سمعك دائماً      وتصم عنها معرضاً كالغافل  
كم للإله عليك من نعم ترى      ومواهب وفوائد وفواضل  
كم قد أنالك من موانح طوله      فأسأله عفواً فهو غوث السائل

لا تحسبن الله تعالى غافلاً عن فعلك وقولك أيها المذنب بل إن ذلك من الإمهال  
عن أبي بردة عن أبي موسى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله  
يُملي للظالم فإذا أخذه لم يفله، ثم قرأ: (وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ  
(قوله لم يفله أي لم ينفلت منه، ويكون بمعنى لم يفله أحد أي لم يخلصه شيء).<sup>(١)</sup>

أيها الصحيح المعافي

أيها القوي الفتي

أيها الشاب

أيتها الفتاة

احذروا من طول الأمل لأنه ما طال أمل إنسان إلا ساء عمله وعصى ربه وضيع  
آخرته

علم أن الذي حال بين الناس وبين التوبة والصدق فيها هو طول الأمل، ومن  
أطال الأمل أساء العمل، قال الله: {ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ  
يَعْلَمُونَ} [الحجر: ٣].

وقال سبحانه: {أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ \* ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ}  
[الشعراء: ٢٠٥- ٢٠٦].

وقال سبحانه: {أَيَحْسَبُونَ أَنَّنَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَيْنَ \* نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ}

١ - أخرجه البخاري (٤٦٨٦)، ومسلم (٢٥٨٣)، والترمذي (٣٣٦٩)



بَلْ لَا يَشْعُرُونَ { [المؤمنون: ٥٥- ٥٦].

اعلموا أن الذي يحول بينكم وبين التوبة إنما هو طول الأمل

إن الموت قريب، والعمر مهما طال فهو قصير، والدنيا مهما عظمت فهي حقيرة،  
فاختر لنفسك النهاية التي تتمناها. أن الذي حال بين الناس وبين التوبة والصدق  
فيها هو طول الأمل، ومن أطال الأمل أساء العمل، قال الله: {ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا  
وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ} [الحجر: ٣].

وقال سبحانه: {أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ \* ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ}

[الشعراء: ٢٠٥- ٢٠٦].

وقال سبحانه: {أَيَحْسَبُونَ أَنَّنَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَيْنَ \* نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ}

بَلْ لَا يَشْعُرُونَ { [المؤمنون: ٥٥- ٥٦].

اعلم أن مما يعينك على التوبة والإسراع فيها والمبادرة إليها هو ذكر الموت  
وساعاته.

إن الموت قريب، والعمر مهما طال فهو قصير، والدنيا مهما عظمت فهي حقيرة،  
فاختر لنفسك النهاية التي تتمناها.

لما حضرت حسان بن أبي سنان الوفاة قيل له: كيف تجدك؟ قال: بخير إن

نجوت من النار، قيل له: فما تشتهي؟

قال: ليلة طويلة أصلها كلها. (١)

ودخل المزني على الشافعي رحمه الله في مرضه الذي مات فيه فقال: كيف

أصبحت يا أبا عبد الله؟!

١ - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٣/ ١١٧)

فقال: أصبحت عن الدنيا راحلاً، وللإخوان مفارقاً، ولسوء عملي ملاقياً،  
ولكأس المنية شارباً، وعلى ربي سبحانه وتعالى وارداً، ولا أدري أروحي تصير إلى  
الجنة فأهنتها، أو إلى النار فأعزيتها؟

ثم أنشد:

ولما قسا قلبي وضافت مذاهبي \*\*\* علت الرجاء مني لعفوك سلماً

تعاظمني ذنبي فلما قرنته ب عفوك ربي كان عفوك أعظماً

فما زلت ذا عفو عن الذنب لم تنزل ودوداً وتعفو منة وتكرماً<sup>(١)</sup>

حقاً! قست القلوب! وراَنَ عليها غطاء الذنوب!

نودّعُ الأموات. والقلوب أموات!

نودّعُ الأموات. ولا عبرة ولا عظّات!

نودّعُ الأموات. ولا سؤال: أين القرار في النيران أو الجنّات؟!

نودّعُ الأموات. وها نحن قبل الممات أموات!

**أخي المسلم:**

لماذا أنت مصرا على ترك الصلاة.

لماذا أنت مصرا على سماع المحرمات؟

لماذا أنت مصرا على الربا؟

لماذا أنت مصرا على قطيعة الأرحام؟

هل جاءتك براءة من النار؟

---

١ - ترتيب الأمالي الخميسية للشجري (٢/ ٤١٣)

هل أنت تمتلك شهادة ضمان لدخول جنة الرحمن؟

يا غافلا وليس بمغفول عنه

مَالِي أَرَاكَ عَلَى الذُّنُوبِ مُوَاطِبًا\*\*أَأَخَذْتَ مِنْ سُوءِ الْحِسَابِ أَمَانًا

لَا تَغْفَلَنَّ كَأَنَّ يَوْمَكَ قَدْ أَتَى\*\* وَلَعَلَّ عَمْرَكَ قَدْ دَنَا أَوْ حَانَ

وَمَضَى الْحَبِيبُ لِحَفْرِ قَبْرِكَ مُسْرِعًا\*\*وَأَتَى الصَّدِيقُ فَاذْدَرَّ الْجِيرَانَ

وَأَتُوا بِغَسَّالٍ وَجَاؤُوا نَحْوَهُ\*\*وَبَدَأَ بِغَسْلِكَ مِيْتًا عُرْيَانًا

فَغُسِلْتَ ثُمَّ كُسِيَتْ ثَوْبًا لِلَّيْلِ\*\*وَدَعَوْا لِحَمْلِ سَرِيرِكَ الْإِخْوَانَ

وَأَتَاكَ أَهْلُكَ لِلْوِدَاعِ فَوَدَّعُوا\*\*وَجَرَّتْ عَلَيْكَ دُمُوعُهُمْ غُدْرَانًا

فَخَفِ الْإِلَهَ فَإِنَّهُ مَنْ خَافَهُ\*\*سَكَنَ الْجَنَانَ مُجَاوِرًا رُضْوَانًا

.....الدعاء

\*\*\*

## (٤) السكرات عبر وعظات

### الخطبة الأولى

الحمد لله الذي جعل القرآن هداية للمقبلين، وجعل تلاوته بخضوع تهل دمع الخاشعين، وأنزل فيه من الوعيد ما يهز به أركان الظالمين، وأخبر فيه أن الموت نهاية لعالمين، وأنا بعد الموت للحساب مبعوثين وأنا سنحاسب عما كنا فاعلين، وسنقف بذل وخضوع بين يدي رب العالمين، [وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ] [الفجر: ٢٣] [وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقْرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ] [إبراهيم: ٤٩] ليس هناك فرق بين ملك معظم وإنسان مهين، هذا جزاء من أخلص العمل لله رب العالمين، وهذا عطاء رب الأرباب مالك يوم الدين.

سبحانه من إله عظيم أعز الحق وأخرس المبطلين سبحانه عدد

ما دعاه عباده المساكين سبحانه عدد ما انهمرت دموع المنيبين سبحانه جواد

كريم قوي متين

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده شريك له وأن محمداً رسول الله ما جراً أثواب

الحرير وما مشى التاج من فوق الجبين مرصعاً القميص مرصعاً

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾

[آل عمران ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا

رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ءَ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾

[النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ

وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب

**أما بعد**

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم -  
 وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثاتها بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.  
 أمة الإسلام: نقف اليوم مع الهول المهول والخطب الجسيم مع السكرات عبر  
 وعظات فما هي السكرات؟

وما أدلتها؟ وكيف كان أحوال الأنبياء والأولياء مع السكرات؟

أعيروني القلوب والأسماع

**العنصر الأول تعريف السكرات: هي كربات الموت وغمراته**

أخي السلم: إن حتمية الموت، سنّة إلهية وقانون ربّاني، لأنّه من جهة يرتبط  
 بإظهار قدرة الله تعالى في إفناء مخلوقاته، ثم في إعادة بعثها من جديد، ومن جهة  
 أخرى يرتبط بمبدأ الحكمة والعدل الإلهيين في إبداع عالم آخر تتم فيه المحاسبة  
 والجزاء والثواب. لذلك كان الموت حتمياً. وانتقال الروح من عالم إلى عالم آخر أمر  
 حتمي أيضاً، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ  
 مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾. ويقرّر  
 الإمام علي - رضي الله عنه - هذا المبدأ والقانون الإلهي النافذ، بكلمات واضحة  
 وبسيطة حينما يقول "لكلّ حيّ موت" (١).

الموت له سكرات يلاقيها كل إنسان حين الاحتضار ولو لم يكن بين يدي العبد  
 من هول ولا عذاب سوى السكرات لكن جديراً أن يتنغص عليه عيشه ويتكدر  
 عليه سروره ويفارقه سهوه ولا ينام جفنه

١ - الأمدى، غرر الحكم، ص ١٦١.

الأدلة على سكرات الموت ولقد دل القرآن الكريم وسنة نبينا الأمين -صلى الله عليه وسلم على شدة النزع والسكرات فقال رب الأرض و السماوات -جل جلاله- {وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الموتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ اليَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الحقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ} [الأنعام: ٩٣]

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم: ولو ترى، يا محمد، حين يغمر الموت بسكراته هؤلاء الظالمين العادلين برهم الآلهة والأنداد، والقائلين: "ما أنزل الله على بشر من شيء"، والمفترين على الله كذباً، الزاعمين أن الله أوحى إليه ولم يوح إليه شيء، والقائلين: "سأنزل مثل ما أنزل الله" فتعابنهم وقد غشيتهم سكرات الموت، ونزل بهم أمر الله، وحان فناء آجالهم، والملائكة باسطو أيديهم يضربون وجوههم وأدبارهم، كما قال جل ثناؤه: {فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ} [سورة محمد: ٢٧، ٢٨]. يقولون لهم: أخرجوا أنفسكم.

و"الغمرات" جمع "غمرة"، و"غمرة كل شيء"، كثرته ومعظمه، وأصله الشيء الذي يغمر الأشياء فيغطيها، ومنه قول الشاعر: <sup>(١)</sup>

وَهَلْ يُنْجِي مِنَ الْغَمَرَاتِ إِلَّا... بُرَاكَاءُ الْقِتَالِ أَوْ الْفِرَارِ <sup>(٢)</sup>

فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ (٢٧) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ} [محمد: ٢٧، ٢٨]

يقول سيد قطب رحمه الله- فكيف إذا توفتتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم! وهو مشهد مفرع مهين. وهم يحتضرون. ولا حول لهم ولا قوة. وهم

١- هو بشر بن أبي حازم.

٢- تفسير الطبري- ط الرسالة- ت أحمد شاكر (١١/ ٥٣٧)

في نهاية حياتهم على هذه الأرض.

وفي مستهل حياتهم الأخرى. هذه الحياة التي تفتتح بضرب الوجوه والأدبار. في لحظة الوفاة، لحظة الضيق والكرب والمخافة. الأدبار التي ارتدوا عليها من بعد ما تبين لهم الهدى! فيالها من مأساة! «ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ، وَكَرَهُوا رِضْوَانَهُ، فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ» ..

فهم الذين أرادوا لأنفسهم هذا المصير واختاروه. هم الذين عمدوا إلى ما أسخط الله من نفاق ومعصية وتآمر مع أعداء الله وأعداء دينه ورسوله فاتبعوه. وهم الذين كرهوا رضوان الله فلم يعملوا له، بل عملوا ما يسخط الله ويغضبه... «فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ» .. التي كانوا يعجبون بها ويتعجبون ويحسبونها مهارة وبراعة وهم يتآمرون على المؤمنين ويكيدون. فإذا بهذه الأعمال تتضخم وتنتفخ. ثم تهلك وتضيع (١)

{وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ} [ق: ١٩]

يقول سيد قطب رحمه الله وهو يصور لنا ذلك المشهد الخيف: والموت أشد ما يحاول المخلوق البشري أن يروغ منه، أو يبعد شبحه عن خاطره. ولكن أنى له ذلك:

والموت طالب لا يمل الطلب، ولا يبطئ الخطى، ولا يخلف الميعاد وذكر سكرة الموت كفيل برجفة تدب في الأوصال! وبينما المشهد معروض يسمع الإنسان: «ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ».

وإنه ليرجف لصداها وهو بعد في عالم الحياة! فكيف به حين تقال له وهو يعاني السكرات! وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما تغشاه

١ - في ظلال القرآن (٦ / ٣٢٩٨)

الموت جعل يمسح العرق عن وجهه ويقول: «سبحان الله. إن للموت لسكرات» ..  
يقولها وهو قد اختار الرفيق الأعلى واشتاق إلى لقاء الله. فكيف بمن عداه؟  
ويلفت النظر في التعبير ذكر كلمة الحق: «وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ» .. وهي  
توحي بأن النفس البشرية ترى الحق كاملا وهي في سكرات الموت. تراه بلا  
حجاب، وتدرك منه ما كانت تجهل وما كانت تجحد، ولكن بعد فوات الأوان، حين  
لا تنفع رؤية، ولا يجدي إدراك، ولا تقبل توبة، ولا يحسب إيمان.  
وذلك الحق هو الذي كذبوا به فانتهوا إلى الأمر المريع! .... وحين يدركونه  
ويصدقون به لا يجدي شيئا ولا يفيد! ومن سكرة الموت، إلى وهلة الحشر، وهول  
الحساب (١)

### وصف السلف الصالح لسكرات الموت:

إخوة الإسلام: إن للموت وسكراته غصص لا يعلمها إلا من ذاقها فتأملوا  
عباد الله في ذلك الوصف الرهيب فعن عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب -رضي  
الله عنه -:"أنه قال لكعب الأحماس: حدثنا عن الموت، فقال كعب: نعم يا أمير  
المؤمنين، هو كغصن كثير الشوك أُدخِل في جوف رجل، فأخذت كلُّ شوكة بعرق،  
ثم جذبته رجلٌ شديدُ الجذب، فأخذ ما أخذ، وأبقى ما أبقى".

وها هو عمر -رضي الله عنه المبشر بالجنة يتمنى لو انه يملك طلاع الأرض  
ذهبا ليفتدي به من هول المطلع فعن عمر -رضي الله عنه -يقول: "لو أن لي طلاع  
الأرض ذهبًا، لافتديت بها من هول المطلع".

عبد الله: هل رأيت المناشير وهي تنشر الخشب هل رأيت المقاريض وهي  
تقرض؟

١ - في ظلال القرآن (٦ / ٣٣٦٤)

لعلك رأيت ذلك فسكرات الموت اشد منها قال شداد بن أوس: "الموت أفظع هول في الدنيا والآخرة على المؤمن، وهو أشد من نشرٍ بالمناشير وقرض بالمقاريض، وعَلِيّ في القدور، ولو أن الميت نُشِرَ (بُعِثَ من قبره)، فأخبر أهل الدنيا بألم الموت، ما انتفعوا بعيش ولا تلذذوا بنوم".

وقد يرى المسلم شدة السكرات والغمرات على الميت ولكن من يتعظ ومن يعتبر؟

انظروا إلى حال الحسن البصري -رحمه الله لما دخل على مريض يعود "فوجده في سكرات الموت، فنظر إلى كُرْبِهِ، وشِدَّةِ ما نَزَلَ به، فرجع إلى أهله بغير اللون الذي خرج به من عندهم، فقالوا له: الطعام يرحمك الله! فقال: يا أهلاه، عليكم بطعامكم وشرابكم، فوالله لقد رأيتُ مصرعًا لا أزال أعمل له حتى ألقاه".

أخي المسلم ولا ينبئك ثم خبير لما حضرت عمرو بن العاص -رضي الله عنه - الوفاة قال له ابنه عبد الله:

"يا أبتاه، إنك قد كنتَ تقول لنا: ليتني كنتُ ألقى رجلاً عاقلاً عند نزول الموت، حتى يَصِفَ لي ما يَجِدُ، وأنت ذلك الرجل، فصِفْ لي الموتَ، فقال: والله يا بني لكأن جَنِيّ في تَحْتِ (١)، وكأني أتَنَفَّسُ من سَمِّ إبرة، وكأن غصن الشوك يُجْرُّ به من قدمي إلى هامتي، ثم قال:

ليتني كنتُ قبل ما بدا لي

في قلال (٢) الجبالِ أرعى الوعولا والله ليتني كنتُ حيضًا (٣)، أعركتني (٤) الإماء

١ - التخت: وعاء تُصان فيه الثياب.

٢ - القلال: جمع قُلَّة، وقُلَّةٌ كل شيء قمته وأعلاه.

٣ - الحِرقة: التي تستنفر بها الإماء

٤ - وعركه؛ أي: دلّكه.

بدريب الإذخر<sup>(١)</sup>؛

### العنصر الأنبياء والسكرات

أحباب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الأنبياء هم صفوة خلق الله من خلقة وهم أعلى مكانا وأسمى منزلة وعلى الرغم من ذلك لم يسلم الأنبياء من الموت وشدة السكرات وإليكم مشاهد الأنبياء وهم على فراش الموت

خليل الرحمن إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - ذلك النبي الذي جعل الله تعالى النار بردا و سلاما عليه ذلك النبي الذي وصفه الله تعالى بقوله: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (١٢٠) شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ أَجْتَبَنَاهُ وَهَدَيْنَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَأَتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّا فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ [النحل: ١٢٠ - ١٢٣]

وعلى الرغم من سمو المنزلة لم يسلم من الموت ولا من السكرات

يروى عن إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - لما مات قال الله - عز وجل - له:

((كيف وجدت الموت؟ قال إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - : كسفود<sup>(٢)</sup> جُعِل

في صوف رَطْب ثم جُدِب، فقال له رب العزة: أما إننا قد هَوْنَا عليك)).<sup>(٣)</sup>

كليم الله موسى عليه السلام: من قال له ربه سبحانه وتعالى { قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ }

[الأعراف: ١٤٤]

١ - (كتاب المحضرين ص ٩٣).

٢ - السفود: حديدة معقفة يشوى عليها اللحم.

٣ - العاقبة في ذكر الموت (ص: ١١٤)



يعاني السكرات ويصف لنا شدتها

يُروى عن موسى -عليه السلام-: "أنه لما صارت رُوحه إلى الله -عز وجل - قال له ربه: ((يا موسى، كيف وجدت الموت؟ قال: وجدتُ نفسي كشاة حية بيد القصاب<sup>(١)</sup> تُسلخ))."<sup>(٢)</sup>

ورُوي عنه أيضًا أنه قال:

"وجدتُ نفسي كالعصفور الحي حين يُقلى في المقلَى، لا يموت فيستريح، ولا ينجو فيطير".<sup>(٣)</sup>

### حبيب الرحمن محمد ﷺ

وقد عانى الرسول ﷺ كذلك من هذه السكرات؛ فقد أخرج البخاري من حديث عائشة -رضي الله عنها- قالت: "إن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كان بين يديه ركوة<sup>(٤)</sup> -أو علبه فيها ماء، يشك عمر (أحد رواة الحديث) -فجعل يُدخل يده في الماء فيمسح بها وجهه ويقول: ((لا إله إلا الله، إن للموت سكرات))، ثم نصب يده فجعل يقول: ((في الرفيق الأعلى))، حتى قُبِضَ ومالت يده"، قال أبو عبد الله: العلبه من الخشب، والركوة من الأدم (الجلد).

وأخرج البخاري عن عائشة أيضًا -رضي الله عنها- قالت: "مات رسول الله -صلى الله عليه وسلم- -وإنه بين حاقنتي<sup>(٥)</sup> وذاقنتي<sup>(٦)</sup>، فلا أكره شدة الموت لأحد بعد رسول الله ﷺ".

١ - القصاب: الجزار.

٢ - العاقبة في ذكر الموت (ص: ١١٤)

٣ - العاقبة في ذكر الموت (ص: ١١٤)

٤ - الركوة: إناء صغير من الجلد يُشرب فيه الماء.

٥ - الحاقنة: المطمئن بين الترقوة والحلق.

٦ - الذاقنة: نقرة الذقن، وقيل غير ذلك



وفي "الصحيح" أيضًا: "أنه لما نُقِلَ النبي -صلى الله عليه وسلم- جعل يتغشاه الكرب، فجعلت فاطمة -رضي الله عنها- تقول: واكرب أبتاه! فقال -صلى الله عليه وسلم-: «(لا كَرْبَ على أبيك بعد اليوم)».

وعند الإمام أحمد بسند صحيح عن أنس -رضي الله عنه- قال: "لما قالت فاطمة ذلك -يعني لما وجد رسول الله ﷺ من كَرْب الموت ما وجد، قالت فاطمة: واكرباه! قال رسول الله ﷺ: ((يا بُنَيَّةُ، إنه قد حضر بأبيك ما ليس الله بتارك منه أحدًا لموافاة يوم القيامة))<sup>(١)</sup>

أقول هذا القول، وأستغفر الله العظيم الكريم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب؛ فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

### الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين.  
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله،  
صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً.

أما بعد:

### الحكمة من تشديد السكرات على خير المخلوقات

ما الحكمة من تشديد الموت على النبيين وهم أفضل الخلق على الإطلاق؟  
يُجيب عن هذا القرطبي -رحمه الله- فقال: "لتشديد الموت على الأنبياء فائدتان:  
الأولى: تكميل فضائلهم ورفع درجاتهم، وليس ذلك نقصاً ولا عذاباً، بل هو  
من جنس ما قال النبي ﷺ كما في الحديث الذي أخرجه الترمذي وابن ماجه وأحمد:  
«(إن أشد الناس بلاءً الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل)».

١- (السلسلة الصحيحة: ١٧٣٨).

الثانية: أن يعرف الخلق مقدار ألم الموت وأنه باطن، وقد يطَّلَع الإنسان على بعض الموتى، فلا يرى عليه حركة ولا قلقًا، ويرى سهولة خروج الرُّوح، فيظن سهولة أمر الموت، ولا يعرف ما الميت فيه

فإذا كانت هذه سكرات الموت على الأنبياء والمرسلين وعباد الله الطيبين، فكيف بالظالمين الذين قال عنهم رب العالمين: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيَهُمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْرَوْنَ عَذَابَ أَلْهُونَ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [الأنعام: ٩٣].

### موعظة:

يقول الحسن البصري -رحمه الله-: "اتقِ الله يا ابن آدم، لا يجتمع عليك خصلتان: سكرة الموت، وحسرة الفوت".

وقال ابن السماك: "احذر السكرة والحسرة، أن يفجأك الموت وأنت على الغرّة، فلا يصف واصفٌ قدر ما تلقى".

### (٥) رحلة الأشقياء إلى دار العناء

الحمد لله ذو العرش المجيد، والبطش الشديد، الفعال لما يريد، المنتقم ممن عصاه بنار

تلظى بدوام الوقيد، المكرم سبحانه وتعالى لمن أطاعه واتقاه بجنات لا ينفذ نعيمها ولا يغيب، فسبحان الذي قسم خلقه قسمين وجعلهم فريقين فمنهم شقي وسعيد [من عمَل صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ] [فصلت: ٤٦] ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الواحد الأحد، القيوم الصمد، الذي

لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، لا مغِيث غير الله،

ولا مجير غير الله، ولا معين غير الله، ولا ناصر غير الله، ولا مفرج لهمومنا

وكروبنا إلا الله

فإذا أصابك همٌ فقل يا الله

وإذا أصابك حزنٌ فقل يا الله

وإذا واجهتك المشكلات فقل يا الله

وإذا اجتمعت عليك الدنيا بأسرها فقل الله، فإنه لا مفرج لكل ذلك إلا الله

ونشهد أن محمد رسول الله النبي المصطفى والرسول المجتبي الرحمة المهداة

والنعمة المسداة، صاحب المقام المحمود والحوض المورد الشفاعة العظمى، سيد

الأولين والآخرين على الله ولا فخر،

اللهم صل عليه وسلم على آله وأصحابه الطيبين الأبرار الذين كانوا فيما بينهم

رحماء فرضى عنه رب الأرض والسموات وعن التابعين وتابعين بإحسان إلى يوم

الدين

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾

[آل عمران ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا

رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ءَ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾

[النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ

وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب

**أما بعد**

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدى محمد -صلى الله عليه وسلم -  
 - وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثاتها بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في  
 النار.

**الخطبة الأولى**

الحمد لله الذي هدم بالموت مشيد الأعمار ، وحكم بالفناء على أهل هذه الدار ،  
 فجعلهم أغراضا لسهام الأقدار ، ووكّل بهم أمراضا تزعجهم عن القرار ، ولم يخص  
 بها الفقراء دون ذوي اليسار ، أحده على نعمه وأعوذ به من العتو والإصرار ،  
 وأشهد أن لا إله إلا الله شهادة منجية من النار ... وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ،  
 أرسله الله بأيمن شعار وأنور منار ، اللهم صل عليه وعلى آله وصحبه آناء الليل  
 وأطراف النهار.

**العنصر الأول: ما يعاينه قبل الموت**

إخوة الإيمان: عندما الاحتضار وقبل خروج الروح يبدأ العذاب وتنكشف  
 الحقائق ويعاين العبد ملائكة العذاب تأتيه ملائكة الموت في صورة مخيفة فعند  
 خروج رُوح العبد الكافر أو المنافق، تأتيه ملائكة الموت في صورة مخيفة.

ففي الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد عن البراء بن عازب أن النبي -صلى الله  
 عليه وسلم -قال: ((وإن العبد الكافر - وفي رواية: الفاجر - إذا كان في انقطاع من  
 الدنيا، وإقبال من الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكة (غلاظ شداد)، سود الوجوه  
 معهم المسوح (من النار)، فيجلسون منه مدّ البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس  
 عند رأسه، فيقول، أيتها النفس الخبيثة، اخرجي إلى سخط من الله وغضب، قال:  
 فتفرق في جسده، فيتنزّعها كما يتنزع السفود (الكثير الشعب) من الصوف  
 المبلول..... تتقطّع معها العروق والعصب)).

فتخيل عبد الله مشهد هؤلاء الملائكة وقد دخلوا على ذلك العبد العاصي الذ  
عصى ربه و مولاه و أطاع شيطانه وهواه كيف يكون حاله؟

### العنصر الثاني: ما يعاينه من شدائد عند الموت:

أما عند السكرات و ما يلقيه من غمرات الموت و غصصه مع ما يلاقيه من  
ضرب للوجه و ضرب للدبر و هو مع هذا الهول و في وسط تلك الغمرات يبشرونه  
بما يجلب عليه الندم و الحسرات على ما بدر من عصيان لرب الأرض و السماوات و  
من ترك للفرائض و الطاعات و من مبارزة الله تعالى بالكفر و المخالفات اسمع أيها  
العاصي قال الله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ  
وَأَذْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ [الأنفال: ٥٠، ٥١].  
لِلْعَبِيدِ

قال ابن كثير: "يقول تعالى: ولو عاينت يا محمد حال توفِّي الملائكة أرواح  
الكفار، لرأيت أمرًا عظيمًا هائلًا فظيعةً مُنكرًا؛ إذ يضربون وجوههم وأذبارهم،  
ويقولون لهم: ﴿ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾".

يا لها من حياة أولها عذاب وأولها توبيخ و تقرير يقول الله -تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا  
تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَذْبَارَهُمْ ﴾ [محمد: ٢٧، ٢٨].<sup>(١)</sup>  
وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَاهُمْ

من تشاهدونه الآن إنما هو حصاد أعمالكم وأعماركم.....

قال السعدي في "تفسيره" (٥: ٣٥): ﴿ فَكَيْفَ ﴾ ترى حالهم الشنيعة،  
ورؤيتهم الفظيعة، ﴿ إِذَا تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ ﴾: الموكِّلون بقبض أرواحهم، ﴿ يَضْرِبُونَ  
وُجُوهَهُمْ وَأَذْبَارَهُمْ ﴾: بالمقامع الشديدة؟!

١ - "تفسيره" (٢: ٣١٩)

يا من تكذب على الله يا مستكبر على عباد الله انظر و تأمل هذا المشهد و-  
عصمني الله وإياكم من خاتمة السوء - قال الله - جل ثناؤه - ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ  
فِي غَمَرَاتِ الموتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنفُسَكُمْ اليَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ  
الهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [الأنعام:  
٩٣].

قال السعدي: " ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الموتِ ﴾؛ أي: شدائده  
وأهواله الفظيعة، وكُربه الشنيعة، لرأيت أمراً هائلاً، وحالة لا يقدر الواصف أن  
يصفها" (١)

وقوله تعالى: " ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ ﴾ جوابه محذوف، تقديره: لرأيت أمراً عظيماً، وهذه  
عبارة عن التعنيف في السياق، والشدة في قبض الأرواح" (٢)

وقوله تعالى: ﴿ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ ﴾ [الأنعام: ٩٣]؛ أي: بالضرب، كقوله: ﴿ لَئِن  
بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي ﴾ [المائدة: ٢٨]، وقوله: ﴿ وَيَسْطُورُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ  
وَأَلْسِنَتَهُمْ ﴾ [المتحنة: ٢].

ولهذا قال تعالى: ﴿ وَيَسْطُورُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ ﴾ [المتحنة: ٢]، قال ابن كثير:  
"أي: بالضرب لهم حتى تخرج أنفسهم من أجسادهم؛ ولهذا يقولون لهم:  
﴿ أَخْرَجُوا أَنفُسَكُمْ ﴾ [الأنعام: ٩٣]، وذلك أن الكافر إذا احتضر بشرته الملائكة  
بالعذاب، والنكال، والأغلال والسلاسل، والجحيم والحميم، وغضب الرحمن  
الرحيم، فتنفّرق رُوحه في جسده، وتعصي وتأبى الخروج، فتضربهم الملائكة حتى  
تخرج أرواحهم من أجسادهم، قائلين لهم: ﴿ أَخْرَجُوا أَنفُسَكُمْ اليَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ  
الهُونِ [١] بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [الأنعام:

١ - (تيسير الكريم الرحمن: ٤٥/٢).

٢ - (التسهيل؛ لابن جزي: ٢٧٩/١).

[٩٣].. الآية؛ أي: اليوم تُهانون غاية الإهانة، كما كنتم تكذبون على الله، وتستكبرون عن اتباع آياته والانقياد لرسله" (١)

وقال تعالى ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا﴾ [الفرقان: ٢٢].

لو أن له طلاع الأرض ذهبًا، وافتدى بها من هول هذا المطلاع، ورؤية ملك الموت والملائكة الذين معه لافتدى، لا طاقة له برؤية ملائكة سود الوجوه غلاظ شداد.

قال ابن كثير: "أي هم لا يرون الملائكة في يوم خير لهم، بل يوم يرونهم لا بُشْرَى يومئذ لهم، وذلك يصدق على وقت الاحتضار، حين تُبشّرهم الملائكة بالنار والغضب من الجبار، وهذا بخلاف حال المؤمنين حال احتضارهم، فإنهم يُبشّرون بالخيرات، وحصول المسرات".

تُبشّره الملائكة بما يسوؤه: أخرج ابن ماجه والإمام أحمد من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «(وإذا كان الرجل السوء قال: اخرجني أيتها النفس الخبيثة، كانت في الجسد الخبيث، اخرجي ذميمة وأبشري بحميم وغساق، وآخر من شكله أزواج، فلا يزال يُقال لها ذلك حتى تخرج، ثم يُعرج بها إلى السماء، فلا يُفتح لها، فيقال: من هذا؟ فيقال: فلان، فيقال: لا مرحبًا بالنفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث، ارجعي ذميمة؛ فإنها لا تفتح لك أبواب السماء، فيُرسل بها من السماء ثم تصير إلى القبر)» (٢)

### العنصر الثالث: ما يعاينه من أهول وعذاب بعد خروج الروح

أحباب رسول الله ﷺ وتأتي المرحلة الثالثة من مراحل العناء والشقاء والعذاب

١ - (تفسير ابن كثير: ٢/١٥٧).

٢ - (حسنه الألباني في "تخريج المشكاة": ١٦٢٨).



رحلة الأشقياء - أعاذني الله وإياكم من غصصها - بعد خروج الروح من البدن

### أولاً: لا تُفتح له أبواب السماء:

قال رسول الله ﷺ «إن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة - يعني عند الاحتضار - نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه، معهم المسوح، فيجلسون منه مدَّ البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة، اخرجي إلى سخطٍ من الله وغضب، قال: فتفرق في جسده، فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح، ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وُجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها فلا يمرُّون بها على ملاء من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث؟ فيقولون: لفلان بن فلان، بأقبح أسمائه التي كان يُسمَّى بها في الدنيا، حتى يُنتهى بها إلى السماء الدنيا، فيُستفتح له فلا يُفتح له، ثم قرأ رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ﴿لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠]»<sup>(١)</sup>

### ثالثاً: تخرج روحه كأنتن جيفة:

ومن صور العذاب التي يلقيها بعد خروج روحه أن تخرج روحه كأنتن جيفة ووجدت على ظهر الأرض

أخرج النسائي وابن حبان والحاكم من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أيضاً، قال رسول الله ﷺ: «وإن الكافر إذا احتضر أتته ملائكة العذاب بمسح»<sup>(٢)</sup> فيقولون: اخرجي ساخطة مسخوطاً عليك، إلى عذاب الله، فتخرج كأنتن ريح جيفة، حتى يأتون به باب الأرض، فيقولون: ما أنتن هذه الريح، حتى يأتون به

١ - أخرجه الإمام أحمد

٢ - ثوب من الشعر غليظ.

أرواح الكفار)<sup>(١)</sup>.

وفي رواية عند النسائي والحاكم: (( وأما الكافر، فتأتيه ملائكة العذاب بمسح، فيقولون: اخرجي إلى غضب الله تعالى، فتخرج كأنتن ريح جيفة، فيذهب به إلى باب الأرض)).<sup>(٢)</sup>

وفي رواية: ((وأما الكافر إذا قبضت نفسه، وذُهب بها إلى باب الأرض، تقول خزنة الأرض: ما وجدنا ريحاً أنتن من هذه، فيبلغ الأرض السفلى))<sup>(٣)</sup>

#### رابعاً: كتابة كتابه في سجين وطرح روحه من السماء

إخوة الإسلام: من مما يلاقيه العبد العاصي أو الفاجر أن يسمع حكم احكم الحاكمين فيه يرى ماله عند الله من عذاب عظيم

ففي حديث البراء قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتاب عبدي في سجين في الأرض السفلى، وأعيدوه إلى الأرض، فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى، قال: فيطرح روحه طرحاً، قال: ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: {ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق} <sup>(٤)</sup>

أتدري ما سجين عبد الله؟

اسمع إلى ذلك التفسير الرباني في كتابه العزيز يحث يقول وهو اصدق القائلين {كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سَجِّينٍ (٧) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَجِّينٌ (٨) كِتَابٌ مَرْقُومٌ (٩)}

١- (السلسلة الصحيحة ٣: ٢٩٤)

٢- أخرجه النسائي (٨/٤)، رقم (١٨٣٣)، والحاكم (١/٥٠٤)، رقم (١٣٠٢)

٣- صحيح موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان (١/٣٢٥) قال الألباني في الصحيحة: (٣/٢٦٣): صحيح الإسناد، والأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخ.

٤- مصنف ابن أبي شيبة - ترقيم عوامة (٣/٣٨٢)

وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (١٠) الَّذِينَ يَكْذِبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ {المطففين: ٧- ١١}

يقول سيد قطب - رحمه الله - والفجار هم المتجاوزون للحد في المعصية والإثم. واللفظ يوحي بذاته بهذا المعنى. وكتابهم هو سجل أعمالهم. ولا ندري نحن ماهيته ولم نكلف هذا. وهو غيب لا نعرف عنه إلا بمقدار ما يخبرنا عنه صاحبه ولا زيادة فهناك سجل لأعمال الفجار يقول القرآن: إنه في سجين. ثم يسأل سؤال الاستهوال المعهود في التعبير القرآني: {وما أدراك ما سجين؟} فيلقي ظلال التفخيم ويشعر المخاطب أن الأمر أكبر من إدراكه، وأضخم من أن يحيط به علمه. ولكنه بقوله: {إن كتاب الفجار لفي سجين} يكون قد حدد له موضعاً معيناً، وإن يكن مجهولاً للإنسان. وهذا التحديد يزيد من يقين المخاطب عن طريق الإيحاء بوجود هذا الكتاب.

وهذا هو الإيحاء المقصود من وراء ذكر هذه الحقيقة بهذا القدر، دون زيادة.

ثم يعود إلى وصف كتاب الفجار ذلك فيقول: إنه {كتاب مرقوم}.. أي مفروغ منه، لا يزداد فيه ولا ينقص منه، حتى يعرض في ذلك اليوم العظيم.

فإذا كان ذلك: كان {ويل يومئذ للمكذبين}!

ويحدد موضوع التكذيب، وحقيقة المكذبين:

{الذين يكذبون بيوم الدين. وما يكذب به إلا كل معتد أثيم. إذا تتلى عليه آياتنا

قال: أساطير الأولين}..

فالاعتداء والإثم يقودان صاحبهما إلى التكذيب بذلك اليوم؛ وإلى سوء الأدب

مع هذا القرآن فيقول عن آياته حين تتلى عليه: {أساطير الأولين}.. لما يحويه من

قصص الأولين المسوقة فيه للعبرة والعظة، وبيان سنة الله التي لا تتخلف، والتي

تأخذ الناس في ناموس مطرد لا يجيد (١)

ومن هول ما يعانيه أن تلقى روحه وتطرح روحه طرحاً من السماء فتهوي إلى مكان سحيق يقول الله تعالى {حُنْفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَفَهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ} [الحج: ٣١]

أقول هذا القول، وأستغفر الله العظيم الكريم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب؛ فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

### الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين.  
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،  
صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً.

أما بعد:

### العنصر الرابع ما يعانيه من عذاب وأهوال عند دخول قبره

وإذا كان ما مر بنا من أهوال وشدائد مما يعاينه المرء عند الموت وبعد خروج روحه هيا لنرى ما يلاقيه من عذاب ومن عقاب في أول ليلة لدخول بيته الجديد ألا وهو القبر

يوماً وليلتان ما مر عليهما الإنسان في حياته: أول ليلة في القبر وأول ليلة إما في الجنة وإما في النار، يقول:

إني أبثك من حديثي والحديث له شجون

فارقت موضع مرقدي ليلاً ففارقني السكون

القبر أول ليلة بالله قل لي ما يكون

---

١ - في ظلال القرآن (٧ / ٤٨٧)

انظروا إلى ذلك المشهد الغيبي الذي يصوره لنا الحبيب النبي -صلى الله عليه وسلم- لأول ليلة تأتي على الفاجر والكافر في قبره

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم (فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول لا أدري سمعت الناس يقولون فيقولان ما دينك فيقول لا أدري فيقال له ما هذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول لا أدري فينادي مناد من السماء أن صدق فأفرشوه من النار وألبسوه من النار وافتحوا له بابا من النار فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب متنن الريح فيقول أبشر بالذي يسرك هذا يومك الذي كنت توعده فيقول من أنت فوجهك الوجه يجيء بالشر فيقول أنا عمالك الخبيث فيقول رب لا تقم الساعة لا تقم الساعة)(١)

وفي هذا الحديث عدة أهوال وألوان من عذاب القبر

أنه لا يستطيع الإجابة على أسئلة الملكين. لقد كان فصيحاً متكلماً في الدنيا لا يكف لسانه عن الوقوع في أعراض المسلمين والمسلمات ما الذي أخرسه؟ ما الذي أجمه؟

إنه عمله فلا يستطيع أن يجيب على أسئلة لو سئل عنها الأمي الذي لا يقرأ ولا يكتب في الدنيا لأجاب بلسان عربي فصيح كيف يدري وكان قدوته من الدنيا كافراً مطرباً نصرانياً، قدوته من الدنيا في لباسه ومظهره؟

كيف يدري وكان في الدنيا يستهزئ بسنته عليه الصلاة والسلام؟

---

١ - أخرجه الطيالسي (ص ١٠٢، رقم ٧٥٣)، وأحمد (٤/٢٨٧، رقم ١٨٥٥٧)، وقال الهيثمي (٥٠/٣): رجاله رجال الصحيح

كيف يدري وكان ينام على عشقها وحبها ويتغزل بالتفكير فيها؟

كيف يدري وكان لا يعرف القرآن سنين طويلة؟

كيف يدري وكان يسمع الأذان ويولي؟

كيف يدري -يا عبد الله- وكان ينام على الفجور ويقوم على الفجور؟

\*أنه يُضَيَّق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه وتلك ضمة القبر التي تكسر أضلاع

العصاة والفجرة من بني آدم - نجانا الله تعالى وإياكم من هولها -

يُمَثَّل له عمله الخبيث على صورة رجلٍ أسود الوجه، قبيح الثياب، مُتِن الرياح،

فيقول له: أبشر بالذي يسوؤك.

ومما يعاينه ويلاقيه من هول ومن عذاب رؤية جليسه وهو عمله السيء وقد مثل

له على صورة رجل خبيث قبيح الثياب متِن الرائحة هذا هو عملك الذي كنت

تفتخر به في الدنيا فكم من إنسان يجاهر بالمعصية ويعمل على نشرها وهو فرح

مسرور قد تعطر بأجمل أنواع العطور في الدنيا ولكنه دنس نفسه ورحمة بالمعصية

والجحود ولو أن للمعاصي رائحة ما استطاع أحد أن يجالسه في ذا دخل قبره ظهرت

الحقائق وانتشرت الفضائح

عبد الله: من لك إذا الم الألم، وسكن الصوت وتمكن الندم، ووقع الفوت،

وأقبل لأخذ الروح ملك الموت، ونزلت منزلاً ليس بمسكون، فيا أسفاً لك كيف

تكون، وأهوال القبر لا تطاق.

يا من عمله بالنفاق مغشوش، تتزين للناس كما يُزين المنقوش، إنما يُنظر إلى

الباطن لا إلى النقوش، فإذا هممت بالمعاصي فاذاً يوم النعوش، وكيف تُحمل إلى

قبر بالجنديل مفروش

\* يُفَيِّض له أعمى أصم، فيضربه بمرزبة، لو ضُرب بها جبل كان تراباً.

يقيض الله تعالى له زبانية أعمى حتى لا يراه فيرحمه أصم لا يسمع حتى لا يسمع استغاثته فيرق له

قال ابن حجر: معلوم استمرار العذاب عليه في قبره فيحتمل أنها إذا أعيدت تضرب أخرى فيصير تراباً، ثم يعاد فيه الروح، وهكذا، ويحتمل أن تلك الإعادة لا تتكرر، وأن عذابه يكون بغير ذلك، وهو ظاهر الحديث، وقال ابن الملك: يعني لا ينقطع عنه العذاب بموته، بل تعاد فيه الروح بعد موته ليزداد عذاباً. والحديث نص في أن الكافر غير المنافق أيضاً يسئل في القبر، خلافا لابن عبد البر، والسيوطي، ومن وافقها. (١)

\*يُفْتَحُ له باب من النار، ويُمَهَّدُ له فُرْشُ النار.

ومما يعانیه ويلاقيه من عذاب أن يفرش له في قبره من نار ويفتح له باب إلى النار إخواته: - سلوا القبور عن سكانها، واستخبروا اللحدود عن قطانها، تحبركم بخشونة المضاجع، وتعلمكم أن الحسرة قد ملأت المواضع، والمسافر يود لو انه راجع، فليتعظ الغافل و ليراجع.

الدعاء: .....

\* \* \*

---

١ - مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (١/ ٢٢٨)

## (٦) بَشَائِرُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ عِنْدَ الْمَمَاتِ <sup>(١)</sup>

### الخطبة الأولى

الحمد لله الذي هدم بالموت مشيد الأعمار ، وحكم بالفناء على أهل هذه الدار ، فجعلهم أغراضا لسهام الأقدار ، ووكل بهم أمراضا تزعجهم عن القرار ، ولم يخص بها الفقراء دون ذوي اليسار ، أحده على نعمه وأعوذ به من العتو والإصرار ، وأشهد أن لا إله إلا الله شهادة منجية من النار . . . وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أرسله الله بأيمن شعار وأنور منار ، اللهم صل عليه وعلى آله وصحبه آناء الليل وأطراف النهار.

نعيش في هذا اليوم الطيب الأغر مع بَشَائِرِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ عِنْدَ الْمَمَاتِ، فالله تعالى يبشر عباده عند الموت ببشائر عظيمة و ببشائر تشرح صدورهم وتقر أعينهم ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٦٢) ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ (٦٣) لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا بُدَّ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (٦٤) وَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (٦٥) [يونس: ٦٢ - ٦٥]

### البشارة الأولى البشارة الرمضانية

أخي المسلم: إن من أعظم البشائر أن يرى الإنسان و هو على فراش وأن يسمع العبد النداء الرباني الذي ينزل على قلب المسلم بردا و سلام و أمانا و أمان استمع أخي الحبيب معي إلى ذلك النداء - جعلني الله وإياكم منهم - {يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي (٣٠)} [الفجر: ٢٧ - ٣٠] {يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ} أي يا أيُّهَا النفس التي قد استيقنت الحق، فلا يخالجه شك، ووقفت عند حدود الشرع، فلا تززعها الشهوات، ولا تضطرب بها الرغبات.

(ارْجِعِي إِلَى رَبِّكَ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً) أي ارجعي إلى محل الكرامة بجوار ربك، راضية عما عملت في الدنيا، مرضيا عنك، إذ لم تكوني ساخطة لا في الغنى ولا في الفقر، ولم تتجاوزي حدود الشرع فيما لك من حق وما عليك من واجب.

ثم ذكر جميل عاقبتها فقال:

(فَادْخُلِي فِي عِبَادِي) أي فادخلي في زمرة عبادي المكرمين، وانتظمي في سلوكهم، وكوني في جملتهم، فالنفوس القدسية كالمرايا المتقابلة، يشرق بعضها على بعض، وكأنها تربي في هذه الدنيا بالآلام وتزين بالمعارف والعلوم، حتى إذا فارقت الأبدان جعلت في أماكن متقاربة، بينها صفاء ومودة، وحسن صلة ومحبة.

(وَأَدْخُلِي جَنَّتِي) فتمتعي فيها بما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على

قلب بشر. (١)

قال الحسن البصري: إن الله تعالى إذا أراد أن يقبض روح عبده المؤمن، اطمأنت النفس إلى الله تعالى، واطمأن الله إليها.

وقال عمرو بن العاص: إذا توفي المؤمن أرسل الله إليه ملكين، وأرسل معهما تحفة من الجنة، فيقولان لها: اخرجي أيتها النفس المطمئنة راضية مرضية، ومرضيا عنك، اخرجي إلى ووح وريحان، ورب راض غير غضبان، فتخرج كأطيب ريح المسك وجد أحد من أنفه على ظهر الأرض. (٢)

### البشارة الثانية استقبال الملائكة لنفس المؤمن

أحباب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ملائكة الرحمة تنزل عليه وتقوم بحفل استقبال مهيب لتلك النفس المؤمن

١ - تفسير الشيخ المراغي (٣٠ / ١٥٤)

٢ - الجامع لأحكام القرآن (٢٠ / ٥٨)

فملائكة الله تكون في استقبال أهل الإيمان يعنى كتائب من حرس الشرف

عن البراء ، قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الأنصار ، فانتهينا إلى القبر ولما يلحد ، فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلسنا حوله كأننا على رؤوسنا الطير ، وفي يده عود ينكت به ، ورفع رأسه ، فقال : استعيذوا بالله من عذاب القبر ثلاث مرات ، أو مرتين ، ثم قال : إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة بيض الوجوه ، كأن وجوههم الشمس ، حتى يجلسون منه مد البصر ، معهم كفن من أكفان الجنة ، وحنوط من حنوط الجنة ، ثم يجيء ملك الموت فيقعده عند رأسه فيقول : أيتها النفس الطيبة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان ، فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء فيأخذها ، فإذا أخذوها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن ، وذلك الحنوط ، فيخرج منها كأطيب نفخة مسك وجدت على وجه الأرض ، فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملك من الملائكة إلا قالوا : ما هذا الروح الطيب ؟ فيقولون : هذا فلان بن فلان بأحسن أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا ، حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا ، فيستفتح فيفتح لهم ، فيستقبله من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها ، حتى ينتهي به إلى السماء السابعة ، قال : فيقول الله تعالى (...)(<sup>١</sup>)

وأخرج ابن أبي الدنيا عن كعب : "أن إبراهيم -عليه السلام- قال لملك الموت : أرني الصورة التي تقبض فيها المؤمن ، فأراه ، فرأى من النور والبهاء شيئاً لا يعلمه إلا الله تعالى ، فقال : ولو لم ير المؤمن عند موته من قرة العين والكرامة إلا صورتك هذه ، لكان يكفيه"

فالملائكة تبشّر المؤمن بمغفرة الله ورضوانه ، وتبشّر الكافر والفاجر بسخط الله

١ - أخرجه الطيالسي (ص ١٠٢ ، رقم ٧٥٣) ، وأحمد (٤/ ٢٨٧ ، رقم ١٨٥٥٧)

وغضبه، وقد جاء صريحاً في كتاب الله تعالى أن الملائكة تنزل على المؤمنين بعدم الخوف والحزن، والبشرى بالجنة، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ نَزَّلْنَا مِنْ عَفْوَِرٍ رَحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت: ٣٠ - ٣٢]، أي إن الذين أخلصوا العمل لله، وعملوا بطاعة الله تعالى على ما شرع الله لهم تنزل عليهم الملائكة عند الموت والاحتضار قائلين لهم {أَلَّا تَخَافُوا} مما تقدمون عليه من عمل الآخرة {وَلَا تَحْزَنُوا} على ما خلفتموه من أمر الدنيا من ولد وأهل ومال أو دين؛ فإننا نخلفكم فيه {وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون} فيبشرونهم بذهاب الشر وحصول الخير، ذكر هذا ابن كثير ثم روى عن زيد بن أسلم قوله بأن البشرى تكون عند الموت وفي القبر وحين البعث، ثم علّق ابن كثير على رأي زيد بقوله: (وهذا القول يجمع الأقوال كلها، وهو حسن جداً، وهو الواقع) (١).

وقوله تعالى {نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ} أي تقول الملائكة للمؤمنين عند الاحتضار نحن كنا أولياءكم: أي قرناءكم في الحياة الدنيا نسددكم ونوفقكم ونحفظكم بأمر الله، وكذلك نكون معكم في الآخرة نؤنس منكم الوحشة في القبور، وعند النفخة في الصور، ونؤمنكم يوم البعث والنشور، ونجاوز بكم الصراط المستقيم، ونوصلكم إلى جنات النعيم” (٣).

وذكر الطبري في تفسيره أن تنزل الملائكة عليهم، في الآية، معناه أن الملائكة تتهبط عليهم عند نزول الموت بهم قائلة لهم: لا تخافوا ما تقدمون عليه من بعد

١ - تفسير القرآن العظيم ٤/١٠٠-١٠١.

٢ - المصدر السابق ص ١٠١.

مما تكم، ولا تحزنوا على ما تخلفونه وراءكم<sup>(١)</sup>

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وقد ذكروا أن هذا التنزل عند الموت<sup>(٢)</sup>

### أحوال الصالحين ورؤيتهم للملائكة

أيها الأخوة الأحاب: لقد شاهد الصالحون الملائكة وهم على فراش الموت

فزادهم ذلك ثباتا على ثباتهم وإيمانا على إيمانهم

هذا عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - عند موته يقول: أجلسوني، فأجلسوه،

فقال: أنا الذي أمرتني فقصرت، ونهيتني فعصيت، ولكن لا إله إلا الله، ثم رفع

رأسه فأحد النظر. فقالوا له: إنك لتنظر نظراً شديداً يا أمير المؤمنين. قال: إني أرى

حضرة ما هم بإنس ولا جن ثم قبض رحمه الله وسمعوا تالياً يتلو: { تِلْكَ الدَّارُ

الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ }

(القصص: ٨٣)<sup>(٣)</sup>

### البشارة الثالثة: التشبث عند الموت بالقول الثابت

ومن بشائر المؤمنين والمؤمنات: أن يشبثهم الله على القول الثابت عند خروج

الروح فيكون آخر كلامهم (لا إله إلا الله)

عباد الله أهل الثبات في الدنيا هم أهل الثبات في الآخرة: (يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا

بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ)

[إبراهيم: ٢٧]، فهم أهل الثبات في وقت أحوج ما يكونون فيه للثبات، قد

انقطعت عنهم حظوظ الدنيا، وأقبلوا على الآخرة، فأهل الثبات في الدنيا هم أهل

الثبات في القبر، فمن ثبت في الدنيا على الكتاب والسنة، ثبته الله في قبره عند

١ - جامع البيان في تفسير القرآن ٢٤ / ٧٤.

٢ - مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ٤ / ٢٦٨.

٣ - الجامع لسيرة عمر بن عبد العزيز. (٢ / ٦٥٤).

السؤال؛ فعن عثمان بن عفان -رضي الله عنه- قال: كان النبي -صلى الله عليه وسلم- إذا فرغ من دفن الميت، وقف عليه فقال: "استغفروا لأخيكم وسلوا له التثبيت؛ فإنه الآن يُسأل"<sup>(١)</sup>.

لذا عباد الله كان نبيكم ﷺ يكثر من الدعاء ويسأل رب الأرض والسماء أن يثبته على الإيمان

فهذه أم سلمة رضي الله عنها تحدّث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكثر في دعائه أن يقول: "اللهم مقلبَ القلوب، ثبت قلبي على دينك"، قالت: قلت: يا رسول الله، وإنَّ القلوب لتتقلب؟! قال: "نعم، ما خلق الله من بني آدم من بشر إلا إن قلبه بين إصبعين من أصابع الله، فإن شاء الله عز وجل أقامه، وإن شاء الله أزاعه"<sup>(٢)</sup>

أخرجه أحمد في مسنده والترمذي في جامعه بإسناد صحيح. وهذا أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول: "يا مقلب القلوب، ثبت قلبي على دينك"، قال: قلت: يا رسول الله، آمنابك وبما جئت به، هل تخاف علينا؟ قال: "نعم، إن القلوب بين إصبعين من أصابع الله، يقلبها كيف يشاء"<sup>(٣)</sup>

أقول هذا القول، وأستغفر الله العظيم الكريم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب؛ فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

١ - أخرجه الحاكم (٥٢٦/١، رقم ١٣٧٢) أبو داود (٢١٥/٣، رقم ٣٢٢١) انظر صحيح الجامع: ٩٤٥

٢ - أخرجه الحاكم (٥٢٦/١، رقم ١٣٧٢) انظر صحيح الجامع: ٩٤٥، صحيح الترغيب والترهيب: ٣٥١١

٣ - أخرجه أحمد (٢٩٤/٦) انظر صحيح الجامع: ٤٨٠١، الصحيحة: ٢٠٩١

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين.  
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله،  
صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما.

أما بعد:

### أحوال الخائضين عند الموت

\* ولما دنت الوفاة من عمر بن عبد العزيز رحمه الله بكى فقيل له ما يبكيك يا  
أمير المؤمنين أبشر فقد أحيا الله تبارك وتعالى بك سنة وأظهر عدلا فبكى ثم قال  
أليس أوقف ثم أسأل عن هذا الخلق والله لو عدلت فيهم لخفت أن لا تقوم نفسي  
بحجتها عند الله تعالى إلا أن يلقتها حجتها ويثبتها فكيف بكثير مما ضيعت ثم  
بكى (١)

\* ولما حضرت الوفاة أبا جعفر المنصور أمير المؤمنين تمثل بهذه الأبيات

المرء يأمل أن يعيـ ش وطول عيش قد يضره

تبلى بشاشته ويـ قى بعد حلو العيش مره

وتـحزنه الأيام حتـ سى لا يرى شيئا يسره

كم شامت بي أن هلكـ ست وقائل لله دره

ثم قال للربيع هذا السلطان لا سلطان من يموت ثم قال اللهم إني ارتكبت  
الجرائم من الذنوب جرأة عليك وأطعتك في أحب الأشياء إليك شهادة إن لا إله  
إلا الله منا منك لا منا عليك اللهم اجعل ذلك قرينة لي عندك ثم مات من ساعته  
وعن محمد بن منصور البغدادي قال دخلت على عبد الله بن طاهر وهو في

١ - العاقبة في ذكر الموت (ص: ١٢٦)

سكرات الموت فقلت السلام عليك أيها الأمير فقال لا تسمني أميرا وسمني أسيرا  
ولكن أكتب عني بيتين ما أراهما إلا آخر بيتين أقولهما ثم أنشأ يقول:

بادر فقد أسمعك الصوت ... إن لم تبادر فهو الفوت

من لم تزل نعمته قبله ... زال عن النعمة بالموت<sup>(١)</sup>

\* ولما حضرت أبا علي الروذباري الوفاة وكان رأسه في حجر ابنته فاطمة ففتح  
عينيه ثم قال هذه أبواب السماء قد فتحت وهذه الجنان قد زخرت وهذا قائل يقول  
يا أبا علي قد بلغناك الرتبة القصوى وإن لم تردها ثم قال

وحقك لا نظرت إلى سواك بعين مودة حتى أراك

أراك معذبي بفتور لحظ وبالخذ المورد من حياك

أراك منعمي بجميل ظن وبالأمن المكرم من رضاك

فلو قطعني في الحب إربا لما نظر الفؤاد إلى سواك

وكان أبو علي هذا ممن يعبد الله لذاته وكان يقول لا أريد الجنة ونعيمها إنما  
أريدك يا رب<sup>(٢)</sup> عن عبد الله بن المبارك أنه لما احتضر نظر إلى السماء فضحك ثم  
قال لمثل هذا فليعمل العاملون

ومثل هذا يروى عن بعض أصحاب ابن فورك وكان من الصالحين الكبار  
المجتهدين أنه لما نزل به الموت شخص يبصره إلى السماء ثم قال يا ابن فورك لمثل هذا  
فليعمل العاملون

وفتح ابن بنان عينيه عند الموت فقال ارتع فهذا مرتع الأحباب وخرجت روحه

١ - العاقبة في ذكر الموت (ص: ١٢٨)

٢ - العاقبة في ذكر الموت (ص: ١٣٤)

ولما نزل الموت بأبي يعقوب النهرجوري رحمه الله قال له أبو الحسن المزين قل لا  
إله إلا الله فتبسم أبو يعقوب وقال إياي تعني وعزة من لا يذوق الموت ما بيني وبينه  
إلا حجاب العزة ثم خرجت روحه من ساعته<sup>(١)</sup>

.....الدعاء

\* \* \*

---

١ - العاقبة في ذكر الموت (ص: ١٣٥)

## (٧) بَشَائِرُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ عِنْدَ الْمَمَاتِ (٢)

### الخطبة الأولى

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي أراد فقدر، وملك فقهر، وخلق فأمر  
وعبد فأثاب، وشكر، وعصي فعذب وغفر، جعل مصير الذين كفروا إلى سقر،  
والذين اتقوا ربهم إلى جنات ونهر، ليجز الذين كفروا بما عملوا، والذين امنوا  
بالحسنى

واشهد إن لا اله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل  
شيء قدير

يا رب رضاك خير إلي من الدنيا وما فيها يا مالك النفس قاصيها ودانيها

فنظرة منك يا سؤلي ويا أملئ خيراً إلى من الدنيا وما فيها

فليس للنفس أمال تحققها سوى رضاك فذا أقصى أمانها

وأشهد أن سيدنا وحيبنا وشفيعنا محمد عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه

وحيبه

بلغ الرسالة وأدى الأمانة وكشف الظلمة وأحاط به الغمة وجاهد في الله حق

جهاده حتى أتاه اليقين

يا سيدي يا رسول الله:

أنت الذي تستوجب التفضيلاً فصلوا عليه بكرة وأصيلاً

ملئت نبوته الوجود فأظهِرنا بحسامه الدين الجديد فأسفراً

ومن لم يصلي عليه كان بخيل فصلوا عليه وسلموا تسليلاً

وعلى اله وأصحابه ومن سار على نهجه وتمسك بسنته واقتدى بهديه واتبعهم

بإحسان إلى يوم الدين ونحن معهم يا أرحم الراحمين

**ثم أما بعد:**

أحباب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مازال الحديث موصول بفضل الله تعالى عن بشائر المؤمنين عن الموت بفضل الله علينا وأمة الإسلام عظيم ...

**البشارة الأول: أن الله يتولى أهله من بعده ويبشره بصلاح ولده**

أن الله يبشر المؤمن بعد موته بأنه يتولى أهله، وأنه تعالى خير لهم منه كما ورد بالحديث الشريف، كما يبشره بصلاح ولده من بعده فيقال له لا تخف على ولدك من ورائك، نحن سنصلح شأنه، ونتولى أمره وإياك أن تشك في هذا .... يقول الله: {وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا} [النساء: ٩]

فالله أرسل نبياً من أولى العزم من الرسل وولياً من الأولياء لبيننا جداراً كان قد تهدم من أجل ذرية الرجل الصالح وكانت هذه الذرية من الجيل السابع وليس الأب المباشر الصالح ولكنهم أحفاد أحفاده إلى سبعة فأرسل الله النبي (موسى) والعبد الصالح (الخضر) عليهما السلام لبيننا الجدار ويظل الكنز كما هو لا يعرف به أحد من الناس ليستخرج الأبناء الكنز بأنفسهم عندما يكبروا وهذا لم؟ ليعرفنا الله أن العمل الصالح لا يبقى للولد فقط ولكن لولد

الولد ويزيد إلى ما يشاء الله ولذلك فالأنصار عندما أكرموا النبي دعا لهم

دخل "مقاتل بن سليمان" رحمه الله على "المنصور" رحمه الله يوم بُويع بالخلافة

فقال له الخليفة "المنصور":

عظني يا "مقاتل"!

فقال:



أعظك بما رأيت، أم بما سمعت!

قال: بما رأيت ...

قال: يا أمير المؤمنين!

إن عمر بن عبد العزيز أنجب أحد عشر ولداً وترك ثمانية عشر ديناراً ،  
كُفِّنَ بخمسة دنانير، واشترى له قبر بأربعة دنانير ووزع الباقي على أبنائه ...  
وهشام بن عبد الملك أنجب أحد عشر ولداً، وكان نصيب كل ولدٍ من التركة  
مليون دينار

والله ... يا أمير المؤمنين:

لقد رأيت في يومٍ واحدٍ أحد أبناء عمر بن عبد العزيز يتصدق بمائة فرس للجهاد  
في سبيل الله،

وأحد أبناء هشام يتسول في الأسواق

وقد سأل الناس عمر بن عبد العزيز وهو على فراش الموت:

ماذا تركت لأبنائك يا عمر!

قال:

تركت لهم تقوى الله فإن كانوا صالحين فالله تعالى يتولى الصالحين، وإن كانوا  
غير ذلك فلن أترك لهم ما يعينهم على معصية الله تعالى ...

فتأمل، كثير من الناس يسعى ويكد ويتعب ليؤمن مُستقبل أولاده ظناً منه أن  
وجود المال في أيديهم بعد موته أمان لهم وغفل عن الأمان العظيم الذي ذكره الله في  
كتابه: {وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ  
وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا} [النساء: ٩]



## البشارة الثانية: مغفرة الله للميت

فتحضر الملائكة للصلاة عليه ويصلى أهل الإيمان والإسلام عليه وناهيك  
بصلاة أهل الإيمان فهي رحمة من الرحمن لنا جماعة المؤمنين فقد قال الحبيب ﷺ  
بشرى لنا معشر المؤمنين:

والأمة جماعة يبلغ عددها أربعون إلى مائة، وإذا لم نجد أربعين رجلاً ماذا نفعل؟  
وكانه وهو البصير بأمر ربه يعلن هذه عن مالك بن هبيرة رضي الله عنه: قال: سمعتُ رسولَ  
الله ﷺ يقول: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ، فَيُصَلِّيَ عَلَيْهِ ثَلَاثَةَ صَفُوفٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا  
أَوْجَبَ». فكان مالك إذا استقلَّ أهل الجنازة جَزَّأَهُمْ ثَلَاثَةَ صَفُوفٍ، لهذا الحديث. <sup>(١)</sup>  
وفي رواية الترمذي قال: «كان مالك بن هبيرة إذا صلى على جنازة، فَتَقَالَ النَّاسُ  
عَلَيْهَا جَزَّأَهُمْ ثَلَاثَةَ أَجْزَاءٍ، ثُمَّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ صَلَّى عَلَيْهِ ثَلَاثَةَ صَفُوفٍ  
أَوْجَبَ». <sup>(٢)</sup>

ولو كان الصف رجلاً واحداً، فإذا صلى عليه المؤمنون وجبت له الجنة، وإذا  
شيعوا جنازته فإن الملائكة تحضر تشييع جنازات المؤمنين... ولذلك يجب علينا ألا  
نتحدث إلا بما يرضى رب العالمين ﷺ، فقد روى أن رسول الله ﷺ خرج ماشياً في  
جنازة

وكانت جنازة سعد يحملها الناس على أطراف أصابعهم فلا يتمكنوا من  
إمساكهم بنعشه بأيديهم فعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: لما جُمِلَتْ جَنَازَةُ  
سعد ابن معاذ قال المنافقون: ما أخفَّ [ما كانت] جنازته - يعني لحكمه في بني  
قريظة - فبلغ ذلك رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: «إن الملائكة كانت

١ - أخرجه أحمد (٧٩/٤)، رقم (١٦٧٧٠)، وسنن أبي داود (٣/٢٠٢) [حكم الألباني]: ضعيف لكن  
الموقوف حسن

٢ - أخرجه أحمد (٧٩/٤)، رقم (١٦٧٧٠)، وأبو داود (٣/٢٠٢)، رقم (٣١٦٦) (ضعيف) انظر حديث  
رقم: ٥٢٢٠ في ضعيف الجامع

تحمله» (١)

عندما يصلون على الميت فيغفر له الله كل شيء، ولذلك النبي ﷺ أمرنا أن نشهد للميت، والصلاة على الميت شهادة له وإذا شهدنا للفرد المؤمن يدخل الجنة، عن يزيد بن شجرة قال: " خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة " وخرج الناس، فقال الناس خيرا، وأثنوا خيرا، " فجاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إن هذا الرجل ليس كما ذكروا، ولكنكم شهداء الله في الأرض، وأمناؤه على خلقه، فقد قبل الله قولكم فيه، وغفر له ما لا تعلمون " (٢)

### البشارة الثالثة: الروح والريحان في القبر

القبر أيها الأحباب موحش ليس فيه صاحب ولا جليس إلا العمل الصالح فإن كان العبد لله تعالى موحدا و بكتابه و سنة نبيه - صلى الله عليه وسلم - عاملا فإن جلسه و أنيسه في روضة غناء عمله الصالح، يؤنسه العمل الصالح أول ما يجلس وأول ما يضعونه في القبر وصفه رسول الله ﷺ، فقد قال ﷺ في بقية حديثه الذي ذكرنا: عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جِنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ، وَلَمَّا يُلْحَدُ لَهُ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ كَأَنَّ عَلَى رُءُوسِنَا الطَّيْرَ، فِي يَدِهِ عُوْدٌ يَنْكُتُ بِهِ فِي الْأَرْضِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: «اسْتَعِيدُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ» مَرَّتَيْنِ، أَوْ ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ { وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ حَسَنُ الثِّيَابِ، طَيْبُ الرَّيْحِ يَقُولُ: أَبَشِّرُ بِالَّذِي يَسْرُكُ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعِدُ، يَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالْحَيْرِ، يَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحِ، يَقُولُ: رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ، رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ، حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي } (٣)

١ - أخرجه الترمذي في السنن ٥ / ٦٩٠، كتاب المناقب (٥٠)، (صحيح المشكاة ٦٢٢٨)

٢ - (الإصابة) ج ٣ ص ٦٥٨، انظر الصحيحة: ١٣١٢

٣ - أخرجه الطيالسي (ص ١٠٢، رقم ٧٥٣)، وأحمد (٤ / ٢٨٧، رقم ١٨٥٥٧)



وفي الحديث الآخر عنه ﷺ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قال: «إِذَا قُبِرَ الْمَيِّتُ - أَوْ قَالَ: أَحَدُكُمْ - أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ، يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا: الْمُنْكَرُ، وَلِلْآخَرِ: النَّكِيرُ، فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ مَا كَانَ يَقُولُ: هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ هَذَا، ثُمَّ يُفْسَخُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا فِي سَبْعِينَ، ثُمَّ يُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: نَمَّ فَيَقُولُ: أَرْجِعْ إِلَى أَهْلِي فَأَخْبِرْهُمْ، فَيَقُولَانِ: نَمَّ كَنُومَةَ الْعُرُوسِ الَّذِي لَا يُوْقِظُهُ إِلَّا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ، حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ مُنَافِقًا قَالَ: سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ قَوْلًا، فَقُلْتُ مِثْلَهُ، لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ ذَلِكَ، فَيُقَالُ لِلْأَرْضِ: التَّثْمِي عَلَيْهِ، فَتَلْتَمُّ عَلَيْهِ، فَتَخْتَلِفُ أَضْلَاعَهُ، فَلَا يَزَالُ فِيهَا مَعْدَبًا حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ» (١)

إذا من المحبوس؟

هو الذي عليه حكم!!

فسؤال القبر يا إخواني كسؤال النيابة، فإذا كان الرجل ليس عليه شيء يأخذ إفراج، أما إذا كان عليه وزر!!، وعليه جرائم ومصائب!!، فيأخذ حبس واستمرار إلى يوم المحكمة يوم الخلاص.

أقول هذا القول، وأستغفر الله العظيم الكريم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب؛ فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

### الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين.

١ - أخرجه الترمذي (٣/٣٨٣، رقم ١٠٧١) السلسلة الصحيحة ١٣٩١.



وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله،  
صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما.

**أما بعد:**

### **البشارة الرابعة: حفل التكريم الملائكي**

هل رأيتم استقبال الملوك عندما يزورون مكاناً فيصطف لهم حرس الشرف  
ووجهاء وأكابر المستقبلين للتحية والتكريم والمقابلة والتسليم: هذا بعينه يحدث  
للروح الكريم فيأخذونها من حضن الملك الذى دللها حتى خرجت ويلبسونها  
ثياب التشریف ويعطرونها بطور التكريم فيزول عنها كل ما لاقت في دار التكليف  
وتستعيد كامل حضورها وتتضوع منها روائح أصلها، ثم يأخذونها في طابور  
العرض الإلهي والتشریف الرباني من سماء إلى سماء فيرحبون به في كل سماء بل  
ويعرفونهم به ثم يصطحبونه إلى منازل السماء التالية حتى يصلون به إلى السماء  
السابعة فتنتهي عندها طابور فرقة العرض والتعريف والتشریف ففي حديث البراء  
{ فيصعدون بها إلى السماء الدنيا فيستفتح فيفتح لها فلا يمرون بأهل سماء إلا قالوا  
ما هذا الروح الطيب فيقولون فلان بن فلان بأحسن أسمائه الذي كان يسمى بها في  
الدنيا حتى ينتهي بها إلى السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح له فيشيعه من كل سماء  
مقربوها إلى السماء التي تليها حتى ينتهي به إلى السماء السابعة }

### **البشارة الخامسة: بشارة الأمان الرباني من الله**

وعند نهاية طابور التشريفات يأمر ملك الملوك بأن يكتب كتابه في عليين فيختم  
عليه بخاتم الأمان والتأمين. { حتى ينتهي به إلى السماء السابعة فيقول الله اكتبوا  
كتاب عبدي في عليين وأعيدوه إلى الأرض فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها  
أخرجهم تارة أخرى }

### **البشارة السادسة: استمرار أعماله الصالحة**

هل الإنسان بعد الموت يكون قد توقف عمله وتوقف رصيده؟ لا، لأن عملنا

الذي يرفع لنا بعد الموت يكون أضعاف أضعاف ما عملناه في حياتنا الدنيا؟ لماذا؟  
لأن الله سوف ينمّيه لنا فمثلا عندما نقول سبحان الله أو الحمد لله أو الله أكبر  
فهذه الكلمة تذهب وتطوف حول العرش وتظل تكرر نفسها إلى يوم القيامة وبهذا  
يظل رصيدك في زيادة، وهذا وارد عنه ﷺ ..

أسمع إلى الحديث الذي ورد عن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ قَالَ حَضْرَهُ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: {إِنَّ  
مِمَّا تَذْكُرُونَ مِنْ جَلَالِ اللَّهِ، التَّسْبِيحَ وَالتَّهْلِيلَ وَالتَّحْمِيدَ. يَنْعَطِفْنَ حَوْلَ الْعَرْشِ. هُنَّ  
دَوِيُّ كَدَوِيِّ النَّحْلِ. تُذَكَّرُ بِصَاحِبِهَا. أَمَا يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ لَهُ، أَوْ لَا يَزَالَ لَهُ،  
مَنْ يُذَكِّرُ بِهِ؟} (١) ورواه الأمام الترمذي وفي سنن ابن ماجه

والصدقة لها شأن آخر:

فالله يأخذها ويرببها وينميها وهذا ربح ليس فيه شك أو خلاف لأنه ربح من  
عند ربّ العزة فكيف يكون ذلك؟

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -:  
«ما تصدَّق أحد بصدقة من طيب - ولا يقبل الله إلا الطيب - إلا أخذها الرحمن  
بيمينه ، وإن كانت تمرّة ، فتربو في كفّ الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل، كما يُرَبِّي  
أحدكم فُلُوّه أو فصيلَه» (٢)

## (٨) تزكية النفوس المؤمنة بأسباب حسن الخاتمة

١ - أخرجه أحمد (٢٧١/٤)، رقم (١٨٤١٢)، وابن أبي شيبة (١٦٨/٧)، رقم (٣٥٠٣٧)، والحاكم

(١/٦٧٨)، رقم (١٨٤١) وقال: صحيح الإسناد، (صحيح) مختصر العلو ٣٢ / ٢٤

٢ - أخرجه أحمد (١٧٨/٤). ومسلم (٩٥/٨)

## الخطبة الأولى

الحمد لله الذي تقدس في أزليته وأبديته عن النظير والشبيه، وتنزه في جماله وجلاله عن مقالات أهل التمويه، الغنى عن خلقه، فلا أمد يحصره، ولا أحد ينصره، ولا ضياء يظهره، فهو الواحد الأحد القدوس الصمد الذي لا شك فيه، واشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو علي كل شيء قدير

فسبحانه سبحانه إذا أدخل عباده الجنة

يقول عبادي هل رضيتم بنعمتي فما أنا منكم قاب قوسين أو أدنى

تملوا بوجهي وانظروا ما منحتكم فمن نال منى نظرة فقد استغنى

وأشهد أن سيدنا وحبينا وشفيعنا محمد عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه

وحببه

انتخبه من أشرف القبائل، وزينه بأكمل الفضائل، وجعل أتبعه من أشرف

الوسائل

يا رب شفعه فينا يوم تبعثنا ف نحن من خوف في غاية الخجل

يا رب اغفر لنا كل الذنوب به وامنن وسامح فهذا غاية الأمل

وعلى آله وأصحابه ومن سار على نهجه وتمسك بسنته واقتدى بهديه واتبعهم

بإحسان إلى يوم الدين ونحن معهم يا أرحم الراحمين

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ

﴿ [آل عمران: ١٠٢]، وقال يوسف - عليه السلام - : ﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ

وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا

وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿ [يوسف: ١٠١].

وقال سبحانه: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩]، هذه الآيات وغيرها يوصي الرؤوف الرحيم عباده بالثبات على الدين والموت على الإسلام، لأنه من حصل له ذلك فاز الفوز العظيم الذي لا فوز أكبر منه، وسعد السعادة التي لا شقاوة معها، فإن من علامات سعادة العبد حسن خاتمته، ولا أحسن، ولا أفضل من أن يموت العبد مؤمناً بربه، راضياً بدينه، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إنما الأعمال بخواتيمها"

### العنصر الأول: تعريف حسن الخاتمة:

حسن الخاتمة هو: أن يوفق العبد قبل موته للتقاضي عما يغضب الرب سبحانه، والتوبة من الذنوب والمعاصي، والإقبال على الطاعات وأعمال الخير، ثم يكون موته بعد ذلك على هذه الحال الحسنة، ومما يدل على هذا المعنى ما صح عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا أراد الله بعبد خيراً استعمله) قالوا: كيف يستعمله؟ قال: (يوفقه لعمل صالح قبل موته) (١)

وقال الخطابي: (معنى محبة العبد للقاء الله إثارة الآخرة على الدنيا، فلا يجب استمرار الإقامة فيها، بل يستعد للارتحال عنها، والكرامية بضد ذلك)

وقال الإمام النووي رحمه الله: (معنى الحديث أن المحبة والكرامية التي تعتبر شرعاً هي التي تقع عند النزاع في الحالة التي لا تقبل فيها التوبة، حيث ينكشف الحال للمحتضر، ويظهر له ما هو صائر إليه)

### العنصر الثاني: علامات حسن الخاتمة:

أما عن علامات حسن الخاتمة فهي كثيرة، وقد تتبعها العلماء رحمهم الله باستقراء النصوص الواردة في ذلك، ونحن نورد هنا بعضاً منها، فمن ذلك:

#### ١- محبة لقاء الله تعالى

١ - أخرجه أحمد (١٠٦/٣)، رقم (١٢٠٥٥)، والترمذي (٤/٤٥٠)، رقم (٢١٤٢)، وقال: حسن صحيح

اعلم علمني الله وإياك: أن مما يدل على حسن خاتمة محبة العبد للقاء ربه عز وجل وشوقه إليه فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من أحب لقاء الله أحب لقاءه، ومن كره لقاء الله كره لقاءه) فقلت: يا نبي الله! أكرهية الموت، فكلنا نكره الموت؟ فقال: (ليس كذلك، ولكن المؤمن إذا بشر برحمة الله ورضوانه وجنته أحب لقاء الله، وإن الكافر إذا بشر بعذاب الله وسخطه كره لقاء الله وكره الله لقاءه).<sup>(١)</sup>

وفي معنى هذا الحديث قال الإمام أبو عبيد القاسم ابن سلام: (ليس وجهه عندي كراهة الموت وشدته، لأن هذا لا يكاد يخلو عنه أحد، ولكن المذموم من ذلك إثارة الدنيا والركون إليها، وكراهية أن يصير إلى الله والدار الآخرة)، وقال: (ومما يبين ذلك أن الله تعالى عاب قوما بحب الحياة فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا﴾ [يونس: ٧].<sup>(٢)</sup>

## ٢- النطق بالشهادة عند الموت:

أحباب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومن علامات حسن الخاتمة النطق بكلمة التوحيد التي من ختم له بها ختم له بالسعادة والهناء معاذ بن جبل - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «من كان آخر كلامه: لا إله إلا الله دخل الجنة». <sup>(٣)</sup>

كان حبيب العجمي يبكي ويقول: من ختم له بلا إله إلا الله دخل الجنة، ثم يبكي ويقول: ومن لي بأن يختم لي بلا إله إلا الله.

١ - أخرجه أحمد (٣٢١/٥). وعبد بن حميد (١٨٤). والدارمي (٢٧٥٩). والبخاري (١٣٢/٨). ومسلم (٦٥/٨)

٢ - فتح الباري - ابن حجر (١١/٣٦٠)

٣ - أخرجه أحمد (٥/٢٤٧)، رقم (٢٢١٨٠)، وأبو داود (٣/١٣٤)، رقم (٢٩٤٥) انظر حديث رقم: ٦٤٧٩ في صحيح الجامع

قصة: رجل عاش أربعين سنة يؤذن للصلاة لا يبتغي إلا وجه الله، وقبل الموت مرض مرضاً شديداً فأقعده في الفراش وأفقده النطق، فعجز عن الذهاب إلى المسجد، فلما اشتد عليه المرض بكى ورأى المحيطون به على وجهه أمارات الضيق وكأنه يخاطب نفسه قائلاً: يا رب أوذن لك أربعين سنة وأنت تعلم أي ما ابتغيت الأجر إلا منك، وأحرم من الأذان في آخر لحظات حياتي، ثم تتغير ملامح هذا الوجه إلى البشر والسرور ويقسم أبنائه أنه لما حان وقت الأذان وقف على فراشه واتجه إلى القبلة ورفع الأذان في غرفته، وما إن وصل إلى آخر كلمات الأذان: لا إله إلا الله خر ساقطاً على الفراش، فأسرع إليه بنوه فوجدوه قد مات.

### ٣- الموت برشح الجبين

ومن العلامات الظاهر التي تظهر على المؤمن عند موته عرق جبينه أي: أن يكون على جبينه عرق عند الموت، لما رواه بريدة بن الحصيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (موت المؤمن بعرق الجبين) (١)

وأخرج سعيد بن منصور في سننه والمروزي في الجنائز عن ابن مسعود قال إن المؤمن يبقى عليه خطايا يجازي بها عند الموت فيعرق لذلك جبينه. (٢)

وأخرج ابن أبي شيبة والمروزي عن سفيان قال: كانوا يستحبون العرق للميت قال بعض العلماء إنما يعرق جبينه حياءً من ربه لما اقترف من مخالفته لأن ما سبق منه قد مات (٣).

وفي كتاب "الثبات حتى الممات" لابن الجوزي: لما احتضر أبو بكر بن حبيب - وكان يدرس ويعظ وكان نِعَمَ المؤدّب - قال له أصحابه لما احتضر: أوصنا، فقال:

١ - أخرجه أحمد (٣٥٠/٥) وأبو داود. وفي (٣٥٧/٥) وابن ماجه (١٤٥٢) والترمذي (٩٨٢).

والنسائي (٥/٤)

٢ - نوادر الأصول في أحاديث الرسول (١/٤١٤)

٣ - مصنف ابن أبي شيبة - ترقيم عوامة (٣/٣٧٠)

أوصيكم بثلاث: بتقوى الله - عز وجل - ومراقبته في الخلوة، واحذروا مصرعي هذا، فقد عشت إحدى وستين سنة، وما كأني رأيت الدنيا، ثم قال لبعض إخوانه: انظر هل ترى جيبني يعرق؟ فقال: نعم، فقال: الحمد لله، هذه علامة المؤمن - يُريد بذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم -: ((الْمُؤْمِنُ يَمُوتُ بِعَرَقِ الْجَيْبِ))، ثم بسط يده عند الموت، وقال:

هَآ قَدْ مَدَدْتُ يَدِي إِلَيْكَ فَرَدَّهَا بِالْفَضْلِ لِأَبَشَاتَةِ الْأَعْدَاءِ

#### ٤- الموت ليلة الجمعة أو نهارها:

ومن تلك العلامات أن يموت المؤمن يوم الجمعة فيختم الله تعالى له بخير يوم طلعت فيه الشمس

عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، أَوْ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ إِلَّا وَقَاهُ اللَّهُ فِتْنَةَ الْقَبْرِ» (١)

#### ٥- الاستشهاد في ساحة القتال في سبيل الله، أو موته غزياً في سبيل

الله، أو موته بمرض الطاعون أو بداء البطن كالاستسقاء ونحوه، أو موته غرقاً.

إخوة الإيمان: ومن فضل الله علينا أمة محمد صلى الله عليه وسلم - أن منحنا اجر

الشهداء وأنزلنا منازلهم إذا أصيب المسلم بأحد تلك الأسباب التالية الذكر

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ما تعدون الشهيد فيكم قالوا يا رسول الله من قتل في سبيل الله فهو شهيد فقال إن شهداء أمتي إذاً لقليل قالوا فمن هم يا رسول الله قال من قتل في سبيل الله فهو شهيد ومن مات في سبيل الله فهو شهيد ومن مات في الطاعون فهو شهيد ومن مات في البطن فهو

١ - أخرجه أحمد (١٦٩/٢) (٦٥٨٢) قال الشيخ الألباني: (حسن) انظر حديث رقم: ٥٧٧٣ في

شاهد قال ابن مقسم أشهد على أبيك في الحديث أنه قال والغريق شهيد) (١)

سمعت طلحة بن خراش قال: سمعت جابرا يقول: لقيني النبي صلى الله عليه وسلم فقال لي: (يا جابر! مالي أراك منكسرا)؟ فقلت: يا رسول الله استشهد أبي وترك عيالا ودينا فقال: (ألا أبشرك بما لقي الله به أباك)؟ قلت: بلى يا رسول الله قال: (ما كلم الله أحدا قط إلا من وراء حجاب وإن الله أحيا أباك فكلمه كفاحا فقال: يا عبدي! تمن أعطك قال: تحييني فأقتل قتلة ثانية قال الله: إني قضيت أنهم لا يرجعون) ونزلت هذه الآية: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]. (٢)

٦- ومن علامات حسن الخاتمة، وهو خاص بالنساء: موت المرأة في

نفاسها بسبب ولدها أو هي حامل به

ومن أدلة ذلك ما رواه الإمام أحمد وغيره بسند صحيح عن عبادة بن الصامت أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أخبر عن الشهداء، فذكر منهم: (المرأة يقتلها ولدها جمعا شهادة، يجرها ولدها بسرره إلى الجنة) (٣) يعني بحبل المشيمة الذي يقطع عنه.

٧- الموت رباطا في سبيل الله:

لما رواه مسلم عنه صلى الله عليه وسلم قال: (رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمله، وأجرى عليه رزقه، وأمن الفتان). (٤)

١ - أخرجه أحمد (٣١٠ / ٢) . ومسلم (٥١ / ٦)

٢ - الجامع الصحيح للسنن والمسند (٤٠٣ / ٧) الصحيحة: ٣٢٩٠ صحيح الترغيب والترهيب: ١

٣ - أخرجه أحمد (٤ / ٤) - ٢٠١ / ٥ - (٣٢٣) والدارمي (٢ / ٢٠٨) والطيالسي (٥٨٢) وإسناده صحيح.

٤ - أخرجه أحمد (٤٤١ / ٥) . ومسلم (٥٠ / ٦)

ومن أسعد الناس بهذا الحديث رجال الأمن وحرس الحدود براً وبحراً وجواً  
على اختلاف مواقعهم إذا احتسبوا الأجر في ذلك.

### ٩- الموت على عمل صالح:

عن حذيفة رضي الله عنه قال أسندت النبي صلى الله عليه وسلم إلى صدري  
فقال من قال لا إله إلا الله ختم له بها دخل الجنة ومن صام يوماً ابتغاء وجه الله ختم  
له به دخل الجنة ومن تصدق بصدقة ابتغاء وجه الله ختم له بها دخل الجنة (١)  
أقول هذا القول، وأستغفر الله العظيم الكريم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل  
ذنب؛ فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

### الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين.  
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،  
صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً.

أما بعد:

### العنصر الثالث: أسباب حسن الخاتمة:

إخوة الإسلام: فإن قلتم ما هي الأسباب التي بها ينال المسلم حسن الخاتمة؟  
الجواب بحول الملك الوهاب: اعلم - زادك الله علماً وفهماً -: أن الله بين لنا في  
كتابه وعلى لسان نبيه - صلى الله عليه وسلم - تلك الأسباب في غير ما موطن من  
القران وسنة النبي العدنان ﷺ وإليكم بيان ذلك

١- الاستقامة: وفسرت الاستقامة - يا عباد الله - بأنها لزوم طاعة الله تعالى، فلا  
يسمى الإنسان مستقيماً ولا يستحق هذا الشرف العظيم، وهذا التكريم، إلا إذا كان

١ - أخرجه أحمد (٥/ ٣٩١ رقم ٢٣٣٧٢) صحيح الترغيب والترهيب (١/ ٢٣٨) (صحيح)

ملازماً لطاعة الله عز وجل في جميع شئونه، وفي كل حالاته، في عقيدته وعبادته ومعاملاته وأخلاقه، وفي سلوكه في بيته وسوقه، وفي بيعه وشرائه، وفي أقواله وأفعاله، وفي جميع حركاته وتصرفاته، مقتدياً بسلف هذه الأمة المستقيمين على هذه الشريعة، متأسياً بسيد الأولين والآخرين عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ [النساء: ٦٩].

وقد بين المولى سبحانه أن اللحاق بركب المستقيمين والظفر بصحبتهم هي أمنية الأنبياء والمرسلين؛ فذكر من دعاء سليمان عليه السلام: ﴿ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ [النمل: ١٩].

وحكى عن يوسف عليه السلام ابتهاله إلى ربه بقوله: ﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمَلِكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ [يوسف: ١٠١].

قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [فصلت: ٣٠]

محمد بن المنكدر رحمه الله: يقول صفوان بن سليم رحمه الله: "أتيت محمد بن المنكدر وهو في الموت فقلت: يا أبا عبد الله، كأي أراك قد شقَّ عليك الموت، فما زال يهون عليه الأمر، وينجلي عن محمد، حتى لكان وجهه المصابيح، ثم قال محمد بن المنكدر لصفوان: لو ترى ما أنا فيه لقررت عينك، ثم مات" (١)

عن آدم بن أبي إياس العسقلاني رحمه الله: قال أبو علي المقدسي: "لما حضرت آدم بن إياس الوفاة، ختم القرآن، وهو مُسَجَّى، ثم قال: بحبي لك، إلا رَفَقْتُ بي في هذا

١ - (الثبات عند الممات: ص ١٤١).

المصرع، كنتُ أؤمُّلك لهذا اليوم، كنتُ أرجوك، ثم قال: لا إله إلا الله، ثم قضى"؛  
(١)

٢- **حسن الظن بالله:** مفهوم حسن الظن بالله تعالى: هو ظن ما يليق بالله تعالى واعتقاد ما يحق بجلاله وما تفتضيه أسماؤه الحسنی وصفاته العليا مما يؤثر في حياة المؤمن على الوجه الذي يرضي الله تعالى. قال علي بن طالب رضي الله عنه: حسن الظن بالله ألا ترجو إلا الله، ولا تخاف إلا ذنبك.

عن أبي هريرة -رضي الله عنه - : «أنَّ رسولَ الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «يقول الله تعالى: أنا عند ظنِّ عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأٍ ذكرته في ملأٍ خيرٍ منه، وإن تقرب إليَّ شبراً تقربتُ إليه ذراعاً، وإن تقرب إليَّ ذراعاً اقتربتُ إليه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيتُه هَرَوَلَةً» ((٢)).

قال الإمام النووي في "شرح مسلم": قال العلماء: هذا تحذير من القنوط، وحث على الرجاء عند الخاتمة، وفي الحديث القدسي: "أنا عند حسن ظن عبدي بي" ومعنى حسن الظن بالله تعالى أن يظن أنه يرحمه ويعفو عنه، وفي حالة الصحة يكون خائفاً راجياً، ويكونان سواء، وقيل: يكون الخوف أرجح، فإذا دنت أمارات الموت، غلب الرجاء أو محضه، لأن مقصود الخوف الانكشاف عن المعاصي والقبائح، والحرص على الإكثار من الطاعات والأعمال، وقد تعذر ذلك أو معظمه في هذه الحال، فاستحب إحسان الظن المتضمن للافتقار إلى الله تعالى، والإذعان له. (٣)

عن أنس، أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على شاب وهو في الموت، فقال:

١ - (الثبات عند الممات: ص ١٥٩).

٢ - أخرجه أحمد (٢٥١/٢) والبخاري (١٤٧/٩). ومسلم (٦٢/٨)

٣ - شرح النووي على مسلم (٢٠٩ / ١٧)

«كيف تجدك؟»، قال: والله يا رسول الله، إني أرجو الله، وإني أخاف ذنوبي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو وآمنه مما يخاف».(١)

ودخل واثلة بن الأسقع على أبي الأسود الجرشبي في مرضه الذي مات فيه، فسلم عليه وجلس. فأخذ أبو الأسود يمين واثلة، فمسح بها على عينيه ووجهه، فقال له واثلة: واحدة أسألك عنها.

قال: وما هي؟

قال: كيف ظنك بربك؟

فأوما أبو الأسود برأسه، أي حسن.

فقال واثلة: أبشر؛ فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «قال الله عز وجل: أنا عند ظن عبدي بي، فليظن بي ما شاء» (٢) رواه أحمد.

٣-التقوى: والتقوى عباد الله هي سفينة النجاة التي من ركبها نجا و من تخلف عنها هلك في أمواج ﴿ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [الزمر: ٦١] الفتن قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴾ [الطلاق: ٤].

أبو بكر بن أبي مریم رحمہ اللہ: یقول یزید بن عبد ربہ رحمہ اللہ: "عُدتُ أبَا بَکر بن أبی مریم وهو فی النزاع، فقلت له: رحمک اللہ، لو جرعت جرعة ماء؟ فقال بیده:

١ - أخرجه عبد بن حميد (ص ٤٠٤، رقم ١٣٧٠)، والترمذي (٣/٣١١، رقم ٩٨٣)، قال: حسن غريب. والنسائي في الكبرى (٦/٢٦٢، رقم ١٠٩٠١)، وابن ماجه (٢/١٤٢٣، رقم ٤٢٦١) مشكاة المصابيح (١/٣٦٣)

٢ - مسند أحمد ط الرسالة (٢٥/٣٩٨) وأخرجه بنحوه ابن حبان (٦٤١)، وفي "الأوسط" (٤٠٣) وانظر صحيح الجامع: ٤٣١٦

لا، وكان صائماً، ثم جاء الليل، فقال: أَدْنُّ؟ فقلت: نعم، فقطرنا في فيه قَطْرَةَ مَاءٍ ثم مات"؛ (١)

٤-الصدق: والصدق هو سبيل المؤمنين وعلامة المشتاقين لرب العالمين والصدق مفتاح الهداية طريق البر فمن صدق الله تعالى في نيته وفي أحواله صدقه الله تعالى بالسلامة وحسن الخاتمة قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]

عن شداد بن الهادي رضي الله عنه، أن رجلاً من الأعراب جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فآمن به واتبعه، ثم قال: "أهاجر معك، فأوصى به النبي صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه، فلما كانت غزوة غنم النبي صلى الله عليه وسلم سبياً فقسّم، وقسم له، فأعطى أصحابه ما قسم له، وكان يرعى ظهرهم، فلما جاء دفعوه إليه، فقال: ما هذا؟ قالوا: قسم قسمه لك النبي ﷺ.

فأخذه فجاء به إلى النبي ﷺ فقال: ما هذا؟ قال: قسمته لك، قال: ما على هذا اتبعتك، ولكنني اتبعتك على أن أرمى هاهنا -وأشار إلى حلقه- بسهم فأموت فأدخل الجنة، فقال صلى الله عليه وسلم: "إن تصدق الله يصدقك".

فلبثوا قليلاً ثم نهضوا في قتال العدو، فأُتِيَ به النبي صلى الله عليه وسلم يُحْمَلُ قد أصاب السهم حيث أشار، فقال النبي ﷺ: "أهو هو؟ قالوا: نعم، قال: صدق الله فصدقه". ثم كفنه النبي صلى الله عليه وسلم في جبة النبي ﷺ، ثم قدمه فصلى عليه، فكان فيما ظهر من صلاته: "اللهم هذا عبدك، خرج مهاجراً، فقتل شهيداً، أنا شهيد على ذلك". (٢)

١ - (الثبات عند الممات: ص ١٥٢).

٢ - جامع الأصول في أحاديث الرسول (٢/ ٥٨٦) صححه الألباني في (س) ١٩٥٣، وصحيح الترغيب والترهيب: ١٣٣٦

٥-التوبة: التوبة هي بداية الطريق ووسطه و نهايته هي عنوان السعادة و منشور  
الولاية من منحها كان من المفلحين الفائزين قال تعالى: ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيَّهَ  
الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور: ٣١]، وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى  
اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ  
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ  
وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا نُورَنَا وَاعْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [التحریم:  
. [٨]

وقد قص النبي ﷺ قصة رجل أسرف على نفسه ثم تاب وأتاب فقبل الله توبته،  
قال أبو سعيد الخدري -رضي الله عنه - : « أَنْ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « كَانَتْ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ  
رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ نَفْسًا ، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ ؟ فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ ،  
فَأَتَاهُ ، فَقَالَ : إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ نَفْسًا ، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ ؟ فَقَالَ : لَا ، فَكَتَمَ  
بِهِ مَائَةَ ، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ ؟ فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ ، فَقَالَ : إِنَّهُ قَتَلَ مَائَةَ  
نَفْسٍ ، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ ؟ فَقَالَ : نَعَمْ ، وَمَنْ يُحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ ؟ أَنْطَلِقَ إِلَى أَرْضِ  
كَذَا وَكَذَا ، فَإِنَّ بِهَا نَاسًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ ، فَاعْبُدِ اللَّهَ مَعَهُمْ ، وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ ، فَإِنِهَا  
أَرْضُ سُوءٍ ، فَانْطَلِقَ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ ، أَتَاهُ الْمَوْتُ ، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ  
الرَّحْمَةِ ، وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ ، فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ : جَاءَ تَائِبًا ، مُقْبِلًا بِقَلْبِهِ إِلَى اللَّهِ ،  
وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ : إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ ، فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ  
فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ ، فَقَالَ : قِيسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ ، فَإِلَى أَيَّتِهِنَّ كَانَ أَدْنَى فَهُوَ لَهُ ، فَقَاسُوا  
فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ ، فَكَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ .. (١)

٦-الدعاء: والدعاء هو سلاح المؤمن والمجاهد لا يدع سلاحه حتى تنتهي  
المعركة ومعركتي ومعركتك مع الشيطان ولا تنتهي بالظفر والانتصار حتى يختم

١ - أخرجه البخاري (٢١١ / ٤) و«مسلم» (١٠٤ / ٨)

للعبد بخاتمة السعادة لذا فالمؤمن لا يفتر لسانه بالدعاء فيها هو حبيبك صلى الله عليه وسلم كان لا يفتر لسانه عن هذا الدعاء عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو: (يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك) (١)

وها هو الحق - جل وعلا - : يُعَلِّمُنَا وَيُحِثُّنَا عَلَى أَنْ نَدْعُو بِهَذَا الدُّعَاءِ الْعَظِيمِ: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨].

وكان من دعاء الصالحين أن يتوفاهم الله تعالى على الإيمان، وأن يكفر عنهم السيئات، وأن يتوفاهم مع الأبرار، وفي ذلك يقول عنهم الله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٣].

وقد كان مَطْلَبُ يوسُفَ الصَّديقِ عليه السلام: حين دعا رَبَّهُ عند انقضاء أَجلِهِ وَذَهَابِ عُمُرِهِ أَنْ يُمِيتَهُ عَلَى الْإِسْلَامِ، وَيُحْشِرَهُ فِي زُمْرَةِ الصَّالِحِينَ، كَمَا قَالَ رَبُّ الْعَالَمِينَ عَنْهُ: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مَنْ تَأْوِيلَ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

قصة عبد الله بن جحش - رضي الله عنه - عن إسحاق بن سعد بن أبي وقاص، حدثني أبي أن عبد الله بن جحش، قال يوم أحد: ألا تأتي ندعو الله، فخلوا في ناحية، فدعا سعد فقال: يا رب إذا لقينا القوم غدا، فلقني رجلا شديدا بأسه شديدا حرده، فأقاتله فيك ويقاتلني، ثم ارزقني عليه الظفر حتى أقتله، وأخذ سلبه، فقام عبد الله بن جحش ثم، قال: اللهم ارزقني غدا رجلا شديدا حرده، شديدا بأسه، أقاتله فيك ويقاتلني، ثم يأخذني فيجدع أنفي وأذني، فإذا لقيتك غدا قلت: يا عبد الله فيم جدع

١ - أخرجه أيضًا: الدار قطني في السنن (٣٣/١) وصححه الألباني في صحيح الجامع: (٧٩٨٧).

أنفك وأذنك؟ فأقول: فيك وفي رسولك، فيقول: صدقت. قال سعد بن أبي وقاص: يا بني كانت «دعوة عبد الله بن جحش خيرا من دعوتي، لقد رأيتته آخر النهار، وإن أذنه وأنفه لمعلقان في خيط» هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه" (١)

---

١ - سنده قوي: رواه الحاكم (٨٦ / ٢) وأبو نعيم في الحلية (١ / ١٠٨)

## (٩) تحذير النفوس المؤمنة من أسباب سوء الخاتمة

### الخطبة الأولى

الحمد لله رب العالمين سبحانه سبحانه سبحانه الذي في السماء عرشه، سبحانه الذي في الأرض حكمه، سبحانه الذي في القبر قضائه، سبحانه الذي في البحر سبيله، سبحانه في النار سلطانه، سبحانه الذي في الجنة رحمته، سبحانه الذي في القيامة عدله

واشهد أن لا اله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو علي كل شيء قدير شهادة من قال ربي الله ثم استقام تقرب لعباده برأفته ورحمته، ونور قلوب عباده بهدأيته،

سبحان من ملاء الوجود أدلة ليلوح ما اخفى بما أبداه  
سبحان من ظهر الجميع بنوره فيه يرى أشياء من صفاه  
سبحان من أحيا قلوب عباده بلوائح من فيض نور هداه  
وأشهد أن سيدنا وحبينا وشفيعنا محمد عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحببه

والله ما في الخلق مثل محمد في الفضل والجود والأخلاق  
فهو النبي الهاشمي المصطفى من خيرة الأنساب من عدنان  
لو حاول الشعراء وصف محمد وأتو بأشعار من الأوزان  
ماذا يقول الواصفون لأحمد بعد الذي جاء في القرآن  
وعلى آله وأصحابه ومن سار على نهجه وتمسك بسنته واقتدى بهديه واتبعهم  
ياحسان إلي يوم الدين ونحن معهم يا أرحم الراحمين

أمة الإسلام حديثنا في هذا اليوم الأغر خير يوم طلعت فيه الشمس مع أخطر الأخطار وأعظم الأهوال منه خاف السلف الصالح ومن هولاه ما نامت الجفون على

المضاجع ولا تلذذت البطون بالمطاعم إنه سوء الخاتمة من نجى منه فما بعده اهناً وأيسر ومن تعثر به قدره وذلة به قدمه فيا حسرتاه من هول ما يلقي

### العنصر الأول: تعريف سوء الخاتمة

فهي: أن تكون وفاة الإنسان وهو معرض عن ربه جل وعلا، مقيم على مسا خطه سبحانه، مضيق لما أوجب الله عليه، ولا ريب أن تلك نهاية بئيسة، طالما خافها المتقون، وتضرعوا إلى ربهم سبحانه أن يجنبهم إياه.

### العنصر الثاني الخوف من سوء الخاتمة

يقول ابن الجوزي - رحمه الله - : "قد خُذِلَ خلقٌ كثير عند الموت، فمنهم مَنْ أتاه الخِذْلانُ في أول مرضه، فلم يستدرك قبيحاً مضى، وربما أضاف إليه جوراً في وصيته، ومنهم مَنْ فاجأه الخِذْلانُ في ساعة اشتداد الأمر، فمنهم مَنْ كفر، ومنهم مَنْ اعترض وتسخط، نعوذ بالله من الخِذْلان، وهذا معنى سوء الخاتمة؛ وهو أن يغلب على القلب عند الموت الشك أو الجحود، فتقبض النفس على تلك الحالة، ودون ذلك أن يتسخط الأقدار"؛ اهـ. (١)

ويقول الشيخ صديق حسن خان - رحمه الله - : "سوء الخاتمة على رتبتين:

إحدهما: وهي أعظم من الثانية، وهي أن يغلب على القلب عند سكرات الموت شكٌ أو جحود، فتقبض الروح على تلك الحال، فتكون حجاباً بينه وبين الله - تعالى - أبداً، وذلك يقتضي البعد الدائم والعذاب المخلد.

والثانية - وهي دونها - : وهي أن يغلب على قلبه عند الموت حبُّ أمر من أمور الدنيا، أو شهوةٌ من شهواتها، فيتمثل ذلك في قلبه، ويستغرقه حتى لا يبقى في تلك الحالة متسع لغيره، فإذا قبضت الروح في حالة غلبة حب الدنيا، فالأمر خطير؛ لأن المرء يموت على ما عاش، ويبعث على ما مات عليه، وعند ذلك تعظم الحسرة؛

١ - "الثبات عند المات" (ص ٧٨)

اه، (١)

عن سهل بن سعد الساعدي - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: ((إنَّ العبدَ ليعمل - فيما يرى الناس - عملَ أهل الجنة، وإنه لمن أهل النار، ويعمل فيما يرى الناس عملَ أهل النار، وهو من أهل الجنة، وإنما الأعمال بخواتيمها)) (٢).

قال ابن بطال: "وفي تغييب خاتمة العمل عن العبد حكمة بالغية، وتديير لطيف؛ لأنه لو علم وكان ناجياً أُعجِبَ وكسل، وإن كان هالكاً ازداد عُتُوًّا، فحجِبَ عنه ذلك؛ ليكون بين الخوف والرجاء" (٣).

من هنا كان خوف العارفين، وقد كان أكثر دعاء النبي الأمين - صلى الله عليه وسلم - : ((يا مقلِّب القلوب، ثبِّت قلبي على دينك))، فقال له أنس بن مالك - رضي الله عنه -: يا نبي الله، آمناً بك وبما جئت به، فهل تخاف علينا؟ قال: ((نعم، إن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن، يُقلِّبها كيف يشاء)) (٤).

كلماتٌ قطعت قلوب الصالحين، وأطارت النوم من أعينهم، وحُقَّ لهم ذلك، فكم سمعنا عمَّن آمن ثم كفر، وكم رأينا من استقام ثم انحرف، وكم من شارف مركبته ساحل النجاة، فلما همَّ أن يرتقي لِعَب به الموج فغرق.

أحبتني في الله، الخلق كلهم تحت هذا الخطر، قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن، يُقلِّبها كيف شاء.

١ - بتصرف واختصار؛ (يقظة أولي الاعتبار، صديق حسن خان: ص ٢١٦).

٢ - صحيح البخاري" (٤/١٩٠) برقم (٦٤٩٣)، و"صحيح مسلم" (٢/٢٠٤٢) برقم (٢٦٥١) واللفظ للبخاري.

٣ - فتح الباري" (١١/٣٣٨).

٤ - أخرجه أحمد (٣/١١٢، رقم ١٢١٢٨)، والترمذي (٤/٤٤٨، رقم ٢١٤٠) وقال: حسن. والحاكم (١/٧٠٧، رقم ١٩٢٧) وقال: صحيح



"لا تُعَجَبْ بِإِيْمَانِكَ، وَعَمَلِكَ، وَصَلَاتِكَ، وَصَوْمِكَ، وَجَمِيعِ قُرْبِكَ، فَإِنْ ذَلِكَ وَإِنْ كَانَ مِنْ كَسْبِكَ، فَإِنَّهُ مِنْ خَلْقِ رَبِّكَ وَفَضْلِهِ عَلَيْكَ، فَمَهْمَا افْتَخَرْتَ بِذَلِكَ، كُنْتَ كَالْمَفْتَخِرِ بِمَتَاعٍ غَيْرِهِ، وَرَبِّهَا سَلْبٌ عَنْكَ، فَعَادَ قَلْبُكَ مِنَ الْخَيْرِ أَخْلَى مِنْ جَوْفِ الْبَعِيرِ، فَكَمْ مِنْ رَوْضَةٍ أَمَسَتْ وَزَهْرُهَا يَانِعٌ عَمِيمٍ، فَأَصْبَحَتْ وَزَهْرُهَا يَابِسٌ هَشِيمٍ؛ إِذْ هَبَّتْ عَلَيْهَا الرِّيحُ الْعَقِيمِ، كَذَلِكَ الْعَبْدُ يُمَسِّي وَقَلْبُهُ بِطَاعَةِ اللَّهِ مُشْرِقٌ سَلِيمٍ، فَيُصْبِحُ وَهُوَ بِمَعْصِيَتِهِ مُظْلِمٌ سَقِيمٍ، ذَلِكَ فَعَلَّ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ، الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ"؛ اهـ.

نعوذ بالله من الحُور بعد الكور، ومن الضلالة بعد الهدى، ومن المعصية بعد الطاعة.

قال ابن رجب - رحمه الله -: "وفي الجملة: فالخواتيم ميراث السوابق، فكل ذلك سبق في الكتاب السابق، ومن هنا كان يشتد خوف السلف من سوء الخاتمة، ومنهم من كان يقلق من ذكر السوابق، وقد قيل: (إن قلوب الأبرار معلقة بالخواتيم، يقولون: بماذا يُخْتَمُ لنا؟ وقلوب المقرين معلقة بالسوابق، يقولون: ماذا سبق لنا؟)

وكان سفيان الثوري - رحمه الله - يشتد قلقه من السوابق والخواتيم، فكان يبكي ويقول: (أخاف أن أكون في أم الكتاب شقيًّا)، ويبكي ويقول: (أخاف أن أسلب الإيمان عند الموت)، وكان مالك بن دينار - رحمه الله - يقوم طول ليله قابضًا على لحيته، ويقول: (يا رب، قد علمت ساكن الجنة من ساكن النار، ففي أي الدارين منزل مالك؟)؛ اهـ. (١)

لأجل ذلك كان خوف الصالحين من سوء الخاتمة شديدًا؛ يقول أحدهم:  
"خوف الصالحين من سوء الخاتمة عند كل خَطَرَةٍ وَحَرَكَةٍ".

ويقول أبو الدرداء: "ما أحدٌ آمنَ على إِيْمَانِهِ أَلَّا يُسَلَبَهُ عِنْدَ الْمَوْتِ؛ إِلَّا سُلِبَهُ" (٢)

١ - "جامع العلوم والحكم" (ص ٥٠)

٢ - "مختصر منهاج القاصدين" (ص ٣٩١).



ولما حضرت الوفاة سفيان الثوري - رحمه الله - جعل يبكي؛ فقال له رجلٌ: "يا أبا عبد الله، أَمِنْ كَثْرَةِ الذُّنُوبِ؟"؛ فقال: "لا، ولكن أخاف أن أُسَلِّبَ الإِيْمَانَ قَبْلَ الموت" (١).

فَمِنْ هَذَا خَاف السَّلْفُ مِنَ الذُّنُوبِ؛ أَنْ تَكُونَ حِجَابًا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الخَاتِمَةِ الحَسَنَةِ. قال ابن القَيِّم - رحمه الله - : "وهذا من أعظم الفقه؛ أن يخاف الرجل أن تَخْدَعَهُ ذنوبه عند الموت، فَتَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الخَاتِمَةِ الحُسْنَى" (٢)

اسمع إلى ما يقلق النفوس المؤمنة ويدمع العيون الخاشعة ويدمي القلوب السليمة: يقول ابن رجب - رحمه الله، قد خذل خلق كثير عند الموت فمنهم من أتاه الخذلان من أول مرضه فلم يستدرك قبيحا مضي وربما أضاف إليه جورا في وصيته، ومنهم من كفر ومنهم من فاجأه الخذلان في ساعة اشتداد الأمر فمنهم من كفر ومنهم من اعترض، وتسخط، نعوذ بالله من الخذلان. وهذا معني سوء الخاتمة، وهو أن يغلب على القلب عند الموت الشك أو الجحود فتقبض النفس على تلك الحالة ودون ذلك أن تسخط الأقدار. أ. هـ

### العنصر الثالث: أسباب سوء الخاتمة

١- فساد المعتقد والابتداع في دين الله: فإن من أعظم أسباب سوء الخاتمة أن يعتقد العبد اعتقادا يخالف كتاب الله وسنة رسوله ﷺ أو أن يكون من أهل البدع والأهواء فإن هؤلاء يتخطهم الشيطان في حياتهم وعند مماتهم . يقول الشيخ أحمد فريد حفظه الله " فإن أهل البدع هم أكثر الناس شكا واضطراب عند الموت وذلك لسوء معتقدتهم وفساد قلوبهم ، ومرضها بالشبهات والشكوك وقد يظهر لهم من معاينة أمور الآخرة عند الموت ما يظهر فساد معتقدتهم ، وسوء منقلبهم

١ - مختصر منهاج القاصدين" (ص ٣٩١).

٢ - "الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي" (ص ١٤٨).

فيدفعهم ذلك إلى اليأس والقنوط ، فأهل السنة هم أكثر الناس ثباتا على أقوالهم ومعتقداتهم فالثبات على الحق هو سبب أهل الحق ، قال هرقل " لأبي سفيان بن حرب " سائلا عن أصحابه رسول الله ﷺ هل يرد أحد منهم عن دينه بعد أن يدخل فيه سخطه له ؛ قال : لا ، قال كذلك الإيمان إذا خالطت بشاشته القلوب ، فأهل السنة والجماعة هم أعظم الناس صبرا وثباتا على أقوالهم ومعتقداتهم وأهل البدع أكثر الناس شكا واضطرابا في الحياة وعند الممات . أ. هـ ١

وتأمل قول الباري -جل جلاله- وهو بين خيبة وخسران أهل الشرك والأهواء والعصيان فيقول ﴿وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر: ٤٧] يقول وهو يخبر عبادها بأحوال الخاسرين أعمالا ﴿لَ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿[الكهف: ١٠٣، ١٠٤]. "

وتأمل أحوال أهل الاعتقاد الفساد عند الموت يخبرون بما صاروا إليه ونهاية سعيهم حتى يكون عبرة.

فهذا ابن الفارض - قبحه الله - الذي كان يعنق بالاتحاد ويقول بحلول الله جل وعلا في مخلوقاته - وأن الرب عبد والعبد رب، عندما حضرته الوفاة يخبر بما هو صائر إليه ويعبر عن شقوته وخيبته وخسرانه فيقول:

إن كان منزلتي في الحب عندكم ما قد رأيت فقد ضيعت أيامي  
أمنية ظفرت نفسي بها زمانا واليوم أحسبها أضغاث أحلام  
٢-ومن أسباب سوء الخاتمة مخالفة الباطن للظاهر.  
ومخالفة الظاهر للباطن من أعظم وأخطر الأمور التي تؤدي إلى سوء الخاتمة إنه

---

١ - تذكرة النفوس المؤمنة بأسباب سوء الخاتمة وأسباب حسن الخاتمة. للمؤلف

النفاق الذي هو سوس الأمة فكم من إنسان إذا رأته حسبته من الصالحين ويحمل بين طيات جنبه كفر دفين وحقدا وحسدا على المخلصين لذا قال النبي ﷺ " أن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار "

فقوله: فيما يبدو للناس يدل على أن باطنه خلاف ظاهره، ولا يمكن أن تسوء خاتمة من صلح ظاهرة وباطنه والله أعلم .

قال الحافظ أبو الجوزي - رحمه الله - واسم الرجل قزمان، وكان قد تخلف عن المسلمين يوم أحد، فغيره النساء، فخرج حتى صار في الصف الأول فكان أول من رمي بسهم، ثم صار إلى السيف ففعل العجائب، فلما أنكشف المسلمون كسر جفن سيفه، وجعل يقول: أحسن من الفرار فمر به قتادة بن النعمان فقال له هنيئا لك بالشهادة، فقال: والله ما قاتلت على دين، وإنما قاتلت على حسب قومي ثم أقلقتة الجراحة فقتل نفسه .

٣- ومنها الذنوب والمعاصي: فالمعاصي بريد الكفر قال أبو القاسم - رحمه الله - ومن عقوباتها. يعني الذنوب والمعاصي. أنها تخون العبد أحوج ما يكون إلى نفسه، فإن كل أحد يحتاج إلى معرفة ما ينفعه وما يضره في معاشه ومياعده، إلى أن قال: هذا وثم أمر أخوف من ذلك أدهى منه وأمر، وهو أن يخونه قلبه ولسانه عند الاحتضار والانتقال إلى الله فربما تعذر عليه النطق بالشهادة، كما شاهد الناس كثير من المحتضرين أصابهم ذلك حتى قيل لبعضهم: قل لا إله إلا الله، فقال آه آه لا أستطيع أن أقولها.

وقيل لآخر. قل لا إله إلا الله فقال " شاه رخ " اسم لأحجار الشطرنج. غلبتك ثم قضي.

وقيل لآخر. قل: لا إله إلا الله فقال:

يا رب قائلة يوما وقد لغبت كيف الطريق إلي حمام منجاب.

وقيل لآخر. قل: لا إله إلا الله. فجعل يهذي بالغناء ويقول: تاتنا تتنا حتى مات.

وقيل لآخر. ذلك، فقال: ما ينفعني ما تقول ولم أدع معصية إلا ركبها؛  
وقيل لآخر. ذلك، فقال: ما يغني عني وما أعرف أني صليت لله صلاة ولم يقلها.

وقيل لآخر. ذلك، فقال: أنا كافر بما تقول ولم يلقها وقضي.

وقيل لآخر. ذلك، فقال: أردت أن أقولها ولساني يمسك عنها.<sup>١</sup>

وتلك هي سنة الله أن من عاش على شيء مات عليه يقول الأمام الذهبي - رحمه الله - ما من ميت يموت إلا مثل له جلساؤه الذين كان يجالسهم، فاحتضر رجل ممن كان يلعب الشطرنج ف قيل له: قل لا إله إلا الله، فقال: شاهك ثم مات، فغلب على لسانه ما كان يعتاده حال حياته في اللعب، فقال عوض كلمة التوحيد شاهك وهذا كما جاء في إنسان آخر ممن كان يجالس شراب الخمر أنه حين حضرة الموت فجاءة إنسان يلقنه الشهادة فقال له: أشرب اسقيني ثم مات ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم وهذا كما جاء في حديث مروي "يموت كل إنسان على ما عاش عليه ويبعث على ما مات عليه"<sup>٢</sup>

أقول هذا القول، وأستغفر الله العظيم الكريم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب؛ فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

### الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين.

١- الداء والدواء ص ١٤١ / ١٤٣.

٢- الكبائر للذهبي ٧٦-٧٧، والحديث " روي مسلم بلفظ آخر " يبعث كل عبد علي ما مات عليه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله،  
صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما.

أما بعد:

٤-التسوية بالتوبة والعمل الصالح: فإن من أسباب سوء الخاتمة والعياذ بالله  
أن يسوف الإنسان بالتوبة إذا قيل له تب عما أنت عليه يقول سأتوب بعد حين، وإذا  
قيل له صلي يقول سوف أصلي، فالسين وسوف جند من جند إبليس يغري بهما ما  
يشاء من أوليائه.

يقول بن رجب في كتابه القيم " لطائف المعارف " أعلم إن الإنسان ما دام يأمل  
الحيات فإنه لا يقطع أمله من الدنيا، وقد لا تسمح نفسه بالإقلاع عن لذاتها  
وشهواتها من المعاصي وغيرها ويرجيه الشيطان بالتوبة في آخر عمره، فإذا تيقن  
الموت وأيس الحياة أفاق من سكراته بشهوات الدنيا فندم حينئذ علي تفريط ندامة  
يكاد يقتل نفسه وطلب الرجعة إلى الدنيا يتوب ويعمل صالحا فلا يجاب إلى شيء  
من ذلك فيجتمع عليه سكرة الموت عم حسرة الفوت.

وقد حذر الله في كتابه عباده من ذلك ليستعدوا للموت قبل نزول بالتوبة  
والعمل الصالح قال تعالى **لِأَنْبِيَا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسَلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ  
ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ (٥٤) وَأَتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ  
الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٥٥) أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي  
جَنبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ { [الزمر: ٥٤ - ٥٦] "**

سمع بعض المحتضرين عند احتضاره يلطم على وجهه ويقول " يا حسرتي على  
ما فرطت من جنب الله " .

وقال آخر عند موته: لا تغرانكم الحياة الدنيا كما غرتني .

وقال تعالي {حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ} [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠]

وقال تعالي {وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنُ مِنَ الصَّالِحِينَ} [المنافقون: ١٠] "

وقال تعالي {وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلِ إِيَّتِهِمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ} [سبأ: ٥٤] " وفسر طائفة من السلف منهم عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - بأنهم طلبوا التوبة حين حال بينهم وبينها .

وقال الحسن. أتق الله بن آدم لا يجتمع عليك خصلتان سكرة الموت، وحسرة الفوت.

وقال ابن السماك: أحذر السكرة والحسرة أن يفاجئك الموت وأنت على الغرة، فلا يصف واصف قدر ما تلقي ولا قدر ما تري. ١

..... الدعاء

## (١٠) الابتلاءات الخمس في القرآن الكريم

### الخطبة الأولى

الحمد لله الذي نور بجميل هدايته قلوب أهل السعادة، وطهر بكريم ولايته أفئدة الصادقين فأسكن فيها وداده، ودعاها إلى ما سبق لها من عنايته فأقبلت منقاداً، الحميد المجيد الموصوف بالحياة والعلم والقدرة والإرادة، نحمده على ما أولى من فضل وأفاده، ونشكره معترفين بان الشكر منه نعمة مستفاده.

واشهد إن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو على كل شيء قدير شهادة أعدها من أكبر نعمه وعطائه، وأعدها وسيلة إلى يوم لقاءه

تعطف بفضل منك يا مالك الورى  
لئن أبعدتني عن حماك خطيئتي  
ولست أرى لي حجة أتبغى بها  
وأشهد أن سيدنا وحبينا وشفيعنا محمد عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه  
وحيبيه

الذي أقام به منابر الإيمان ورفع عماده، وأزال به سنان البهتان ودفع عناده

وشفع في خير الخلائق طرا  
هو الهادي المشفع في البرايا  
عليه من المهيمن كل وقت  
صلاة تملأ الأكوان طيبا  
وعلى اله وأصحابه ومن سار على نهجه وتمسك بسنته واقتدى بهديه واتبعهم  
بإحسان إلى يوم الدين ونحن معهم يا أرحم الراحمين

إخوة العقيدة: حديثنا في هذا المشهد المهيب الذي تنفطر فيه القلب و تدمع فيه العين عن أمواع الابتلاء في القرآن الكريم و الابتلاء هو الاختبار و الامتحان الذي قدره الله تعالى على عباده حيث قال سبحانه و تعالى {الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ

لِيَلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَفُورُ { [الملك: ٢]

### أولاً: الابتلاء بالتكاليف الشرعية

والمقصود بالتكاليف الشرعية هي جميع الأوامر والنواهي التي أمرنا الله تعالى بها ونهانا عنها ولتي دل عليها القرآن وسنة النبي العدنان -صلى الله عليه وسلم-

فالله تعالى ابتلى عباده بتلك التكاليف لينقسم العباد بين صابر على أداء تلك التكاليف و بين منتهك لها { إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا } سورة الأحزاب الآية (٧٢).

ودلّ على ذلك آيات كثيرة منها الآيتين السابقتين ومنها أيضاً قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾<sup>١</sup>، ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ﴾<sup>٢</sup>.

والتكاليف الشرعية شاملة لأصول الدين مما يتعلق بالإيمان بالله ورسله وكتبه واليوم الآخر والملائكة والقدر خيره وشره، وهذا من الواضح بمكان، وكذلك تدخل الأحكام العملية وهي المسماة بفروع الدين.

" وإنما كان التكليف ابتلاءً مع ما فيه من سعادة البشر في الدنيا والآخرة لأنه - التكليف - مبيّناً عن أحوال الناس في الامتثال للأوامر والترك للنواهي، ومحصلاً لدعاويهم وكاشفاً عن دخالهم"<sup>٣</sup>

قال ابن عاشور " فإطلاق اسم الابتلاء على التكاليف مجاز مرسل، وتسمية ما

١ - سورة الذاريات الآية (٥٦).

٢ - سورة الإنسان الآية (٢).

٣ - السنن الإلهية في الأفراد والأمم - للدكتور مجدي محمد عاشور: ص ٢٩٢

يلزم التكليف من إظهار أحوال النفوس ابتلاءً استعاراً<sup>١</sup>.

والبشرية اليوم مكلفة باتباع النبي صلى الله عليه وسلم لأنه خاتم النبيين ولا يقبل الله ديناً غير الإسلام وعملاً بغير القرآن ، فلا يجوز لبشر، كائناً من كان، أن يتدين بغير الإسلام قال تعالى : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾<sup>٢</sup> وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾<sup>٣</sup>.

واعلم علمني الله وإياك: أن النجاح في ذلك الابتلاء اقل من القليل تأمل عبد الله في نسبة النجاح كما في حديث أبي هريرة وحديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه -

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (أَوَّلُ مَنْ يُدْعَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ آدَمُ، فَتَرَاءَى ذُرِّيَّتُهُ، فَيَقَالُ: هَذَا أَبُوكُمْ آدَمُ. فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، فَيَقُولُ: أَخْرِجْ بَعَثَ جَهَنَّمَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ. فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، كَمْ أُخْرِجُ؟ فَيَقُولُ: أَخْرِجْ مِنْ كُلِّ مِائَةٍ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ. فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِذَا أَخَذَ مِنَّا مِنْ كُلِّ مِائَةٍ تِسْعَةً وَتِسْعُونَ فَمَاذَا يَبْقَى مِنَّا؟ قَالَ: إِنَّ أُمَّتِي فِي الْأُمَّمِ كَالشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: يَا آدَمُ، فَيَقُولُ لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، فَيَقُولُ: أَخْرِجْ بَعَثَ النَّارِ. قَالَ: وَمَا بَعَثَ النَّارَ؟ قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ، فَعِنْدَهُ يَشِيبُ الصَّغِيرُ، وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا، وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى، وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنَّا ذَلِكَ الْوَاحِدُ؟ قَالَ: أَبْشِرُوا، فَإِنَّ مِنْكُمْ رَجُلًا، وَمِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلْفًا. ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ،

١ - التحرير والتنوير - " ١٢٣ / ٢٦ "

٢ - سورة آل عمران الآية ١٩

٣ - سورة آل عمران - الآية ٨٥.

إِنِّي أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا رُبْعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَكَبَّرْنَا. فَقَالَ: أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا ثُلْثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَكَبَّرْنَا. فَقَالَ: أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَكَبَّرْنَا. فَقَالَ: مَا أَنْتُمْ فِي النَّاسِ إِلَّا كَالشَّعْرَةِ السُّودَاءِ فِي جِلْدِ ثَوْرٍ أَبْيَضٍ، أَوْ كَشَعْرَةِ بَيْضَاءٍ فِي جِلْدِ ثَوْرٍ أَسْوَدَ. (١)

ومعنى "بَعَثَ النَّارَ" أي: الذين يبعثون إلى النار من ذرية آدم.

ومعنى "أَخْرَجَ بَعَثَ النَّارَ" أي: مَيَّزَ أَهْلَ النَّارِ مِنْ غَيْرِهِمْ.

ففي الحديث الأول أن عدد الناجين يوم القيامة عشرة من الألف، وفي الحديث الثاني واحد من الألف.

وقد جمع العلماء بين الحديثين بعدة طرق، ومنها:

١- أن مفهوم العدد لا اعتبار له، فالتخصيص بعدد لا يدل على نفي الزائد، والمقصود من العددين واحدٌ وهو تقليل عدد المؤمنين وتكثير عدد الكافرين.

٢- حمل حديث أبي سعيد الخدري على جميع ذرية آدم، فيكون من كل ألف واحدٌ، وحمل حديث أبي هريرة على مَنْ عدا يأجوج ومأجوج، فيكون من كل ألف عشرة، ويقرب ذلك أن يأجوج ومأجوج ذكروا في حديث أبي سعيد دون حديث أبي هريرة.

٣- ويحتمل أن تقع القسمة مرتين: مرة من جميع الأمم قبل هذه الأمة فيكون من كل ألف واحدٌ، ومرة من هذه الأمة فقط فيكون من كل ألف عشرة.

٤- ويحتمل أن يكون المراد ببعث النار: "الكفار ومن يدخلها من العصاة" فيكون من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون كافراً، ومن كل مائة تسعة وتسعون عاصياً.

١ - الحديث الثاني رواه البخاري (٣٣٤٨) ومسلم (٢٢٢)

مَرَّ سَيِّدُنَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ذَاتَ يَوْمٍ بِرَجُلٍ فِي السُّوقِ. فَإِذَا  
بِالرَّجُلِ يَدْعُوًا وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنْ عِبَادِكَ الْقَلِيلِ... اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنْ  
عِبَادِكَ الْقَلِيلِ»

فَقَالَ لَهُ سَيِّدُنَا عُمَرُ: مِنْ أَيْنَ أَتَيْتَ بِهَذَا الدُّعَاءِ؟

فَقَالَ الرَّجُلُ: إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾.

فَبَكَى سَيِّدُنَا عُمَرُ وَقَالَ: كُلُّ النَّاسِ أَفْقَهُ مِنْكَ يَا عُمَرُ. (١)

إِذَا نَصَحْتَ أَحَدًا بِتَرْكِ مَعْصِيَةٍ كَانَ رَدُّهُ: «أَكْثَرُ النَّاسِ تَفَعَّلَ ذَلِكَ، لَسْتُ  
وَحْدِي!»

و لو بحثت عن كلمة (أكثر الناس) في القرآن الكريم لوجدت من بعدها

{وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [يوسف: ٤٠]

{وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ} [هود: ١٧]

{وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ} [البقرة: ٢٤٣]

و لو بحثت عن كلمة (أكثرهم) لوجدت ما بعدها:

{وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٣٧)} [الأنعام: ٣٧]

{بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ} [العنكبوت: ٦٣]

{أَوْ كَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ} [البقرة: ١٠٠]

{وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ} [يونس: ٦٠]

{قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ

١ - أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ١٠ / ٣٣٢

مُشْرِكِينَ { [الروم: ٤٢]

{ مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ } [الأنعام: ١١١]

{ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ } [آل

عمران: ١١٠]

عِيفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةَ يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ

وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ { [التوبة: ٨]

{ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ } [النحل: ٨٣]

{ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ } [الشعراء: ٢٢٣]

فَكُنْ أَنْتَ مِنَ الْقَلِيلِ الَّذِي قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ:

{ وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ } [سبأ: ١٣]

{ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ } [هود: ٤٠]

{ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ } [ص: ٢٤]

{ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ (١٣) وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ } [الواقعة: ١٣، ١٤]

**ثانياً: الابتلاء بالنعم وكثرة الرزق "الخير":**

وهذا النوع من الابتلاء يلي النوع الأول في الخطورة حيث أن الابتلاء بالسراء لا

يصبر عليه إلا من وفقه الله تعالى وألهمه الخير فالسراء تظهر معدن الإنسان وتظهر

مدى إيمانه وثباته على الشكر لله تعالى على ما منَّ عليه من نعم قال الله تعالى:

{ وَبَلَّوْكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ } [الأنبياء: ٣٥]

الإنسان أمام النعم إما شاكر وإما جاحد ولقد ذكر الله تعالى لنا أحوال

الشاكرين وأحوال الجاحدين الناجحين والراسيين

فمن الناجحين وورد في قصة -سليمان عليه السلام- عندما جيء له بعرش بلقيس { فَلَمَّا رَأَهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَشَكَرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ } [النمل: ٤٠] أي ليختبرني بذلك، فلم يغتر عليه السلام بملكه وسلطانه بل علم أن ذلك اختبار من ربه فخاف أن لا يقوم بشكر هذه النعمة".

وتأمل كيف عد هذا الملك ابتلاء واختبار

وقد رسب كثيرون في الامتحان بالسراء لجهله بحقيقة الامتحان. قال تعالى ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾<sup>١</sup>. وإلى يوم الناس هذا هناك من يفهم أن النعمة إكرام وليست ابتلاءً مع أن الآيات التي بعدها ردت هذا المفهوم الخاطئ فقال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ لَا تَكْرُمُونَ الْيَتِيمَ﴾<sup>٢</sup> وكلا أداة زجر وردع أي انتهوا وكفوا عن هذا المفهوم الخاطئ.

عن عبد الرحمن بن أبي عمرة أن أبا هريرة حدثه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول

إن ثلاثة في بنى إسرائيل أبرص وأقرع وأعمى فأراد الله أن يبتليهم فبعث إليهم ملكاً فأتى الأبرص فقال أي شيء أحب إليك قال لون حسن وجلد حسن ويذهب عني الذي قد قدرني الناس. قال فمسحه فذهب عنه قدره وأعطى لونا حسنا وجلدا حسنا قال فأى المال أحب إليك قال الإبل أو قال البقر شك إسحاق إلا أن الأبرص أو الأقرع قال أحدهما الإبل وقال الآخر البقر قال فأعطى ناقة عشراء فقال بارك الله لك فيها قال فأتى الأقرع فقال أي شيء أحب إليك قال شعر حسن

١ تفسير السعدي - ص ٦٠٥

٢ - سورة الفجر - الآية ١٥

٣ سورة الفجر الآية (١٧).

ويذهب عنى هذا الذى قدرني الناس . قال فمسحه فذهب عنه وأعطى شعرا حسنا قال فأى المال أحب إليك قال البقر . فأعطى بقرة حاملا فقال بارك الله لك فيها قال فأتى الأعمى فقال أى شيء أحب إليك قال أن يرد الله إلى بصرى فأبصر به الناس قال فمسحه فرد الله إليه بصره . قال فأى المال أحب إليك قال الغنم . فأعطى شاة والدا (١) فأنتج هذان وولد هذا قال فكان لهذا واد من الإبل ولهذا واد من البقر ولهذا واد من الغنم . قال ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته فقال رجل مسكين قد انقطعت بي الحبال (٢) في سفري فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال بعيرا أتبلغ عليه في سفري . فقال الحقوق كثيرة . فقال له كأنى أعرفك ألم تكن أبرص يقدرك الناس فقيرا فأعطاك الله فقال إنها ورثت هذا المال كابرا عن كابر . (٣) فقال إن كنت كاذبا فصيرك الله إلى ما كنت . قال وأتى الأقرع في صورته فقال له مثل ما قال لهذا ورد عليه مثل ما رد على هذا فقال إن كنت كاذبا فصيرك الله إلى ما كنت . قال وأتى الأعمى في صورته وهيئته فقال رجل مسكين وابن سبيل انقطعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك أسألك بالذي رد عليك بصرك شاة أتبلغ بها في سفري فقال قد كنت أعمى فرد الله إلى بصرى فخذ ما شئت ودع ما شئت فوالله لا أجهدك اليوم شيئا أخذته لله فقال أمسك مالك فإنما ابتليتكم فقد رضى عنك وسخط على صاحبك . (٤)

اعلم علمني أن في هذه القصة من الدروس والحكم والعظات ما ينبغي لكل مسلم أن يتعلمها وأن يضعها أمام عينيه نذكر منها:

١ - شاة والدا: أي وضعت ولدها، وهو معها.

٢ - انقطعت بي الحبال: هي الأسباب. وقيل: الطرق.

٣ - إنها ورثت هذا المال كابرا عن كابر: أي ورثته من آبائي الذين ورثوه من آبائهم، كبيرا عن كبير، في العز والشرف والثروة.

٤ - أخرجه البخاري ٤/٢٠٨ (٣٤٦٤) و"مسلم" ٨/٢١٣

أن الابتلاء يكون بالسراء كما يكون بالضراء بل إن ابتلاء السراء أشد خطراً على المرء من ابتلاء الضراء يقول الله سبحانه وتعالى { وَنَبَلُّوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ } [الأنبياء: ٣٥] { وَبَلَّوْنَا هُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ } [الأعراف: ١٦٨] يتلى الإنسان على المستوى الشخصي بالنعماء أو الخير فتنة وتمحيصاً، وذلك بأن يعطيه الله المال والجاه أو العافية والمنصب والأولاد ونحو ذلك، وهذا المظهر من أهم مظاهر الابتلاء نظراً لما يعقبه من شكر للنعمة أو كفر بها، قال تعالى فيما يحكيه القرآن عن سيدنا سليمان قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم)، وشكر النعمة يعقبه زيادتها، أما كفرانها فإنه يورث الطغيان والكبر

والعجب والخيلاء ونحو ذلك من أمراض القلوب، وقد حذرنا المولى سبحانه من عاقبة النعماء، خاصة إذا تعلق الأمر بالأموال والأولاد أو الأزواج، فقال عز من قائل {وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ} [الأنفال: ٢٨] وقال سبحانه {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن مِّنَ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعَفُوا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٤) إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ} [التغابن: ١٤، ١٥]. وقد أجملت الإشارة إلى النوعين جميعاً (الابتلاء بالشر والابتلاء بالخير) الآية الكريمة: كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون.

وتشير القصة إلى معنى عظيم، وهو أن الابتلاء بالسراء والرخاء قد يكون أصعب من الابتلاء بالشدة والضراء، وأن اليقظة للنفس في الابتلاء بالخير، أولى من اليقظة لها في الابتلاء بالشر.

وذلك لأن الكثيرين قد يستطيعون تحمُّل الشدَّة والصبر عليها، ولكنهم لا يستطيعون الصبر أمام هواتف المادَّة ومغرياتها.

كثير هم أولئك الذين يصبرون على الابتلاء بالمرض والضعف، ولكن قليل هم الذين يصبرون على الابتلاء بالصحة والقدرة. كثيرون يصبرون على الفقر والحرمان فلا تتهاوى نفوسهم ولا تذلل، ولكن قليل هم الذين يصبرون على الغنى والثراء، وما يغريان به من متاع، وما يثيرانه من شهوات وأطماع، كثيرون يصبرون على التعذيب والإيذاء، ولكن قليلين هم الذين يصبرون على الرغائب والمناصب.

وهذا عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه يقول: "ابتلينا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالضراء فصبرنا، ثم ابتلينا بالسَّراء بعده فلم نصبر".

ولعل السر في ذلك أن الشدَّة تستنفر قوى الإنسان وطاقاته ، وتثير فيه الشعور بالتحدي والمواجهة ، وتشعره بالفقر إلى الله تعالى ، وضرورة التضرع واللجوء إليه فيهبه الله الصبر ، أما السراء ، فإن الأعصاب تسترخي معها ، وتفقد القدرة على اليقظة والمقاومة ، فهي توافق هوى النفس ، وتخطب الغرائز الفطريَّة فيها ، من حب الشهوات والإخلاق إلى الأرض ، فيسترسل الإنسان معها شيئاً فشيئاً ، دون أن يشعر أو يدرك أنه واقع في فتنة ، ومن أجل ذلك يجتاز الكثيرون مرحلة الشدة بنجاح ، حتى إذا جاءهم الرخاء سقطوا في الابتلاء - كما فعل الأبرص والأقرع - ، وذلك شأن البشر ، إلا من عصم الله ، فكانوا ممن قال فيهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ( عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير ، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له ) (١) ، فاليقظة للنفس في حال السراء أولى من اليقظة لها في حال الضراء ، والصلة بالله في الحالين هي وحدها الضمان .

### ثالثاً: الابتلاء بالشدائد والمصائب

إن كان النوع الثاني لإظهار الشاكر من الجاد فإن هذا النوع من البلاء ليظهر

١ - أخرجه أحمد ٤/٣٣٢ (١٩١٤٢) و"الدارمي" ٢٧٧٧. و"مسلم" ٨/٢٢٧ (٧٦١٠)

الصابر من الساخط لتتجلى أهم صفات أهل الإيـان من الرضا بمر القضاء والصبر  
في الضراء

: وهذا النوع من الابتلاء ينزل بالمؤمنين ليختبر صبرهم أو رضاهم بما قدره الله  
تعالى عليهم ، ومن الآيات الواردة في هذا الشأن قوله تعالى { وَكَلَبُواكَ بَشِيءٍ مِّنَ  
الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥)  
الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ  
صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ } [البقرة: ١٥٥ - ١٥٧]

جاء في تفسيرها " لـمتحنكم ببعض ضروب الخوف من الأعداء وغيره من  
المصائب البشرية المعتادة في المعاش، وأكد هذا بصيغة القسم لتوطين الأنفس عليه؛  
فأعلمهم بأن مجرد الانتساب إلى الإيـان لا يقتضي سعة الرزق وقوة السلطان،  
وانتفاء المخاوف والأحزان، بل يجري ذلك بسنن الله تعالى في الخلق كما أن من سنن  
الخلق وقوع المصائب بأسبابها .

وفي الابتلاء بالشر حكم لا يحيط بها العقل، ولكن في الآية إشارة إلى بعضها؛  
حيث قال تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ  
رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾<sup>١</sup> فالحكمة  
المقصودة هنا أن من تلقى الابتلاء بالشر، بالصبر والتسليم وقال ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ  
رَاجِعُونَ ﴾ أن الله سوف يجازيه يوم القيامة على صبره بما جاء بعدها ﴿ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ  
صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ .

ومنها ما ذكره ابن القيم بقوله " فلولا محن الدنيا ومصائبها لأصاب العبد من

١ - تفسير المنار " ٣٩ / ٢ "

٢ - سورة البقرة الآيات (١٥٥-١٥٧)

أدواء الكبر والعجب والفرعنة وقسوة القلب ما هو سبب هلاكه عاجلاً وآجلاً<sup>(١)</sup>.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « إن أيوب نبي الله لبث به بلاؤه خمس عشرة سنة فرفضه القريب والبعيد إلا رجلين من إخوانه كانا من أخص إخوانه ، قد كانا يغدوان<sup>(٢)</sup> إليه ويروحان ، فقال أحدهما لصاحبه ذات يوم : نعلم والله لقد أذنب أيوب ذنباً ما أذنبه أحد من العالمين فقال له صاحبه : وما ذاك ؟ قال : منذ ثماني عشرة سنة لم يرحمه الله فكشف عنه ما به فلما راحا إلى أيوب لم يصبر الرجل حتى ذكر له ذلك ، فقال له أيوب : لا أدري ما تقول غير أن الله يعلم أي كنت أمر بالرجلين يتنازعان يذكران الله فأرجع إلى بيتي ، فأكفر عنهما كراهية أن يذكر الله إلا في حق ، وكان يخرج لحاجته ، فإذا قضى حاجته أمسكت امرأته بيده حتى يبلغ ، فلما كان ذات يوم أبطأ عليها فأوحى الله إلى أيوب في مكانه أن اركض برجلك هذا مغتسل بارداً وشراب ، فاستبطأته فتلقته وأقبل عليها قد أذهب الله ما به من البلاء وهو أحسن ما كان ، فلما رأتها قالت : أي بارك الله فيك هل رأيت نبي الله هذا المبتلى ؟ والله على ذلك ما رأيت رجلاً أشبه به منك إذ كان صحيحاً ، قال : فإني أنا هو ، قال : وكان له أندران أندر للقمح وأندر للشعير ، فبعث الله سحابتين ، فلما كانت أحدهما على أندر القمح أفرغت فيه الذهب حتى فاض وأفرغت الأخرى في أندر الشعير الورق حتى فاض » « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه »<sup>(٣)</sup>

١ - زاد المعاد في هدي خير العباد - لابن قيم الجوزية تحقيق شعيب ، وعبد القادر الارناؤوط - مؤسسة

الرسالة - بيروت - ط ١٤ - ١٩٨٦ - أ : ١٩٥ / ٤١ "

٢ - العُدُو: السير أول النهار

٣ - أخرجه ابن حبان (١٥٧ / ٧ ، رقم ٢٨٩٨) ، والحاكم (٦٣٥ / ٢ ، رقم ٤١١٥) وقال : صحيح على

شرط الشيخين . وأخرجه أيضاً : الطبري في التفسير (١٦٧ / ٢٣) ، وابن أبي حاتم كما في تفسير

ابن كثير (٤٠ / ٤) ، وأبو يعلى (٢٩٩ / ٦ ، رقم ٣٦١٧) ، وأبو نعيم في الحلية (٣٧٤ / ٣) وقال :

غريب . والضياء (١٨٤ / ٧ ، رقم ٢٦١٧)

## النوع الرابع الابتلاء بالتفاوت بين الناس

أقام الله تعالى نظام الحياة والأحياء على اختلاف بين الناس، وتفاوتهم في الصفات الوهيبية والكسبية، وهذا الاختلاف في حد ذاته ابتلاء؛ ومن أمثلة ذلك أن الأغنياء فتنة للفقراء والأصحاء فتنة للمرضى والأقوياء فتنة للضعفاء والعكس بالعكس وهكذا.

ومن الآيات التي صرحت بهذا النوع من الابتلاء:

قول الله تعالى: {وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَنْتُمْ بِرُؤُوسٍ} سورة الفرقان الآية ٢٠

قال القرطبي " فأراد سبحانه أن يجعل بعض العبيد فتنة لبعض على العموم في جميع الناس - مؤمن وكافر -: فالصحيح فتنة للمريض، والغني فتنة للفقير، والفقير الصابر فتنة للغني، ومعنى هذا أن كل واحد مختبر بصاحبه، فالغني ممتحن بالفقير أن يواسيه ولا يسخر منه، والفقير ممتحن بالغني أن لا يحسده ولا يأخذ منه إلا ما أعطاه، والصبر أن يجبس كلاهما نفسه، هذا عن البطر، وذلك عن الضجر، وقوله تعالى: {أَنْتُمْ بِرُؤُوسٍ}؟ محذوف الجواب، يعني أم لا تصبرون<sup>٢</sup>."

ومن الآيات الدالة على هذه السنة في الابتلاء قوله تعالى: {وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَتَّقُوا أَهْؤُلَاءِ مِنَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ} - سورة الأنعام - الآية ٥٣

ووجه الفتنة هنا أن يعلم الناس أن التفاضل الحقيقي والتفاضل النافع؛ إنها هو في طاعة الله والمسارعة إلى مرضاته؛ لا التفاوت في الدنيا الزائلة، وإلى هذا المعنى جاءت الإشارة في قوله تعالى: {إِنْ أَكْرَمَكُمُ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقَاكُمْ} ٣. وقد يكون هذا

١ السنن الإلهية - في الأمم والأفراد - للدكتور مجدي محمد عاشور ص ٣١٤

٢ - تفسير القرطبي - "١٨/١٣"

٣ سورة الحجرات الآية (١٣).

الأتقى صعلوك لا مال له ولا زوجه، وقد يكون مَنْ هو دونه في التقوى صاحب مكانه اجتماعية مرموقة وحال مرضية يتمناها أكثر الذين يعيشون من حوله.

وفي الحديث (إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أجسادكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم)¹.

### ومن حكم التفات:

أولاً: لو كان الناس على مستوى واحد في رزقهم وإمكاناتهم لما قامت الحياة ودار دولابها، ولتعطلت كثير من الأعمال، وقد أشار الله سبحانه إلى هذه الحكمة بقوله تعالى: (أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحِمْتَ رَبُّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ) [الزخرف: ٣٢].

قال السدي وابن زيد: يسخر الأغنياء الفقراء فيكون بعضهم سبباً لمعاش بعض.

ثانياً: الابتلاء والاختبار، ليظهر الشاكر من الكافر، والصادق من الكاذب، فالغني مبتلى بالغنى، والفقير مبتلى بالفقر. أما الغني فهل يؤدي شكر نعمة الله عليه وينفق المال وفق أمر الله له؟ وأما الفقير فهل يصبر ويحمد الله على ما هو فيه دون حسد لغيره وتضجر من قدر الله وحكمته؟ وبذلك ترفع درجتهما إن صبرا، ويعذب من سخط منهما ولم يرض بقسمة الله.

ثالثاً: أن الله تعالى يعطي ويمنع بما يصلح عباده، قال تعالى: (وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنزِلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ) [الشورى: ٢٧].

¹ صحيح مسلم حديث رقم ١٩٨٦.

وقد استشهد الإمام ابن كثير في تفسير هذه الآية بالحديث الذي أخرجه الطبراني والديلمي في الفردوس وأبو نعيم في الحلية من حديث أنس وعمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه قال: "أتاني جبريل، فقال: يا محمد، ربك يقرأ عليك السلام، ويقول: إن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا بالغنى ولو أفقرته لكفر، وإن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا بالقلّة ولو أغنيته لكفر، وإن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا بالسقم ولو أصححته لكفر، وإن من عبادي من لا يصح إيمانه إلا بالصحة ولو أسقمته لكفر"، والحديث وإن كان ضعيفاً وأورده ابن الجوزي في العلل إلا أن معناه صحيح، ولذا أورده الإمام ابن كثير ولم يعلق عليه، وكذا أورده شيخ الإسلام ابن تيمية في رسالته المسماة بقاعدة في المحبة.

#### النوع الخامس: الابتلاء بسماع المؤمنين ما يؤذيه من الكافرين:

ومن أنواع الابتلاءات المشاهدة التي ذكرها القران الكريم -الابتلاء بسماع المؤمنين ما يؤذيه من الكافرين والى هذه جاءت الإشارة في قوله تعالى: لَتُبْلَوْنَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ آوَتْوَا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ {سورة آل عمران (١٨٦)}.

جاء في تفسيرها {وَلَتَسْمَعَنَّ} أي من الطعن فيكم وفي دينكم وفي كتابكم

ورسولكم، وفي الإخبار

وهذا ما يحدث الآن وما حدث من قديم الأزل مع الأنبياء والمرسلين والمصلحين أن أعداء الحق يوجهون سهامهم نحو أهل الحق بالهمز واللمز والطعن والتشكيك فقد قالوا على النبي ﷺ أنه ساحر ومجنون وكاهن وكذاب وأذوه في نفسه وفي أهله وفي أصحابه فما زاده إلا إيمانا وتسليما

وتأمل إلى الفترة العصبية التي تحيها الأمة حيث يكال لها الأذى وترمى بالجرم والإرهاب من تلك العصابة الكافرة الماجنة التي تتحكم في العالم الآن حيث يرمي

الإسلام بانه دين تطرف وإرهاب و انه جاء بحد السيف و غيرها من تهم باطله

فان قلت ما هي الحكمة من ذلك الابتلاء

**فاعلم أن فيه فوائد:**

\* منها أن الله أخبرهم بذلك لتتوطن نفوسهم على وقوع ذلك، والصبر عليه إذا

وقع؛

لأنهم قد استعدوا لوقوعه، فيهون عليهم حمله وتخف عليهم مؤنته، ويلجأون

إلى الصبر والتقوى.

ونحن لا نزال في هذا العصر نسمع من اليهود في فلسطين المحتلة ومن

الدينمارك والدول

الأوروبية وأمريكا ما يؤذي أسماعنا، ويزعج قلوبنا، وتضيق به نفوسنا بل

وتدمع له الأعين كما حدث في الرسوم المسيئة إليهم في الحقيقة لا إلى سيدنا رسول

الله صلى الله عليه وسلم، ومن التندر بالمصحف الشريف بل وبالذات الإلهية في

الأفلام، وغير ذلك، فهذا في حد ذاته آية تدل

على أن هذا القرآن كلام الله تعالى.

[ولو أن أحد الدعاة أو العلماء الذين تصدو لمواجهة هؤلاء الكفار انتبه إلى هذه

الآية وقال لهم: إن الله قد أخبرنا منذ ما يزيد على ألف وأربعمائة سنة أنكم ستقولون

هذا الكلام في حق النبي صلى الله عليه وسلم، لعله أن يكون سبباً في إسلام

بعضهم. والله أعلم].

---

١ تفسير السعدي ص(١٦٠) بتصرف.

## (١١) ويل لك يا أكل الميراث

### الخطبة الأولى

الحمد لله الذي قسم الميراث بنفسه وهو أعدل من قسم وهو الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في عبادته وهو أعلم وأحكم وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أصدق البرية لساناً وأعلاها مقاماً وأعظمها شأناً صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾

[آل عمران ١٠٢].

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ءَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ءَ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾

[النساء: ١].

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب

[٧٠-٧١].

### أما بعد:

أيها المسلمون إن من المواضيع الهامة التي يشتكي منها كثير من المسلمين والمسلمات ونشاهدها في كثير من المجتمعات قضية الحرمان أو التحايل على أكل الميراث فكم من امرأة حرمت من ميراثها

وكم من يتامى أكلت حقوقهم

وكم من ضعفاء لم يجدوا لهم ناصرا

ومما يزيد من الألم ويفجع الفؤاد أن يكون الظلم من الإخوة للأخوات والله در

الشاعر إذ يقول:

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة على النفس من وقع الحسام المهند  
لقد حرم الله - عز وجل - الظلم على نفسه، وحرمه على عباده، كما في الحديث  
القدسي: (يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالُمُوا)  
رواه مسلم.

والله - عز وجل - توعد الظالمين بالعذاب فقال تعالى: {وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا  
يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخَّرُهُمْ لِيَوْمَ تَشْخَصُ فِيهِ الأبْصَارُ} (٤٢) سورة إبراهيم.  
وقال: {أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ} (١٨) سورة هود.

لذا كان لزاما وأجل مسمى أن نتكلم أن عن هذه القضية:

### العنصر الأول: الميراث وصية الله تعالى لعباده

أيها الأحباب: الميراث هو وصية الله تعالى لعباده والذي يتأمل في فرائض  
الإسلام ليرى أمرا عجيبا فالله تعالى فرض علينا الصلاة ولم يبن في القرآن عدد  
الركعات وتركها لنبيه - صلى الله عليه وسلم لبيئها لنا عن طريق السنة التي هي  
المصدر الثاني للتشريع وكذا الزكاة، أما الميراث فبينه - سبحانه وتعالى - الأنصبة  
فبين لنا نصيب كل فرد وبين لنا أحوله

ومن تأمل الآيات الثلاث الواردة في تفصيل أنصبة الورثة رأى أنها جميعا  
ختمت بصفة العلم ففي الآية الأولى: ((فريضة من الله إن الله كان عليها حكيما))  
وفي الآية الثانية: ((وصية من الله والله عليم حلیم)) وفي الآية الثالثة: ((يبين الله  
لكم أن تصلوا والله بكل شيء عليم)).

سبحانه - ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾ [النساء:

[١١].

إنه - سبحانه - يوصي بتقسيم الميراث تقسيماً إسلامياً على منهج القرآن الكريم، وهذا يعني أنه - سبحانه - وإن كان قد وصَّى بالتوحيد والتقوى - وهما من أعظم أمور الدين - مرة واحدة، فقد وصَّى وما زال يوصي إلى الآن - بل إلى قيام الساعة - بالتزام المنهج القرآني عند تقسيم الميراث، فقال: ﴿يُوصِيكُمُ﴾ بالفعل المضارع الذي يدلُّ على التجدد والاستمرارية، وفي ذلك إشارة واضحة إلى الاهتمام البالغ من القرآن بتقسيم الميراث تقسيماً شرعياً مصدره الوحي المعصوم.

أيها الناس، إن من عادة كل إنسان أن يُنفذ وصيةً من له مكانة عنده، وكلما علت مكانة الموصي، كان تنفيذ وصيته ألزماً، ولا سيما إن كرر نفس الوصية وأمر بتنفيذها. إن الله - جل في علاه - أعظم من كل عظيم، وأكبر من كل كبير، وأعلى من كل عليٍّ؛ قال تعالى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]؛ لذا نقول: إن وصية الله في الميراث أولى أن تُنفذ.

### العنصر الثاني: أسباب أكل الميراث

إخوة الإسلام: إن هناك أسباب عديدة تجعل الإنسان يأكل الميراث ويتعدى حدود ما أنزل الله تعالى نذكر من أهمها:

١- ضعف الإيمان: فأكل الميراث ضعيف الإيمان وإن صلى وصام وقرأ القرآن لأنه تشبه بأعداء الله وقتلت الأنبياء من اليهود عندما قالوا لأنبيائهم كما أخبر الله تعالى عنهم ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩٣]

فإن الله تعالى أمرهم ولكنهم قالوا سمعنا وعصينا وأنت يا أكل الميراث إن لم تقلها بلسانك فأنت تقولها بأفعالك وجحودك لحقوق الورثة

٢- طمع الأقارب في ميراث المرأة: فكثيراً من أكلة الموارث أصابهم الجشع

والطمع فجحدوا حق الورثة ظنا منهم أن ذلك سينقص المال والطمع جمة لا تحرق  
إلا صاحبها في الدنيا والآخرة

عن كعب بن مالك الأنصاري عن النبي صلى الله عليه وسلم: ((ما ذئبان أرسلنا  
في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه)) (١)

وقال المناوي: (فمقصود الحديث أن الحرص على المال والشرف أكثر إفساداً  
للدين من إفساد الذئبين للغنم؛ لأن ذلك الأثر والبطر يستفز صاحبه ويأخذ به إلى  
ما يضره، وذلك مذموم لاستدعائه العلو في الأرض والفساد المذمومين شرعاً) (٢)  
وقال الوراق: (لو قيل للطمع: من أبوك؟ قال: الشك في المقدور. ولو قيل: ما  
حرفتك؟ قال: اكتساب الذل. ولو قيل ما غايتك: قال الحرمان) (٣)

وقال أبو العباس المرسي: الطمع ثلاثة أحرف كلها مجوفة، فصاحبه بطن كله لا  
يشبع أبداً. واصل الطمع وسببه والدافع إليه التوهم أعني التخيل والحسبان، (٤)

٣-التقاليد والعادات القبلية الجاهلية: فبعض الناس عندهم عادات لا يورثون  
البنات ويجحدوهم حقوقهم فاذا قلت له لماذا لا تورث إخوتك يقول إحنا طلعلنا  
وجدنا آباءنا وأجدادنا لا يورثون البنات

نقول له: هذه عادات أهل الجاهلية الذين ذمهم الله تعالى وبين أن التقاليد سبيل  
الضلال { وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا  
عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ } [المائدة: ١٠٤] وقال

١ - أخرجه أحمد (٤٥٦/٣)، رقم (١٥٨٢٢)، والترمذي (٥٨٨/٤) رقم (٢٣٧٦) وقال: حسن صحيح.

والدارمي (٣٩٤/٢) رقم (٢٧٣٠)، والطبراني (٩٦/١٩)، رقم (١٨٩).

٢ - فيض القدير (٥/٥٦٩)

٣ - فيض القدير (٤/٣٨٣)

٤ - فيض القدير (٣/١٧٠)

تعالى {قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ} [الشعراء: ٧٤]

وقال جل ذكره {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ  
آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ} [لقمان: ٢١]

### العنصر الثالث: عقوبات أكل الميراث

أمة الإسلام: إن الأمر ليس باليسير فبعض الناس يظنه هينا وهو عند الله تعالى

عسير

فيا أكل الميراث اسمع إن كان لك قلب تلك العقوبات التي توعدك بها رب

الأرض والسموات

أولاً: أنه متعدد لحدود الله "

اعلم -هداني الله تعالى وإياك- : أن أكلك للميراث فيه تعديا لحدود الله تعالى و  
انتهاكا لحرماته فالله سبحانه بعد أن بين الأنصبة قال {فَلَا تَعْتَدُوهَا}، ولا  
تُجَاوِزُوهَا؛ ولهذا قال: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾؛ أي: فيها، فلم يزد بعض الورثة،  
ولم ينقص بعضاً بحيلة ووسيلة، بل تركهم على حكم الله وفريضته وقسمته، ﴿  
يُدْخِلُهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ \* وَمَنْ  
يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾؛ أي:  
لكونه غير ما حكم الله به، وضاد الله في حكمه، وهذا إنما يصدر عن عدم الرضا بما  
قسم الله وحكم به؛ ولهذا يُجَازِيهِ بِالْإِهَانَةِ فِي الْعَذَابِ الْأَلِيمِ الْمُقِيمِ.

ولا شك أن من منع امرأة: أختاً كانت، أم أمماً، أم جدة أم زوجة ميراثها فقد

تعدى حدود الله، وتعرض لعقوبته، والله قد قسم الميراث قسمة عدل لا جور فيها

ولا حيف

أخرج أحمد عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ((إنَّ

الرجل ليعمل بعمل أهل الخير سبعين سنة، فإذا أوصى حاف في وصيته، فيُخْتَمَ لَهُ

بشرّ عمله، فيدخل النار، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الشر سبعين سنة، فيعدل في وصيّته، فيُختم له بخير عمله، فيدخل الجنة))، قال: ثم يقول أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم: {تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ} إلى قوله: {عَذَابٌ مُهِينٌ}. (١)

### ثانياً: أنه آكل حق الضعيفين

ونقول لهؤلاء الذين فرقوا دينهم، وطبقوا آية وعطلوا أخرى، وصلوا ثم ظلموا، وزكوا ثم بخلوا، وصاموا ثم تركوا، وحجوا ثم ختموا حياتهم بحجة إلى الشيطان - إن النبي - صلى الله عليه وسلم فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " اللهم إني أخرج حقَّ الضَّعِيفَيْنِ: اليتيمَ والمرأةَ (٢)

### ثالثاً: أنه قاطع لأرحامه:

فالله تعالى يجازي أهل الصلة بالصلة في الدنيا والآخرة ويجازي أهل القطيعة بالقطيعة في الدنيا والآخرة والجزاء من جنس العمل

عَنْ أَبِي بَكْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يَعَجَلَ لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا مَعَ مَا يَدْخِرُ لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ قَطِيعَةِ الرَّحِمِ وَالْبَغْيِ". (٣)

يعني: أنه تحصل له عقوبة في الدنيا والآخرة، فيجمع له بين العقوبة الدنيوية والآخروية، حيث يجعل له الله العقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة، فيجمع له بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، والضرر الذي يحصل في الدنيا، والضرر الذي يحصل في الآخرة، وهذا يدل على عظم وخطورة شأن البغي وقطيعة الرحم؛ لأن

١ - أخرجه أحمد (٢/٢٧٨، رقم ٧٧٢٨)، وابن ماجه (٢/٩٠٢، رقم ٢٧٠٤) (ضعيف) انظر حديث رقم: ١٤٥٨ في ضعيف الجامع

٢ - أخرجه ابن ماجه (٢/١٢١٣، رقم ٣٦٧٨)، قال البوصيري (٤/١٠٣): هذا إسناد صحيح رجاله ثقات. والحاكم "الصحيحه" برقم (١٠١٥)

٣ - أخرجه أحمد (٥/٣٦) والبخاري في الأدب المفرد (٢٩). وأبو داود (٤٩٠٢). وابن ماجه (٤٢١١) والترمذي (٢٥١١) الصحيحه ٩١٥، ٩٧٨.

الرسول صلى الله عليه وسلم ذكر أن صاحبها جدير بأن يحصل له هذا وهذا، وأن  
يجمع له بين هذا وهذا، وهذا يدل على خطورة أمر البغي وقطيعة الرحم.

#### ❖ الحجب والحرمان من دخول الجنان:

فالجنة هي صلة الله التي جعلها لأهل كرامته ولأهل طاعته فاذا قطع المسلم  
رحمه حجبه الله من جنته

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، عَنِ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا  
يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ» يعني قاطع رحم (مسلم)، ولفظ أبي داود: ((لا يدخل الجنة  
قاطع رحم)) (١)

#### وفي معنى هذا الحديث قولان

\* أنه لا يدخلها من أول وهلة، أي أنه يتأخر في دخول الجنة، وأنه يدخل النار  
ويعذب بها، ولكنه إذا دخل النار لا يستمر فيها أبداً، بل لابد أن يخرج منها، وأن  
يدخل الجنة ما دام أنه مرتكب لكبيرة فقط، ولا يمنع من دخول الجنة أبداً إلا  
الكفار الذين هم أهل النار، فلا سبيل لهم إلى الخروج منها أبداً.

\* أنه لا يدخلها أبداً إذا كان مستحلاً؛ لأن استحلال الذنب كفر، فيكون ذلك  
مانعاً من دخول الجنة أبداً؛ لأنه يكون بذلك كافراً، والكافر لا يخرج من النار ولا  
يدخل الجنة أبداً،

#### ❖ صلة الله للواصل وقطعه للقاطع والطرده من رحمته

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-: «أَنَّ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: «إِنَّ  
الرَّحِمَ شُجْنَةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ، فَقَالَ اللَّهُ: مَنْ وَصَلَكِ وَصَلْتُهُ، وَمَنْ قَطَعَكِ قَطَعْتُهُ».

وفي رواية قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ،

---

١- (رواه البخاري ١٠ / ٣٤٧ في الأدب، باب إثم القاطع، ومسلم رقم ٢٥٥٦) في البر والصلة، باب  
صلة الرحم وتحريم قطيعتها، وأبو داود رقم (١٦٩٦) في الزكاة، باب صلة الرحم.

حتى إذا فرغ منهم قامت الرِّحْمُ ، فأخذت بحقِّو الرحمن ، فقال : مه ؟ قالت : هذا مقام العائذ [بك] من القطيعة، قال : نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك ، وأقطع من قطعك ؟ قالت : بلى ، قال : فذلك لك ، ثم قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : اقرؤوا إن شئتم : { فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ، أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ ، فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ ، أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ ، أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ؟ } [محمد: ٢٣ ، ٢٤] . (١)

فهذا وعد من الله تبارك وتعالى أنه يصل من وصل الرحم، فيجب على الإنسان أن يصل أقربائه كأبيه وعمه وخاله وأخته وعمته وخالته وأبناء أخواته وأبنائه ولا يقطع رحمه.

فالإنسان الذي يرتكب الذنوب والمعاصي ولكنه يصل رحمه فإن الله تعالى قد يغفر له، لأن صلة الرحم عظيمة جداً، قال الله سبحانه وتعالى : { فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ \* أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ } [محمد: ٢٢ - ٢٣].

فالذين أفسدوا في الأرض وقطعوا أرحامهم أصم الله عز وجل آذانهم وأعمى أبصارهم.

#### رابعاً: الإفلاس يوم القيامة:

يا أكلا للميراث لا تظن أن ذلك فيه الغنى كلا بل فيه الإفلاس {يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ} [الشعراء: ٨٨ ، ٨٩]

توهم نفسك وقد بعث ما في القبور و حصل ما في الصدور وقد آتيت بصلاة و زكاة و صوم و حج و لكنك قد أكلت الموارث نظر إلى نفسك في عرصات يوم

١ - أخرجه أحمد (٢/٣٣٠ ، رقم ٨٣٤٩) ، والبخاري (٥/٢٢٣٢ ، رقم ٥٦٤١) ، ومسلم (٤/١٩٨٠ ، رقم ٢٥٥٤)

القيامة عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " ما تعدون  
المفلس فيكم ؟ قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا دينار قال : المفلس من يأتي  
يوم القيامة وله حسنات أمثال الجبال فيأتي وقد شتم هذا وأخذ مال هذا وسفك دم  
هذا وقذف هذا وضرب هذا فيقتصص هذا من حسناته وهذا من حسناته فإذا فنيت  
حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار  
(١)"

### خامسا: الإثم الكبير:

اعلم علمني الله وإياك: أن التعدي على المواريث جرم عظيم وإثم مبین قال الله  
تعالى { وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ، وَلَا تَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ، وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ  
أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا } (النساء ٢).

والمعنى: إن أكلكم أموالهم مع أموالكم إثم عظيم وخطأ كبير فاجتنبوه.

### سادسا: أكلت الميراث أكلت النار:

أيها الأحباب: الذين يأكلون الميراث هم الذين وصفهم الله تعالى بقول { إِنَّ  
الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا }  
النساء ١٠

إن اليتامى مظنة أن يبخسوا في الميراث، فأكل مالهم هنا ظلما هو بخسهم حظهم  
في الميراث، أو أكل الأوصياء أموالهم والأخذ من مال اليتيم سباه الله تعالى أكلا لما  
فيه من معنى الأخذ وأن يقصد به تنمية ماله كما ينمي جسمه بالأكل، ولكنها تنمية  
آثمة ماله البوار " ومن نبت لحمه من حرام فالنار أولى به " وقال سبحانه (ظُلْمًا)  
لكمال التشنيع على الأكل، إذ هم يظلمون ضعيفا لا يقوى على الانتصاف منهم،  
وقد ذكر سبحانه إثم ذلك الأكل بقوله: (إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ) وهذا تصوير

١ - أخرجه أحمد (٣٨/١) (٣٦٢٦) والبخاري في الأدب المفرد (١٥٤ و ١٥٥). ومسلم (٣٠/٨)

لضرر الأكل عليهم؛ لأنه يكون أكلهم كمن يأكل النار ويضعها في بطنه أي يملأ بطنه بها فهو في ألم دائم حتى يهلك، وكذلك دائماً من يأكلون أموال اليتامى لا يأكلون أكلاً هنيئاً ولا مريئاً، بل هم في وسواس دائم حتى يقضى الله عليهم، وقد رأينا بيوتا خربت لأنها أكلت مال اليتيم. وهذا عقابهم في حاضرهم، أما العقاب الذي ينتظرهم في الآخرة فقال: (وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا) أي ستوقد بهم نار شديدة الأوار، يستمرون في بلاء شديد منها.

قال القاسمي -رحمه الله- ما أشد دلالة هذا الوعيد على سعة رحمته تعالى وكثرة عفوه وفضله، لأن اليتامى لما بلغوا في الضعف إلى الغاية القصوى، بلغت عناية الله بهم إلى الغاية القصوى.

#### سابعاً: الفضيحة يوم القيامة

ألا فلتعلم أن ما أكلت من حق أختك؛ من مال وعقار؛ ستطوقه يوم القيامة بإذن الله، لو ظلمتها جنيهاً سيأتي عليك ناراً، ولو ظلمتها شبراً من أرض فسيأتي حول عنقك يوم القيامة ناراً من سبع أرضين، قال الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى: "مَنْ ظَلَمَ قِيدَ شِبْرٍ مِنَ الْأَرْضِ طُوقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرْضِينَ" (١)

وهذا الحديث له قصةٌ عجيبةٌ في صحيح مسلم؛ وذلك أن أروى بنت أُويسٍ ادَّعَتْ عَلَى سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ - رضي الله عنه - أَنَّهُ أَخَذَ شَيْئًا مِنْ أَرْضِهَا فَخَاصَمَتْهُ إِلَى مَرْوَانَ بْنِ الْحُكَمِ، فَقَالَ سَعِيدٌ - وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة -: أَنَا كُنْتُ أَخَذُ مِنْ أَرْضِهَا شَيْئًا بَعْدَ الَّذِي سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ؟ قَالَ: وَمَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ؟ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ: "مَنْ أَخَذَ شِبْرًا مِنَ الْأَرْضِ ظُلْمًا طُوقَهُ إِلَى سَبْعِ أَرْضِينَ".

١ - أخرجه أحمد (٦/٦٤، رقم ٢٤٣٩٨)، والبخاري (٣/١١٦٧، رقم ٣٠٢٣)، ومسلم (٣/١٢٣١، رقم ١٦١٢).

فَقَالَ لَهُ مَرَوَانُ: لَا أَسْأَلُكَ بَيْنَهُ بَعْدَ هَذَا! فَقَالَ سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -:  
اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ كَاذِبَةً؛ فَعَمَّ بَصَرُهَا، وَأَقْتُلْهَا فِي أَرْضِهَا!

قال بعض الرواة: فَمَا مَاتَتْ حَتَّى ذَهَبَ بَصَرُهَا، ثُمَّ بَيْنَا هِيَ تَمْشِي فِي أَرْضِهَا إِذْ  
وَقَعَتْ فِي حُفْرَةٍ فَمَاتَتْ (١) أخرجہ مسلم

وقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: "حَمْسٌ لَيْسَ لَهُنَّ كَفَّارَةٌ: الشُّرْكُ بِاللَّهِ عَزَّ  
وَجَلَّ، وَقَتْلُ النَّفْسِ بَغَيْرِ حَقٍّ، أَوْ نَهْبُ مُؤْمِنٍ، أَوْ الْفِرَارُ يَوْمَ الزَّحْفِ، أَوْ يَمِينُ صَابِرَةٍ  
يَقْتَطِعُ بِهَا مَا لَا بَغَيْرِ حَقٍّ" (٢)

### ثامنا: أن أكل الميراث يدخل في السبع الموبقات

قال - صلى الله عليه وسلم -: "اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ!!! " قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ،  
وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: " الشُّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسَّحَرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ، إِلَّا بِالْحَقِّ،  
وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلَّى يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ  
الْغَافِلَاتِ" (٣)

أقول هذا القول، وأستغفر الله العظيم الكريم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل  
ذنب؛ فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

### الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين.  
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله،  
صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما.

أما بعد:

١ - أخرجہ أحمد ١/١٨٨ (١٦٣٣) والبخاري " ٤/ ١٣٠ (٣١٩٨) و" مسلم " ٥٨/٥ (٤١٤١)

٢ - أخرجہ أحمد (٢/ ٣٦١ رقم ٨٧٢٢) صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٥٩) (حسن لغيره)

٣ - أخرجہ البخاري (٣/ ١٠١٧، رقم ٢٦١٥)، ومسلم (١/ ٩٢، رقم ٨٩)



## العنصر الخامس: روائع من تاريخ المرأة المسلمة

ونختم خطبتنا بروائع من تاريخ أمتنا تبين العدل وتبرز الخوف من الله تعالى وهذه القصص هي لنسوة عرفن الله تعالى و قالوا { وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ } [البقرة: ٢٨٥]

\* **القصة الأولى:** استمع لهذه القصة، ومُلَخَّصها أن رجلاً كان ببغداد يعمل بزّازاً - يبيع البزّ؛ أي: الثياب؛ يعني: قماش - له ثروة، فبينما هو في حانوته، أقبلت إليه صبيّة، فالتمست منه شيئاً تشتريه، فبينما هي تُحادثه، كشفت وجهها في خلال ذلك، فتحير، وقال: قد والله تحيرت مما رأيت، فقالت: ما جئت لأشتري شيئاً، إنما لي أيام أتردد إلى السوق؛ ليقع بقلبي رجل أتزوج، وقد وقعت أنت بقلبي ولي مال، فهل لك في التزوج بي؟ فقال لها: لي ابنة عم وهي زوجتي وقد عاهدتها ألاّ أُغيّرها، ولي منها ولد، فقالت: قد رضيت أن تجيء إليّ في الأسبوع نوبتين، فرضي، وقام معها فعقد العقد، ومضى إلى منزلها، فدخل بها، ثم ذهب إلى منزله، فقال لزوجته: إن بعض أصدقائي قد سألني أن أكون الليلة عنده، ومضى فبات عندها، وكان يمضي كلّ يوم بعد الظهر إليها، فبقي على هذا ثمانية أشهر، فأكثرت ابنه عمه أحواله، فقالت لجارية لها: إذا خرج، فانظري أين يمضي؟

فتبعته الجارية وهو لا يدري، إلى أن دخل بيت تلك المرأة، فجاءت الجارية إلى الجيران، فسألتهم: لمن هذه الدار؟ فقالوا للصبيّة قد تزوجت برجل تاجر بزّاز، فعادت إلى سيدتها، فأخبرتها فقالت لها: إياك أن يعلم بهذا أحد، ولم تُظهر لزوجها شيئاً، فأقام الرجل تمام السنة، ثم مَرَض ومات، وخلف ثمانية آلاف دينار، فعمدت المرأة التي هي ابنة عمه إلى ما يستحقه الولد من التركة - وهو سبعة آلاف دينار - فأفردتها، وقسمت الألف الباقية نصفين، وتركت النصف في كيس، وقالت للجارية: خذي هذا الكيس واذهبي إلى بيت المرأة، وأعلميها أن الرجل مات وقد خلف ثمانية آلاف دينار، وقد أخذ الابن سبعة آلاف بحقه، وبقيت ألف، فقسمتها

بيني وبينك، وهذا حقك، وسَلِّمِه إليها، فَمَضَّت الجارية، فطَرَقَت عليها الباب ودخلت، وأخْبَرَتْها خبرَ الرجل، و حَدَّثَتْها بموته، وأَعْلَمَتْها الحال، فبَكَت وفتَحَت صندوقها، وأخْرَجَت منه رقعة، وقالت للجارية:

عودي إلى سيِّدتك، وسَلِّمِي عليها عني، وأَعْلَمِيها أَنَّ الرجل طَلَّقني، وكتَب لي براءة، ورُدِّيَ عليها هذا المال؛ فإني ما أَسْتَحِقُّ في تَرِكْتِه شيئاً، فَرَجَعَت الجارية، فأخْبَرَتْها بهذا الحديث. (١)

\* **القصة الثانية:** ومن ورع نساء السلف ما حكاها الحافظ ابن الجوزي رحمه الله: أن امرأة من الصالحات كانت تعجن عجينة، فبلغها -وهي تعجن- موت زوجها، فرفعت يدها منه، وقالت: هذا طعام قد صار لنا فيه شركاء. (٢) أي: أن مال الرجل إذا توفي انتقل وصار ملكاً لورثته الشرعيين، فلم يصبح لها وحدها، فلذلك رفعت يدها من العجين، وقالت: هذا طعام قد صار لنا فيه شركاء

\* **القصة الثالثة:** وأخرى كانت تستصبح بمصباح -يعني: بالزيت أو شيء من هذا- فجاءها خبر زوجها فأطفأت المصباح، وقالت: هذا زيت قد صار لنا فيه شركاء (٣)

يعني: ما يجوز لها أن تستقل بالانتفاع به.

فيا ويل من يأكلون أموال الميراث! وينفقون أموال الطفل اليتيم في السرادات والتفاخر، وهم لا يخافون الله سبحانه وتعالى من أكل أموال اليتامى ظلماً، ويتلفون أموالهم في أشياء حرم الله أن تنفق فيها كالمباهاة والفخر.

الدعاء .....

١ - صفة الصفوة (٢/ ٥٣٣)

٢ - صفة الصفوة (٤/ ٤٣٩)

٣ - صفة الصفوة (٤/ ٤٤٠)

## (١٢) الميراث الحرام

### الخطبة الأولى

الحمد لله الذي رسم في جميع مصنوعاته على وجوده وكماله دليلا، الحي العليم السميع البصير الملك الكبير لا يدركه الوهم ولا يحده الفكر تمثيلا، تعالى ذو الملك والملكوت، لم يزل ولا يزال عظيما مقتدرا جليلا، تقدس ذو العزة والجبروت، فلا تستطيع الأوهام إليه وصولا.

وأشهد أن لا اله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو على كل شيء قدير شهادة أعدها من أكبر نعمه وعطائه، وأعدها وسيلة إلى يوم لقاءه

يا رب

أنا العبد الذى كسب الذنوب	وصدته المعاصى أن يتوبا
أنا المضطر أرجو منك عفوا	ومن يرجو رضاك فلن يخيبا
فيا مولاي جود بالعفو وارحم	عبدا لم يزل يشكو الذنوبا
وسامح هفوت وأجب دعائى	فانك لم تزل أبدا مجيبا

وأشهد أن سيدنا وحبينا وشفيعنا محمد عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحببه

الله زاد محمد تكريما	وحباه فضلا من لدنه عظيما
واختاره فى المرسلين كريما	ذرافة بالمؤمنين رحيمًا
صلوا عليه وسلموا تسليما	
يا أمة الهادى خصصتم بالوفا	بين الورى والصدق أيضا والصفيا
صلوا على الهادى المصطفى	فالله قد صلى عليه قديما
فصلوا عليه وسلموا تسليما	

وعلى اله وأصحابه ومن سار على نهجه وتمسك بسنته واقتدى بهديه واتبعهم  
بإحسان إلى يوم الدين ونحن معهم يا أرحم الراحمين

**ثم أما بعد:**

**أما بعد:**

أمة الإسلام نقف اليوم مع قضية من أخطر القضايا التي تفرق بين الإخوة  
والأخوات وتشعل نار الحسد والعداء بينهم إنها قضية عدم العدل بين الأبناء في  
المعاملة والعطية

فكم من أرحام قد قطعت

وكم من قضايا قد رفعت

وكم من دعوات قد أرسلت

وكم من عيون قد بكت

كل ذلك بسبب الميراث الحرام ميراث العداوة والشحناء الذي يخلفه الإباء  
لأبنائهم

فأعيروني القلوب والأسماع لعل الله تعالى يهدي قلوب قد ضلت وعقول قد  
تجرت

**العنصر الأول: الأبناء نعمة من الله**

اعلموا أنار الله وجوهكم بنور الإيمان: أن من نعم الله على العباد أن وهب لهم  
الأولاد من ذكور وإناث، فهم زينة الحياة الدنيا قال تعالى: (المَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ  
الدُّنْيَا) الكهف: ٤٦، فعليهم تعقد الآمال وهم زاد المستقبل إذا صَلُحت تربيتهم.  
والإسلام عنى بالأولاد وأوجب لهم حقوقا كثيرة منها التربية بتعليمهم العلم  
النافع، وتأديبهم على الأخلاق الإسلامية الحميدة، وتوجيههم بالنصح والإرشاد

إلى ما فيه خيرهم وصلاتهم.

الأولاد نعمة من نعم الله سبحانه على عباده، وهم زينة الحياة الدنيا، والنفس الإنسانية مفطورة على حبهم وطلبهم، قال الله تعالى: ((المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملاً))، وقد ذكر سبحانه الأولاد في سياق ذكر النعم فقال سبحانه ((فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا \* يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا \* وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا))، ومن تمام النعمة على أهل الجنة أن يلحق الله تعالى بهم ذريتهم وإن قصر عملهم، قال سبحانه: ((وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ)) قال ابن كثير رحمه الله: [يخبر تعالى عن فضله وكرمه وامتنانه ولطفه بخلقه وإحسانه، أن المؤمنين إذا اتبعتهم ذرياتهم في الإيمان يلحقهم بأبائهم في المنزلة، وإن لم يبلغوا عملهم لتقرب أعين الآباء بالأبناء عندهم في منازلهم، فيجمع بينهم على أحسن الوجوه بأن يرفع الناقص العمل بكامل العمل، ولا ينقص ذلك من عمله ومنزله للتساوي بينه وبين ذلك]. (١).

ومن دعاء الملائكة للمؤمنين قوله سبحانه: ((رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ))

عن عطاء بن السائب قال غضب معاوية رضي الله عنه على ابنه فهجره فقال له الأحنف بن قيس رحمه الله يا أمير المؤمنين أولادنا ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا ونحن لهم سماء ظليلة وأرض ذليلة إن غضبوا فأرضهم وإن سألوا فأعطهم ولا تكن عليهم قفلاً فيملوا حياتك ويتمنوا موتك. (٢)

١ - تفسير ابن كثير - ط دار طيبة (٧ / ٤٣٢)

٢ - المجالسة وجواهر العلم - (٣ / ٤٨٤) (١٠٩٤) حسن لغيره

## العنصر الثاني: الأبناء أمانة ثقيلة في أعناق الآباء:

أيها الآباء وأيها الإخوة الأعزاء: إن الله سبحانه وتعالى جعل الأبناء أمانة في أعناق آبائهم وأمهاتهم وأنه - سبحانه - سيحاسبهم عليها يوم القيامة

عن سالم عن أبيه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول كلكم راعٍ وكلكم مسؤولٌ عن رعيتيه فالإمام راعٍ ومسؤولٌ عن رعيتيه والرجل في أهله راعٍ وهو مسؤولٌ عن رعيتيه والمرأة في بيت زوجها راعيةٌ وهي مسؤولةٌ عن رعيتها والخادم في مال سيده راعٍ وهو مسؤولٌ عن رعيتيه قال فسمعت هؤلاء من النبي {صلى الله عليه وسلم} وأحسب النبي {صلى الله عليه وسلم} قال والرجل في مال أبيه راعٍ ومسؤولٌ عن رعيتيه فكلكم راعٍ وكلكم مسؤولٌ عن رعيتيه(١) وأخرجه "

وقال ابن عمر رضي الله عنهما: أدب ابنك فإنك مسئول عنه، ماذا أدبته وماذا

علمته؟ وهو مسئول عن برك وطواعيته لك (٢)٠

فهل سيقوم الآباء بالحق الذي أوجبه الله تجاه أبنائهم؟

وهل سيحفظ الآباء هذه الأمانة التي حملهم الله إياها؟

وهل سيؤدي الآباء المسؤولية التي كلفهم الله بها؟

قال ابن القيم: "قال بعض أهل العلم: إن الله سبحانه يسأل الوالد عن ولده يوم القيامة قبل أن يسأل الولد عن والده، فإنه كما أن للأب على ابنه حقًا فللابن على أبيه حق، فكما قال تعالى: {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا} [العنكبوت: ٨]، قال تعالى: {لَوْ أَنفُسُكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ} [التحریم: ٦].

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: علموهم وأدبوهم. (٣)

١ - أخرجه أحمد ١٢١/٢ (٦٠٢٦) والبخاري "٦/٢ و٦/٤ (٢٧٥١)

٢ - شعب الإيمان - (١١ / ١٣٥) (٨٢٩٥) حسن

٣ - تحفة المودود بأحكام المولود (ص: ٢٢٩)

### العنصر الثالث: وجوب العدل بين الأبناء

أيها الآباء: لقد جاءت نصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة تحض الآباء على العدل بين الأبناء وتحذرهم من اتباع الهوى بالتفرقة بينهم

ولقد جاءت الآيات والأحاديث متضافرة مشهورة معلومة، دالة على وجوب العدل، محذرة من الحيف والظلم والجور، أو التفريق بين الأبناء في الهبات والعطايا، فمن الكتاب العزيز: قوله تعالى: {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمٌ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [النحل: ٧٦]

وقال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [النحل: ٩٠]

عَنْ النَّعْمَانِ، قَالَ: سَأَلْتُ أُمَّيَ أَبِي بَعْضَ الْمُوهَبَةِ فَوَهَبَهَا لِي، فَقَالَتْ: لَا أَرْضَى حَتَّى أَشْهَدَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: فَأَخَذَ أَبِي بِيَدِي وَأَنَا غُلَامٌ، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أُمَّ هَذَا ابْنَةَ رَوَاحَةَ طَلَبَتْ مِنِّي بَعْضَ الْمُوهَبَةِ، وَقَدْ أَعْجَبَهَا أَنْ أَشْهَدَكَ عَلَى ذَلِكَ، قَالَ: «يَا بَشِيرُ، أَلَا ابْنُ عَيْرٍ هَذَا؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَوَهَبَتْ لَهُ مِثْلَ مَا وَهَبَتْ لِهَذَا؟» قَالَ: لَا، قَالَ: «فَلَا تُشْهَدَنِي إِذَا، فَإِنِّي لَا أَشْهَدُ عَلَى جَوْرِ» ر (١).

وعند البخاري والنسائي: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "فَكُلُّ بَنِيكَ نَحَلَتْ مِثْلَ الَّذِي نَحَلْتَ النَّعْمَانُ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَأَشْهَدُ عَلَى هَذَا عَيْرِي، قَالَ: أَلَيْسَ يَسْرُوكُ أَنْ يَكُونُوا لَكَ فِي الْبِرِّ سَوَاءً؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ: فَلَا إِذَا. " (٢)

ويكرر النبي الوصية مرة ومرتين قال صلى الله عليه وسلم: "اعدلوا بين

- سنن النسائي الكبرى - (٤ / ١١٧) [قال الألباني]: صحيح ١

٢ - وأخرجه البخاري (٢٥٨٧) و (٢٦٥٠)، ومسلم (١٦٢٣)

أبنائكم، اعدلوا بين أبنائكم" (١)

\* قصة: أيها الآباء تأملوا هذه القصة لترو مدى الظلم الذي يقع فيه الإباء وقال الحسن: بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث أصحابه إذ جاء صبي حتى انتهى إلى أبيه، في ناحية القوم، فمسح رأسه وأقعده على فخذه اليمنى، قال: فلبث قليلاً، فجاءت ابنة له حتى انتهت إليه، فمسح رأسها وأقعدها في الأرض، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " فهلا على فخذك الأخرى"، فحملها على فخذه الأخرى، فقال صلى الله عليه وسلم: " الآن عدلت" (٢)

وتأملوا في عدل من ملء الأرض عدل كيف كان يعدل بين أبنائه روي عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله ضم ابناً له، وكان يجبه، فقال: يا فلان، والله إني لأحبك، وما أستطيع أن أوثرك على أخيك بلقمة. (٣)

قصة: سألت امرأة أعرابية أي أولادك أحب إلى قلبك؟

فأجابت:

"الصغير حتى يكبر، والمريض حتى يشفى، والغائب حتى يعود". (٤)

**العنصر الرابع: أيها الآباء قد ضيعتم الأمانة**

أيها الآباء: إن الناظر في أحوال كثير من الآباء والأمهات ليرى أنهم خانوا الأمانة وضيعوها

ولكن كيف ضيعوها؟

ضيعوها بالحيف والجور وتفضيل بعض الأبناء على بعض، فكم وكم من

١- أخرجه أبو داود (٣/٢٩٣، رقم ٣٥٤٤)، والنسائي (٦/٢٦٢، رقم ٣٦٨٧)

٢- النفقة على العيال (١/٣٧)، وهو حديث مرسل رجاله رجال الصحيح

٣- [النفقة على العيال (١/٤١)، وإسناده مقبول].

٤- الآداب الشرعية - ابن مفلح (٢/٦٧)

شكاوى تأتي من الأبناء تشكوا إلى الله تعالى ظلم الإباء والأمهات  
ورد في الأثر " ملعون من استعق ولده " أي حمل ابنه على عقوقه بالمعاملة السيئة  
وغير ذلك من الوسائل.

فقلنا أن تجد أبا اجتهد في تربية ابنه تربية حسنة ووجد عقوقاً من أبنائه  
فكثير من الآباء الذين يشكون من عقوق أبنائهم لهم هم في الأصل سبب  
العقوق وهم آباء عاقون لأبنائهم ومسيئون إليهم.  
عن عبد الله بن عمرو، عن النبي صلى الله عليه وسلم: ' كفى بالمرء إثماً أن يضيع  
من يقوت' (١)

وقال ابن القيم " أكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قبل آبائهم وإهمالهم لهم" (٢)  
ومن ظلم الآباء للأبناء الإهانة والقسوة، وهذا أمر خطير يفعله الكثير من الآباء  
والأمهات دون أن يشعروا بآثاره السيئة على الأبناء، والتي قد لا تمحى مدى الدهر.  
والعجيب أن الوالدين يفعلان هذا مهما كبر أبناؤهم؛ لأن الابن عند الوالد دائماً  
صغير ولو تزوج وصار له أبناء، وهذا لا ينبغي، بل ينبغي إكرام الابن والتلطف  
معه ومصادقته وعدم الإغلاظ عليه باستمرار أو إهانته وخاصة أمام الناس؛ لأن في  
ذلك أسوأ الأثر، وهو من أهم أسباب جنوح الولد إلى ظلم والديه لاحقاً، بل  
السعي للانتقام ورد الصاع صاعين.

ومن هذا الظلم أيضاً - إخوة الإيوان - التفريق بين الأبناء في المعاملة والعطاء،  
فتجد الأب رفيقاً لطيفاً مع بعض الأبناء وقاسياً مع الآخر، أو تجده يعطي أحد  
أبنائه مالا وهبات وعطايا ولا يعطي الآخرين، وهذا أمر لا يجوز ومعاملة حرمها

١ - : أخرجه مسلم (٧٨ / ٣)

٢ - تحفة المودود بأحكام المولود (ص: ٢٢٩)

ديننا الحنيف، فالعدل بين الأبناء أمر لا ينبغي أن يهمله مسلم يريد وجه الله سبحانه وظلم البنات - إخوة الإيها - وهو يحدث في كثير من المجتمعات الإسلامية، هذا الظلم هو حرمانهن من الميراث أو بخس حقهن، وهذا جور عظيم ورد لما جاء في كتاب رب العالمين الذي أوصى للبت بحقها في الميراث أسوة بالذكر دونها نقصان، يقول سبحانه: لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا [النساء: ٧]، ويقول سبحانه: يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ الْآيَات، هذا القرآن المحكم وهذا القول الفصل من رب العالمين كيف لمسلم يخاف الله سبحانه أن يتخطاه أو يتجاوزه أو يتجرأ عليه؟! إن معنى قوله تعالى: يُوصِيكُمُ اللَّهُ أَي: يأمركم الله، فكيف نضيع أمر الله ونحجب حقا فرضه الله علينا اتباعا لعادات جاهلية ونعرات عمية؟! أليس هذا ظلما ما بعده ظلم؟!!

أقول هذا القول، وأستغفر الله العظيم الكريم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب؛ فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

### الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين.  
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله،  
صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما.

أما بعد:

### العنصر الخامس: الميراث الحرام

الواجب على الآباء أن يربوا أبنائهم على المحبة والألفة والتحاب لأن صلة الدم من أقوى الصلات بعد توحيد الله تعالى  
ولكن الواقع المر أن كثيرا من الناس لا يتقون الله، كثير من الآباء يظلمون

أولادهم، فتجد الواحد منهم يميل إلى أحد الأولاد لسبب تافه، كأن يكون هذا الولد أوسم من إخوانه، وأجمل في الشكل والصورة فيميل إليه، أو أن الولد يشبه أباه، والولد الآخر يشبه أمه، فيقول: أنت منا، ويعطيه، ويقول للآخر أنت لأخوالك، اذهب. هذا من الأسباب التافهة التي يترتب عليها الظلم بالأولاد، وكذلك أن يدخل بعض الآباء أولاد الزوجة الأولى في مدارس خصوصية خاصة، وأولاد الزوجة الثانية في المدارس العادية، هذا من الظلم أيضاً، يجب أن يسوي بينهم.

وهذا الظلم وعدم التسوية تولد الغيرة والحسد بين الأولاد بعضهم على بعضهم، تربية سيئة، ولنا في قصة يوسف عبر، {إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا} سورة يوسف. مع أن يعقوب عادل، لكن محبته القلبية سببت هذا، فكيف بالظلمة، {قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا} سورة يوسف. فكيف بمن يتعمد الظلم بين الأولاد.

وهذا هو الميراث الحرام الذي يورثه الآباء لأبنائهم إنها نار العداوة والكرهية التي تستعر بين الأبناء والأخوات

**القصة الأولى:** تاجر دمشقي من عائلة عريقة سجل أحد معاملته باسم ولده من بين أولاده لمحبه له، ولم يعلم باقي الأولاد بعد ثلاث سنوات مات التاجر، وعند إجراء معاملة الإرث أبرز الابن عقد ملكية المعمل فغضب باقي الإخوة والأخوات لأن ثمن المعمل مع آلاته يزيد على مائة مليون، والأب لم يخبرهم بشيء، وأمهم لا تدري بالأمر، وأخوهم متمسك بحقه، ماذا يفعلون؟ ما كان منهم إلا أن رفعوا الأمر إلى المحكمة بدعوى تزوير على أحييهم، وما زالت القضية في المحاكم، والخصومة قائمة بين الأخ وباقي أشقائه، وبين أولاد الأخ وباقي أولاد الأخوة.

**القصة الثانية:** قصة مبكية إنها قصة والد قد فضل بعض الأبناء وحرّم الآخرين

فكتب لبعضهم وحرّم البعض الآخر جاءني الشاب بعد وفاة أبيه وهو يقص علي قصته وكيف أن والده حرّمه من الميراث وبينما هو يتكلم إذ به يقول: والله إني أدعو علي والدي في كل صلاة أن يجعل قبره حفرة من نار جهنم وأن يذيقه العذاب الأليم !!

من منا عباد الله يرضى أن يدعو عليه ولده بعد موته، يدعو عليه لأنه مظلوم، يدعو عليه لأنه محروم

**القصة الثالثة:** أم فضلت ابنا له على الآخر وذلك منذ ما يقرب على ثلاثين سنة وحتى هذه اللحظة لا يكلم الأخ أخاه ولا يذهب له في أي مناسبة من المناسبات بل بينهم القضايا والخلافات

**القصة الرابعة:** وتحكي (فاطمة عبد الواحد) الموظفة في إحدى الهيئات الحكومية قصتها فتقول: لقد نشأت في أسرة تفضل الذكور على الإناث، وتحرم الإناث من الميراث، وتهمل تعليم الإناث، ولولا توفيق الله ورعاية خالي لي ما أكملت تعليمي الجامعي، فقد كان يتكفل بنفقتي. كانت الأسرة تفرّق بيننا حتى في الطعام. فاللحم يوزع أولاً على الذكور، فإذا بقي منه شيء يوزع علينا، وإن لم يتبق شيء لا نتذوق طعام اللحم بالشهور. وكان خطأ الذكر يُغتفر أما أصغر خطأ للأنثى فلا يُغتفر. وحرمني أبي من الميراث، كما هو سائد في عائلته وبلدته، ومع هذا فأنا التي وقفت بجانبه في مرضه، وأنفقت عليه من مالي بينما تحلى عنه أبناءه الذكور الذين كان يفضلهم علينا.

**القصة الخامسة:** ابنه تحكى قصتها وتبكي من الأب الذي أضاع حقوقها هي وأخواتها من اجل عيون الأخ الأكبر: قبل وفاة والدي يرحمه الله نقل ملكية أكبر عمارة سكنية يملكها إلى اسم الأخ الأكبر، قاطعتها متفاجئة لماذا عمل ذلك لأن نتيجة هذا التصرف معروفة لدي وأعلم المشكلات التي غالباً ما تحدث بسبب هذه

التصرفات من بعض الآباء وحتى الأمهات أحياناً، واستشعرت الخلافات التي بدأت بين الإخوة والأخوات في هذه الأسرة. ثم واصلت الأخت قصتها فقالت سكن إخوتي مع الأخ الأكبر مالك العمارة التي في الأصل ملك لجميع الورثة الشرعيين، كان الأخ الكبير الذي يفترض أن يكون العائل للأسرة يطالب إخوته بالإيجار باستمرار، وكان الخلاف يحدث كل شهر عند موعد دفع الإيجار، شهراً يدفع أحد الإخوة وشهراً آخر يرفض، مرت السنوات على هذا الحال والخلافات تزداد حدة والفجوة بين الجميع تتسع مع الأيام وهو يرفض الاعتراف أن العمارة تركة يجب توزيعها بين الجميع، وأن الوالد كتبها باسمه حتى يتولى إجراءاتها بدلاً منه عندما تقدم سنه وتطور مرضه، بل هو يزداد تمسكاً بحقه المطلق في تلك العمارة التي تزيد قيمتها عن ٣ مليون جنيه قاطعتها متسائلة ما هو موقف والدتك؟

قالت والدتي لا حول لها ولا قوة تدعو له بالهداية. تدخلت الأخت الأخرى قائلة المشكلة الآن أنه باع العمارة ومالكها الجديد يطالب إخوتي بالتفريغ وترك السكن.

قالوا جميعاً وهم في حزن شديد: أولاً خوفاً على مصير أخيهم الذي أخذ مالاً ليس ماله وهو يعلم ذلك

وثانياً مشكلة الحصول على سكن يتناسب مع قدرتهم المالية إضافة إلى الإحساس بالحسرة والقهر على ضياع حقهم من مال والدهم ما الحل الآن، وما عسانا أن نفعل معه؟

الواقع هذه المشكلات تنتشر بين الأسر وتكون سبباً رئيساً في الخلافات بين أفراد الأسرة وبالتالي تؤدي إلى تفكك الأسرة ويكون المال حتى إذا كان مبلغاً ضئيلاً سبباً في خسارة الإخوة والأخوات بعضهم البعض.

## العنصر السادس: عقوبات تفضيل بعض الأبناء على بعض

\* العقوبة الأولى: انه جائر و ظالم في فعله: و الله تعالى لا يحب الظالمين أخرج أحمد عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ((إنَّ الرجل ليعمل بعمل أهل الخير سبعين سنة، فإذا أوصى حافٍ في وصيته، فيُختم له بشرِّ عمله، فيدخل النار، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الشر سبعين سنة، فيعدل في وصيته، فيُختم له بخير عمله، فيدخل الجنة))، قال: ثم يقول أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم: ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ﴾، إلى قوله: ﴿ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ (١)

\* العقوبة الثانية: أنه قاطع لرحمه فهو متسبب في إزكاء نار العداوة بين الأبناء فالجنة هي صلة الله التي جعلها لأهل كرامته ولأهل طاعته فاذا قطع المسلم رحمه حجب الله من جنته

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ» يعني قاطع رحم (مسلم)، ولفظ أبي داود: ((لا يدخل الجنة قاطع رحم)) (٢)

\* العقوبة الثالثة: إنك أيها الوالد غاش لأبنائك فتفضيلك لأحدهم على الآخر

غش

عن أبي يعلى مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ -رضي الله عنه- قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- ، يقول: (( مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللَّهُ رَعِيَّةً ، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ ، إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ )) (٣) متفق عليه

١ - أخرجه أحمد (٢/٢٧٨، رقم ٧٧٢٨)، وابن ماجه (٢/٩٠٢، رقم ٢٧٠٤) (ضعيف) انظر حديث

رقم: ١٤٥٨ في ضعيف الجامع

٢ - رواه البخاري ١٠ / ٣٤٧ في الأدب، باب إثم القاطع، ومسلم رقم (٢٥٥٦) في البر والصلة، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها، وأبو داود رقم (١٦٩٦) في الزكاة، باب صلة الرحم.

٣ - أخرجه البخاري (٦/٢٦١٤، رقم ٦٧٣١)، ومسلم (٣/١٤٦٠، رقم ١٤٢).

وعند أهل الشام مثل طريف قالوا فيه (من فضل ولد على ولد بيوسة له بجهنم دوسة) هذا المثل لطيف لكنه حق، ليس لك أن تفضل ولدًا على ولد، لو بقبلة.

**العقوبة الرابعة:** أن الإثم يجري عليك وزره ما دامت العداوة والشحناء قائمة بينهم قال الله تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ١٢]

قال ابن كثير - رحمه الله - وفي قوله: { وَآثَارَهُمْ } قولان:

أحدهما: نكتب أعمالهم التي باشروها بأنفسهم، وآثارهم التي أثروها من بعدهم، فنجزيم على ذلك أيضًا، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر، كقوله صلى الله عليه وسلم: "مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سَنَةً حَسَنَةً، كَانَ لَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مَنْ غَيَّرَ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجْرِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سَنَةً سَيِّئَةً، كَانَ عَلَيْهِ وَزْرُهَا وَوَزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مَنْ غَيَّرَ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْئًا".<sup>(١)</sup> رواه مسلم

\* **العقوبة الخامسة:** تستجاب فيك دعوة المظلوم: فمن حرمتهم ومنعتهم الحق الذي شرعه الله تعالى لهم لن يملوا من الدعاء عليك والنبى - صلى الله عليه وسلم - حذرنا من شرها

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «ثلاثة لا ترد دعوتهم الإمام العادل والصائم حتى يفطر ودعوة المظلوم تحمل على الغمام وتفتح لها أبواب السماء ويقول الرب وعزتي لأنصرك ولو بعد حين».<sup>(٢)</sup> أيها الآباء أيكم يرضى أن يدعوا عليه أباه بعد موته أما تريد أن يدعوا لك

١ - تفسير ابن كثير ط العلمية (٦ / ٥٠٢) والحديث أخرجه مسلم في الزكاة حديث ٧٠.  
٢ - (ضعيف) التعليق الرغيب ٦٣ / ٢، الضعيفة ١٣٥٨ وصح منه شطره الأول لكن بلفظ المسافر وفي رواية الوالد مكان الإمام الصحيحة ٥٩٦ - ٧٩٧، التعليق على ابن خزيمة ١٩٠١

أبنائك بالرحمة و المغفرة فولدك هو رصيد بعد موتك عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قَالَ : (( إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ : صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ )) (١) رواه مسلم . ، يموت الإنسان ويبقى من عمله شيء في الدنيا: ولد أو لا (ذكر أو أنثى) ثم صالح بميزان الشرع (في دينه وعقله وخلقه) ثم "يدعو له" (بكثر الدعاء ويخلصه لوالديه). اما تريد أن ترفع لك الدرجات و تنال مغفرة رب الأرض و السماوات عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : إِنَّ الرَّجُلَ لَيُرْفَى الدَّرَجَةَ ، فَيَقُولُ : مَا هَذَا فَيُقَالُ بِاسْتِغْفَارٍ وَلَدِكَ مِنْ بَعْدِكَ لَكَ) (٢)

\* العقوبة السادسة: إفلاسك بين يدي ربك: تخيل ابنك الذي حرّمته من حقه وفضلت عليه أحد إخوته تخيل يوم القيامة يوم أن تقف أنت وهو بين يدي ملك الملوك وجبار السماوات والأرض وهو يقول لله خذني حقي من هذا الذي حرمني والذي ظلمني

يا الله بعض الأبناء يُحِلُّ آبَاءَهُمُ الحِللَ التي هي من خير من الدنيا وما فيها عن بريدة الأسلمي -رضي الله عنه -قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من قرأ القرآن، وتعلمه ، وعمل به ، ألبس يوم القيامة تاجا من نور ، ضوءه مثل ضوء الشمس، ويكسى والداه حلتان ، لا تقوم بهما الدنيا ، فيقولان: بم كسينا هذا؟ ، فيقال: بأخذ ولدكما القرآن" (٣)

أما أنت اسمع، اسمع لما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " ما تعدون المفلس فيكم؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا

١ - أخرجه مسلم "١٦٣١"

٢ - أخرجه ابن أبي شيبة ٣/ ٣٨٧، وابن ماجه (٣٦٦٠)، الصحيحة ١٥٩٨:

٣ - أخرجه الحاكم (١/ ٧٥٦، رقم ٢٠٨٦) وقال: صحيح على شرط مسلم.

دينار قال: المفلس من يأتي يوم القيامة وله حسنات أمثال الجبال فيأتي وقد شتم هذا  
وأخذ مال هذا وسفك دم هذا وقذف هذا وضرب هذا فيقتص هذا من حسناته  
وهذا من حسناته فإذا فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم  
فطرحت عليه ثم طرح في النار" (١) رواه مسلم

الدعاء .....

---

١ - أخرجه أحمد (٣٨/١) (٣٦٢٦) والبخاري في الأدب المفرد (١٥٤ و ١٥٥). ومسلم (٨/٣٠)

## (١٣) تحذير الصفوة من أدران الغفلة

### الخطبة الأولى

الحمد لله الذي جعل الليل والنهار خِلْفَةً، ورفع عنا الكلفة، وأمرنا بالمودة والألفة، وحذّرنا من الغفلة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أمرنا بالاتباع، ونهانا عن الابتداع، وحذّرنا من الضياع، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي أَرْضَى ربه وجاهد نفسه وحفظ وقته، صلى الله وسلم عليه كلما دامت الألفة، وهوربت الغفلة.

### وبعد:

الغفلة سلطان إبليس على القلوب. وفرحته التي يجدها من الخلق.

أخي المسلم: لقد عمّت نار الغفلة. حتى أصبح أكثرهم يعيش عيش البهائم! وقليل أولئك الذين عرفوا الغاية التي خلّقوا من أجلها. فسعوا إلى تحقيقها؛ فسلموا من شرور الغفلة.

أخي المسلم: لقد استفحل داء الغفلة..... وكثر أصحابه في كل مجمع وفي كل مكان!

### ❖ الغفلة هي:

الانغماس في الدنيا والشهوات ونسيان الآخرة فيجتهد الغافل في تعمير الدنيا الفانية وتخريب الآخرة الباقية يقول الله تعالى: { اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ } \* مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدِّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ \* لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ } ... (الأنبياء : ١ - ٣).

فالغافل يريد أن يعيش عاملاً على إشباع شهواته، حريصاً ألا يتعب جسمه إلا في شهوته.. حريصاً على ألا يفقد شيئاً من ماله إلا في ملذاته، حريصاً على ألا يفقد لحظة من عمره إلا وهو مستريح هادئ حتى ولو على حساب دينه، فهو يريد أن

يعيش متمتعا بحياته علي أقصى درجة.. هذا نوم القلب... لأن القلب يقظ يعلم أنه لم يخلق في هذه الدنيا لينغمس فيها وينسى آخرته.... وأن هذه الدنيا قنطرة إلى الآخرة، وأن لذاتها مكدره.... نعمها منغصة، فليست هناك لذة خالصة بدون تنغيص.... أما اللذات بدون تنغيص ففي الآخرة، ولذلك لما سئل الإمام أحمد متى الراحة؟ قال عند وضع أول قدم في الجنة .

### العنصر الأول: عقوبات الغافلين

أخي المسلم إن للغفلة آثارا مدمرة على سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة وإليك طرفا منها حتى تحذرهما وتحذر منها كل مسلم ومسلمة

١- أنها سبب الهلاك: اعلم زادك الله علما: أنه ما هلك القرون الخوالي إلا بغفلتهم عن الله تعالى و عن مصيرهم الآخروي اسمع إلى كلام الرب العلي-جل جلاله- قال الله تعالى مبينا هلاك الغافلين { فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بِالْغُوهِ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ (١٣٥) فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَيْمِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ } لماذا أهلكتهم يا رب العالمين؟

الجواب: لأنهم من الغافلين - جعلني الله تعالى من أهل ذكره وشكره -

فكم من إنسان يصاب بالابتلاءات ولكنه لا يتفطن ولا يتذكر فهو كالبعير لا يدري لماذا أرسله أهله ولماذا أرسلوه ؟

### ٢- عدم الانتفاع بالآيات وعدم الاتعاظ بالهالكين

من أصيب بالغفلة الكاملة خُتِمَ على قلبه، وسمعته، وبصره، وكان أضل من الحيوان، والأنعام، قال الله تعالى: { وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ هُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ } (سورة الأعراف، الآية: ١٧٩). فهم لا يتفكرون بشيء من هذه الجوارح التي جعلها الله سبباً للهداية، فقلوبهم لا يصل

إليها فقه ولا علم، وأعينهم لا ينتفعون بها فلا يبصرون آيات الله، وأذانهم لا يسمعون بها ما ينفعهم، كما قال الله تعالى: { وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ } (سورة الأحقاف، الآية: ٢٦). وقال تعالى: { صُمُّ بَكْمٌ عُمِيٌّ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ } (سورة البقرة، الآية: ١٨). وقال تعالى: { صُمُّ بَكْمٌ عُمِيٌّ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ } (سورة البقرة، الآية: ١٧١). ولم يكونوا صمًا، ولا بكما، ولا عميًا إلا عن الهدى، كما قال تعالى: { وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ } (سورة الأنفال، الآية: ٢٣). وقال

تعالى: { أَمْ نَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا } (وقال تعالى: { لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ }

فالغافل عبد الله لا ينفع فيه وعد ولا وعيد ولا تخويف ولا ترهيب لأن الله تعالى ختم على قلبه وسمعه وجعل على بصره غشاوة

### ٣- الغفلة بواب الدخول إلى التكذيب بالآيات وبالوعد والوعيد

واعلم بارك الله فيك - : أن الدافع إلى تكذيب الرسل و عدم الإيمان بالمعجزات إنما هو الغفلة قال تعالى: { سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الغِيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ } (سورة الأعراف، الآية: ١٤٦)، فالسبب التكذيب والغفلة، فالغفلة قرينة التكذيب بآيات الله تعالى.

قال العلامة السعدي رحمه الله: ((فردهم لآيات الله وغفلتهم عما يُراد بها، واحتقارهم لها، هو الذي أوجب لهم من سلوك طريق الغي، وترك طريق الرشاد ما

أوجب) (١)

#### ٤- الغفلة صفة من صفات أهل النار

الرضا بالدنيا والركون إلى زخرفها صفة من صفات الأشرار الذين أعد الله تعالى لهم النار قال الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ (٧) أُولَئِكَ مَا وَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} (سورة يونس، الآيتان: ٧، ٨). فهذه حال الأشقياء الذين كفروا بلقاء الله يوم القيامة، ولا يرجون في لقاءه شيئاً، ورضوا بهذه الحياة الدنيا واطمأنت إليها نفوسهم، وهم غافلون عن آيات الله الكونية، فلا يتفكرون فيها، وعن آياته الشرعية فلا يأترون بها .

٥- الحذر من الغفلة؛ لأن أكثر الناس وقعوا في الغفلة، قال الله تعالى: {وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنِ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ} (سورة يونس، الآية: ٩٢).

#### ٦- الغفلة تغلق على العبد أبواب الخير، وتفتح له أبواب الشر

فكل شيء مفتاح ومفتاح الشر والمعاصي الغفلة عن الله وعن قدرته وسلطانه - جل جلاله - قال الله تعالى: {مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٦) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (١٠٧) أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (١٠٨) لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ} (سورة النحل، الآيات: ١٠٦ - ١٠٩).

#### ٧- أهل الغفلة لهم الحسرة يوم الحسرة،

١- (تيسير الكريم الرحمن (ص ٣٠٣)).

وآخر المطاف حسرات و زفرات يوم لا ينفع الندم قال الله تعالى: {وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٣٩) إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ} (سورة مريم، الآيتان: ٣٩، ٤٠)، وفي الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: ((إذا صار أهل الجنة إلى الجنة، وأهل النار إلى النار، جيء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار، ثم يذبح، ثم ينادي منادٍ: يا أهل الجنة لا موت، ويا أهل النار لا موت، فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم، ويزداد أهل النار حُزناً إلى حزنهم)) (١)

وعند مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، ثم ((قرأ رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: {وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ} وأشار بيده إلى الدنيا)) (٢)

أقول هذا القول، وأستغفر الله العظيم الكريم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب؛ فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

### الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين.  
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً.

أما بعد:

### العنصر الثاني: علامات الغفلة

اعلم - علمني الله وإياك -: أن للغفلة علامات وإشارات من خلالها يتعرف

١ - أخرجه أحمد (١١٨/٢)، رقم (٥٩٩٣)، والبخاري (٢٣٩٧/٥)، رقم (٦١٨٢)، ومسلم (٤/٢١٨٩)،

رقم (٢٨٥٠)

٢ - صحيح مسلم (٤/٢١٨٨) (٢٨٤٩)

المرء على حقيقة نفسه

### أولاً: التكاثر عن الطاعات: نفسه

ومن آثار وعلامات الغفلة التكاثر عن الطاعات والركون إلى الشهوات وهذه العلامة من أهم العلامات، قال الله تعالى في شأن المنافقين: {وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا} ... (النساء: ١٤٢).

### ثانياً: استصغار المحرمات والتهاون بها:

قال عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه: "إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقطع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مرّ على أنفه فقال به هكذا" فقال أبو شهاب: بيده فوق أنفه" رواه البخاري.

عن سهل بن سعد: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إياكم ومحقرات الذنوب فإنها مثل محقرات الذنوب كمثل قوم نزلوا بطن واد فجاء ذا بعود وجاء ذا بعود حتى حملوا ما أنضجوا به خبزهم لان محقرات الذنوب متى يأخذها صاحبها تهلكه) (١)

### ثالثاً: إلف المعصية ومحبتها والجهر بها:

ومن علامات الغفلة المهلكة أن يألف المرء المعصية ويشغف بها ثم يجاهر بها فلا هو استحيى من الله ولا استحيى من الناس عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "كل أمتي معاق إلا المجاهرين، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملاً ثم يصبح وقد ستره الله فيقول: يا فلان، عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه ويصبح يكشف ستر الله عنه" (٢) متفق عليه.

((كل أمتي معاق)) من العافية وأن الله سبحانه وتعالى يغفر الذنوب ويقبل

١ - أخرجه أحمد (٥/ ٣٣١، رقم ٢٢٨٦٠)،

٢ - أخرجه: البخاري ٨/ ٢٤ (٦٠٦٩)، ومسلم ٨/ ٢٢٤ (٢٩٩٠) (٥٢).

التوبة، ((كُلُّ أُمَّتِي مُعَافَى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ))، هؤلاء لا يعافون، المجاهرون بالمعاصي لا يعافون، الأمة يعفو العفو عن ذنوبها، لكن الفاسق المعلن لا يعافيه الله عز وجل، وقال بعض العلماء: إِنَّ الْمُقْصُودَ بِالْحَدِيثِ كُلِّ أُمَّتِي يَتْرَكُونَ فِي الْغَيْبَةِ إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ، والعفو بمعنى الترك، والمجاهر هو الذي أظهر معصيته، وكشف ما ستر الله عليه، فيحدث به، قال الإمام النووي رحمه الله: "من جاهر بفسقه أو بدعته جاز ذكره بما جاهر به".

هذه المجاهرة التي هي التحدث بالمعاصي، يجلس الرجل في المجلس كما أخبر النبي ويقول: عملت البارحة كذا وكذا، يتحدث بما فعل، ويكشف ما ستر، وقد قال النبي: ((اجتنبوا هذه القاذورات التي نهى الله عنها، فمن ألم بشيء منها فليستر بستر الله)) (١)

#### رابعاً: تضييع الوقت من غير فائدة:

فإن الوقت نعمة، ولا يضيعه إلا غافل، لأنه لا يعرف أن الوقت هو أغلى ما يملك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم "نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ" (٢) رواه البخاري.

قال الحسن: "من علامة إعراض الله عن العبد أن يجعل شغله فيما لا يعنيه، خذلاً من الله - عز وجل -". تمر الساعات والأيام ولا يحسب لها حساب؛ للجهل بقيمة الوقت وأهميته، هناك من يدعوك: تعال نفوت الوقت! يفرح عندما تغيب الشمس، وهو يدرك تماماً أن يوماً فات من عمره لا يعود! ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥].

وما أحسن قول القائل:

١ - أخرجه الحاكم (٤/٤٢٥، رقم ٨١٥٨). والبيهقي (٨/٣٣٠، رقم ١٧٣٧٩)

٢ - أخرجه: البخاري ٨/١٠٩ (٦٤١٢).

تزوّد من التّقَى فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي \*\*\* إِذَا جَنَّ لَيْلٌ هَلْ تَعِيشُ إِلَى الْفَجْرِ  
فَكَمْ مِنْ صَحِيحٍ مَاتَ مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ \*\*\* وَكَمْ مِنْ عَلِيلٍ عَاشَ حِينًا مِنَ الدَّهْرِ

## (١٤) أسباب الغفلة وعلاجها (٢)

### الخطبة الأولى

الحمد لله الغفور الودود، الكريم المقصود، الملك المعبود قديم الوجود، المتعالي عن الأمثال والأشكال والجهات والحدود، لا يخفى عليه ديبب النملة السوداء في الليالي السود، ويسمع حس الدود في خلال العود، وتردد الأنفاس في الهبوط والصعود، القادر فما سواه فهو بقدرته الوجود، وبمشيئته تصاريف الأقدار.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو على كل شيء قدير شهادة أدخرها عنده ليوم اللقاء

يا من يرى ما في الفؤاد ويسمع  
سبحانك اللهم أنت الواحد  
يا حي يا قيوم أنت المرتجى  
أنت الرقيب لكل لما يتوقع  
كل الوجود على وجودك شاهد  
والى علاك علا الجبين الساجد

وأشهد أن سيدنا وحبينا وشفيعنا محمد عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحببيه خاتم الرسل والأنبياء، وسيد النجباء والأولياء والأصفياء، المتصف بالصدق والوفاء.

يا سيدي يا رسول الله:

أرسلت داعية إلى الرحمن ودعوت فاهتز لك الثقلان

أخرجت قومك من ضلالات الهوى وهديتنا للواحد الديان

وعلى اله وأصحابه ومن سار على نهجه وتمسك بسنته واقتدى بهديه واتبعهم

بإحسان إلي يوم الدين ونحن معهم يا أرحم الراحمين

ثم أما بعد:

أمة الإسلام: مازال حديثنا عن ذلك الداء العضال داء الأمم السالفة داء الهلاك

والبوار إنه داء الغفلة

الناس في غفلاتهم ورحا المنية تطحن

وتعرفنا في اللقاء السابق عن عقوبات الغافلين وعن علاماتهم واليوم نقف مع أسباب الغفلة وعلاجها فحي هلا عباد الله لتتعرف عن ذلك

### ١- حب الدنيا:

أحباب رسول الله - صلى الله عليه وسلم- أول الأسباب المسببة لذلك الداء حب الدنيا والركون إليها فحب الدنيا راس كل خطيئة كما في الحكمة المشهورة والغفلة هي ثمرة حب الدنيا قال تعالى: {وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} \* يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ} ... (الروم: ٦-٧).

يقول ابن كثير في تفسيره: فإن أكثر الناس ليس لهم علم إلا بالدنيا وإكسابها وشؤونها فهم فيها حذاق أذكياء في تحصيلها ووجوه مكاسبها وهم غافلون عن أمور الدين وما ينفعهم في الدار الآخرة كأن أحدهم مغفل لا ذهن له ولا فكرة، قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: وَاللَّهِ لَبَلَّغَ مِنْ أَحَدِهِمْ بَدَنِيَاهُ أَنْ يَقْلِبُ الدَّرْهَمَ عَلَى ظَفْرِهِ، فَيُخْبِرُكَ بِوَزْنِهِ وَمَا يُحْسِنُ أَنْ يُصَلِّيَ.

\* قال نصر بن محمد السمرقندي:

(ويقال: الناس يصبحون على ثلاثة أصناف: صنف في طلب المال، وصنف في طلب الإثم، وصنف في طلب الطريق. فأما من أصبح في طلب المال؛ فإنه لا يأكل فوق ما رزقه الله تعالى، وإن أكثر المال. ومن أصبح في طلب الإثم؛ لحقه الهوان والإثم. ومن أصبح في طلب الطريق؛ آتاه الله تعالى الرزق والطريق!). (١)

كلامه رحمه الله فبعض الناس يجلسون مع بعضهم البعض كل حديثهم عن

١ - تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي (ص: ٥٦٦)

الدنيا، عن المال، عن النساء، عن الشهوات، عن الريح عن الخسارة وهم عن الآخرة هم غافلون، فالإغترار بالدنيا والانغماس في شهواتها سبب كبير للغفلة، قال الله عز وجل: {ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُهُمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ} ... (الحجر: ٣).

إن حال هؤلاء ليئبى عن سُكْر بحب الدنيا وكأنهم مخلدون فيها، وكأنهم لن يخرجوا منها بغير شيء من متاعها مع أن القرآن يهتف بنا: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرُّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّتْكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ} .... (فاطر: ٥).

إن سكران الدنيا لا يفيق منها إلا في عسكر الموتى نادما مع الغافلين، وهؤلاء الصنف يقول عنهم صلى الله عليه وسلم: "إن الله يبغض كل جعظري جواظ سخاب في الأسواق جيفة بالليل حمار بالنهار عالم بأمر الدنيا جاهل بأمر الآخرة" صحيح الجامع الجعظري هو "الفظُّ الغليظ المتكبر" (١)

والجواظ "الجموع المنوع"

والسخاب كالصخاب أي: (كثير الضجيج والخصام).

فهذا الرجل كأنه لم يخلق للعبادة وإنما خلق للدنيا وشهواتها فإنه إن فكر فكر للدنيا وإن أحب أحب للدنيا وإن عمل عمل للدنيا فمن أجلها يخاصم ويزاحم ويقاتل، وبسببها يتهاون ويترك كثيراً من أوامر الله عز وجل وينتهك المحرمات من أجلها.

وإن من الخسارة العظيمة أن تضيع حياة العبد ما بين أمل طويل وعمل سيء، فتراه في نهاره عاملاً ناصباً صاحباً جامعاً مانعاً، وللفرائض والآداب مضيعاً، فإذا جاء الليل ارتقى على فراشه كالخشبة الملقاة أو الجيفة القذرة، لا يقوم لصلاة فريضة

١ - أخرجه البيهقي (١٠/١٩٤، رقم ٢٠٥٩٣). وأخرجه أيضاً: ابن حبان (١/٢٧٣، رقم ٧٢)،

فضلاً عن قيام ليل وعبادة رب كريم!

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «إنما أهلك من قبلكم الدينار والدرهم، وهما مهلكاكم» (١)

إن حال هؤلاء يصدق فيه قول القائل:

نهارك يا مغرور سهو وغفلةً      وليلك نومٌ والردى لك لازمٌ  
وشغلك فيما سوف تكره غبه      كذلك في الدنيا تعيش البهائم

### ٢- الجهل بالله عز وجل:

ومن أعظم أسباب الغفلة الجهل بالله عز وجل وأسمائه وصفاته، والحق أن كثيراً من الناس لم يعرفوا ربهم حق المعرفة، ولو عرفوه حق المعرفة ما غفلوا عن ذكره، وما غفلوا عن أوامره ونواهيه؛ لأن المعرفة الحقيقية تورث القلب تعظيم الرب ومحبته وخوفه ورجاءه، فيستحي المؤمن أن يراه ربه على معصية، أو أن يراه غافلاً، فأفسد الجاهلين بالمعاصي والشهوات، وأنس العارفين بالذكر والطاعات.

\* قال سلمان الفارسي -رضي الله عنه-: (ثلاث أعجبتني حتى أضحكتني: مؤمّل الدنيا والموت يطلبه! وغافل ليس يُغفل عنه! وضاحكٌ ملء فيه ولا يدري أساخط ربُّ العالمين عليه أم راضٍ؟! (١))

### ٣- المعاصي:

قال الله عز وجل: "كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ" المطففين وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: "إن للحسنة ضياء في الوجه، ونوراً في القلب، وسعة في الرزق، وقوة في البدن، ومحبة في قلوب الخلق، وإن للسيئة سواداً في

١ - [رواه البزار/ صحيح الترغيب للألباني: ٣٢٥٨].

٢ - شعب الإيمان - البيهقي (٧ / ٣٧٨)

الوجه، وظلمة في القلب، ووهناً في البدن، ونقصاً في الرزق، وبغضة في قلوب الخلق". (١).

#### ٤- صحبة السوء:

والعرب تقول الصاحب ساحب، والطبع يسرق من الطبع، فمن جالس أهل الغفلة والجرأة على المعاصي سرى إلى نفسه هذا الداء: { وَيَوْمَ يَعِضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً \* يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً خَلِيلاً \* لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولاً } ... (الفرقان: ٢٧-٢٩).

وحديث أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مثل المجلس الصالح والمجلس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة" ... متفق عليه

وحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخال" ... (٢).

وحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا تصاحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقي" ... رواه أبو داود وحسنه الألباني

وما أحسن ما قال القائل:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينة فكل قرين بالمقارن يقتدي

#### ٥- طول الأمل:

١ - ذكره ابن القيم في الجواب الكافي (ص: ٦٢).

٢ - أخرجه: أبو داود (٤٨٣٣)، والترمذي (٢٣٧٨) وقال: ((حديث حسن غريب)).

فيعيش في الدنيا وهو يظن أنه لن يفارقها فهو مقبل عليها غافلاً عن آخرته، قال الله تعالى: {ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ} ... (الحجر: ٣).

وحديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يهرم ابن آدم وتشبُّ منه اثنتان: الحرص على المال، والحرص على العمر" (١).

وقال عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه: "ارتحلت الدنيا مدبرة، وارتحلت الآخرة مقبلة، ولكل واحدةٍ منها بنون، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا؛ فإن اليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل" (٢).

#### ٦- كثرة الكلام في غير ذكر الله تعالى:

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يرفعه: "لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله، فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله تعالى قسوة للقلب، وإن أبعد الناس من الله تعالى القلب القاسي" (٣).

ويقول الإمام ابن القيم رحمه الله: إن مجالس الذكر مجالس الملائكة، ومجالس اللغو والغفلة مجالس الشياطين، فليتخير العبد أعجبهما إليه وأولاهما به، فهو مع أهله في الدنيا والآخرة.

قال أيضاً: (على قدر غفلة العبد عن الذكر يكون بُعده عن الله).

وقال أيضاً: (إنَّ الغافل بينه وبين الله عزَّ وجلَّ وحشة، لا تزول إلا بالذكر).

فهل حاسبت نفسك أخي المسلم: هل أنت من الذاكرين لله تعالى؟! هل أنت

من المنشغلين بالطاعات؟

١ - أخرجه أحمد (٣/ ١١٥)، رقم (١٢١٦٣)، ومسلم (٢/ ٧٢٤)، رقم (١٠٤٧).

٢ - البخاري-الفتح (١١/ ١١) ك الرقاق، ٤ باب في الأمل وطوله (ص ٢٣٩).

٣ - أخرجه: الترمذي (٢٤١١)، وهو حديث ضعيف.

## ٧- الغفلة عن الموت والدار الآخرة:

وقد أخبر الله عن هذا الصنف بقوله: {إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ} \* أُولَئِكَ مَاوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} ... (يونس: ٧-٨).

وقد نقل ابن كثير رحمه الله أن أشعر الناس أبو العتاهية حيث قال: الناس في غفلاتهم ورحا المنية تطحن.

ف قيل له من أين أخذ هذا؟ قال من قول الله تعالى " اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون " (١)

### ثامنا: ترك صلاة الجماعة:

لحديث عبد الله بن عباس، وابن عمر رضي الله عنهم أنهما سمعا النبي -صلى الله عليه وسلم - يقول: ((ليتهين أقوامٌ عن ودعهم الجماعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين)) (٢)

أقول هذا القول، وأستغفر الله العظيم الكريم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب؛ فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

### الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين.  
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله،  
صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما.

أما بعد:

### العنصر الثاني: علاج الغفلة:

١ - تفسير ابن كثير - ط أولاد الشيخ (٩/ ٣٩٠)

٢ - أخرجه: مسلم ٣/ ١٠ (٨٦٥) (٤٠).

## أولاً: العلم بالله:

معرفة الله عز وجل، ومعرفة نبيه صلى الله عليه وسلم، ومعرفة دينه وشرعه، قال الله تعالى: {قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ} ... (الزمر: ٩).

وعن معاوية رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: "من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين" (١)

## ثانياً: ذكر الله تعالى على كل حال:

فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، أن النبي قال: "مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكره مثل الحي والميت" (٢).

يقول ابن القيم -رحمه الله- في الوابل الصيب: الذكر أصل موالاة الله عز وجل ورأسها، والغفلة أصل معاداة الله ورأسها، فإن العبد لا يزال يذكر ربه عز وجل حتى يحبه الله فيواليه، ولا يزال العبد في غفلة عن ربه حتى يبغضه الله فيعاديه (٣)

فيا حسرة الغافلين عن ذكر الله! يا حسرة الغافلين بالملاهي! ويا حسرة الغافلين بالأغاني! ويا حسرة الغافلين بالأفلام! ويا حسرة الغافلين والغافلات بالمسلسلات في القنوات الفضائية عبر الدشوش وغيرها! إن بعض المسلمين -هداهم الله- منذ أن يصبحوا إلى أن يمسوا وهم في غفلة، وهم في لهو عن ذكر الله عز وجل، البيت مملوء باللهو، والسيارة مشغولة باللهو، والمجالس مشغولة باللهو، فأخبروني بالله عليكم متى يتذكر أولئك؟ إذا بلغت الروح الحلقوم متى يتذكر ذلك؟ إذا حلت المنية متى يتذكر أولئك؟ إذا عجز عن الذكر وأصبح مقهوراً عاجزاً حاسراً بعد أن كان قادراً،

١ - أخرجه أحمد (٢/٢٣٧، رقم ٧٢٣٤)، والبخاري (٥/٢١٣٨، رقم ٥٣٢١)

٢ - أخرجه: البخاري ٨/١٠٧ (٦٤٠٧)، ومسلم ٢/١٨٨ (٧٧٩) (٢١١).

٣ - الوابل الصيب (ص: ٩٩)

أحسن إذا كان إمكان ومقدرة فلا يدوم على الإحسان إيمان (١)

### ثالثاً: مجالس الذكر:

فهي العلاج الناجع لعلاج غفلة القلوب، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن رسول الله قال: "إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا".

قالوا: وما رياض الجنة؟ قال: حلق الذكر". (٢).

### رابعاً: قراءة القرآن:

و مما يوظك من الغفلة قراءة و تدبر القرآن الكريم فهو جلاء للقلوب و صقل لها و لم لا و الله تعالى يقول عنه { يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَ شِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَ هُدًى وَ رَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ } [يونس: ٥٧]

قال الشيخ محمد رشيد رضا-رحمه الله-أي شفاء جميع ما في القلوب من أدواء الشرك والكفر والنفاق، وسائر الأمراض النفسية التي يشعر صاحبها ذو الضمير الحي بضيق الصدر، من شك في الإيمان، ومخالفة للوجدان، وإضرار للحقد والحسد والبغى والعدوان، وحب للباطل والظلم والشر، وبغض للحق والعدل والخير. (٣)

قال خبّاب بن الأرت رضي الله عنه: "تقرّب إلى الله ما استطعت، واعلم أنك لن تتقرب بشيء أحب إليه من كلامه". (٤)

وقال عثمان رضي الله عنه: "لو طهرت قلوبكم ما شبعتم من كلام ربكم".

١- (الغفلة في حياة الناس) للشيخ: سعد البريك

٢- أخرجه أحمد (٣/ ١٥٠ رقم ١٢٥٤٥)، والترمذي (٥/ ٥٣٢ رقم ٣٥١٠) الصحيحة: ٢٥٦٢،

صحيح الترغيب والترهيب: ١٥١١

٣- تفسير المنار (١١/ ٣٢٩)

٤- مختصر قيام الليل لمحمد بن نصر المروزي (ص: ٢٦٣)

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "من أحب القرآن فهو يحب الله ورسوله".

قال عامر بن ربيعة: «نزل بي رجل من الأعراب فأكرمته وأدخلته على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقطعه قطعة من الأرض، فجاء الأعرابي يوماً وقال: إني أريد أن أقطعك من هذه القطعة لك ولعقبك. قال عامر: لا حاجة لي فيها، لقد أنزل الله علينا اليوم سورة أذهلتنا عن الدنيا وذكّرتنا بالآخرة، ثم قرأ: { اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ } »

وجعل الله عقوبة أهل النار، قال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ } \* أُولَئِكَ مَاوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ } [يونس: ٧، ٨].

#### خامساً: الدعاء والتضرع إلى الله تعالى:

والدعاء دواء ناجع وشفاء ناجح إذ هو طلب المعونة والمدد من الله تعالى ليخلصك من أمواج الغفلة المتلاطمة.

فعن أبي سعيد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ما من مسلم يدعو الله بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه بها إحدى ثلاث: إما أن تُعَجَّلَ له دعوته، وإما أن يدخرها له في الآخرة، وإما أن يُصرف عنه من السوء مثلها قالوا: إذا نكث، قال: الله أكثر" (١)

#### سادساً: التوبة

كان عمر بن عبد العزيز رحمه الله يتمثل بهذه الآيات:

أيقظان أنت اليوم أم أنت نائم وكيف يطيق النوم حيران هائم

١ - أخرجه ابن أبي شيبة (٢٢/٦، رقم ٢٩١٧٠)، وأحمد (١٨/٣، رقم ١١١٤٩)، وعبد بن حميد (ص ٢٩٢، رقم ٩٣٧)

فلو كنت يقظان الغداة لحرقت مدامع عينيك الدموع السواجم  
نهارك يا مغرور سهو وغفلة وليلك نوم والردى لك لازم  
يغرك ما يفنى وتشغل بالمنى كما غر باللذات في النوم حالم  
وتشغل في ما سوف تكره غبه كذلك في الدنيا تعيش البهائم

التوبة النصوح، فقد صح في الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: (إذا أذنب العبد  
نكتت في قلبه نكتة سوداء، فإذا تاب وأتاب صقل قلبه). (١)

ولكن المقصود بالتوبة هي التي تكون نصوحا، وتوصف بأنها نصوح إذا  
اجتمعت فيها شروطها المعتبرة، وقد وردت آية في كتاب الله عز وجل جامعة لكل  
شروط التوبة، ومبشرة لمن اجتمعت تلك الشروط في توبته أنه مغفور له، وهي قول  
الله تعالى: { وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ } [طه: ٨٢].

#### سابعاً: المحافظة على الصلوات الخمس مع الجماعة:

عن الحكم بن مينا أن عبد الله بن عمر وأبا هريرة حدثاه أنهما سمعا رسول الله  
صلى الله عليه وسلم يقول وهو على أعواد منبره: «لَيَسْتَهَيِّنَنَّ أَقْوَامٌ عَن وَدْعِهِمُ  
الْجُمُعَاتِ أَوْ لَيَخْتَمَنَّ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ثُمَّ لَيَكُونُنَّ مِنَ الْغَافِلِينَ» (٢).

واسمعوا إلى جوائز وعقوبات المخالفة عن عبد الله بن عمرو، عن النبي صلى  
الله عليه وسلم أنه ذكر الصلاة يوماً فقال: مَنْ حَافِظٌ عَلَيْهَا؟ كَانَتْ لَهُ نُورًا، وَبُرْهَانًا،  
وَنَجَاةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ لَمْ يَحْفَظْ عَلَيْهَا لَمْ يَكُنْ لَهُ نُورٌ، وَلَا بُرْهَانٌ، وَلَا نَجَاةٌ، وَكَانَ  
يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ قَارُونَ، وَفِرْعَوْنَ، وَهَامَانَ، وَأَبِي بَنِي خَلْفٍ (٣)

١ - أخرجه الترمذي (٤٣٤/٥)، رقم (٣٣٣٤) انظر صحيح الجامع: ١٦٧٠، صحيح الترغيب

والترهيب: ١٦٢٠

٢ - أخرجه: مسلم ١٠/٣ (٨٦٥) (٤٠).

٣ - أخرجه أحمد ٥ / ٣٤٦ النسائي رقم ٢٤٦٣ الترمذي رقم ٢٦٢٣ ابن ماجه رقم ١٠٧٩



### ثامنا: الحرص على قيام الليل:

ولو بعشر آيات في قيامه، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "مَنْ قَامَ بِعَشْرِ آيَاتٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ، وَمَنْ قَامَ بِبِائَةِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْقَائِتِينَ، وَمَنْ قَرَأَ بِالْألفِ آيَةَ كُتِبَ مِنَ الْمُفْنَطِرِينَ" (١)..

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَتَانِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ، وَأَحْبِبْ مَنْ شِئْتَ فَإِنَّكَ مَفَارِقُهُ، وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَجْزِيٌّ بِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ شَرَفُ الْمُؤْمِنِ قِيَامُهُ بِاللَّيْلِ، وَعِزُّهُ اسْتِغْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ" (٢).

### تاسعا: الإكثار من ذكر الموت:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أكثرُوا ذكر هاذم اللذات "يعني الموت" (٣).

عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، قال: كنت مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم - فجاءه رجل من الأنصار فسلم على النبي -صلى الله عليه وسلم - ثم قال: يا رسول الله! أي المؤمنين أفضل؟ قال: ((أحسنهم خلقاً)) قال: فأأي المؤمنين أكيس؟ قال: ((أكثرهم للموت ذكراً وأحسنهم لما بعده استعداداً أولئك الأكياس)) (أخرجه ابن ماجه). (٤)

١ - أخرجه أبو داود (٥٧/٢)، رقم (١٣٩٨)، وابن حبان (٣١٠/٦)، رقم (٢٥٧٢) صحيح الجامع:

٦٤٣٩، الصحيحة: ٦٤٢

٢ - أخرجه الحاكم (٣٦٠/٤)، رقم (٧٩٢١)، صحيح الجامع: ٧٣، الصحيحة: ٨٣١

٣ - أخرجه أحمد (٢٩٢/٢)، رقم (٧٩١٢) وقال الألباني حسن صحيح - ((المشكاة)) (١٦٠٧)،

((الإرواء)) (٦٨٢).

٤ - أخرجه ابن ماجه (٤٢٥٩) وقال الألباني: حسن، الصحيحة (١٣٨٤).

## (١٥) إتخاف الأحاب بروائع الصبر والاحتساب

### الخطبة الأولى

الحمد لله رب العالمين يسمع دعاء الخلائق ويحيب... يؤنس الوحيد، ويهدى الشريد، ويذهب الوحشة عن الغريب... يغفر لمن استغفره، ويرحم من استرحمه، ويصلح المعيب... يستر العصاة، ويمهل البغاة، ومن تاب منهم قبل وأثيب... يكلف بالقليل، ويجزى بالجزيل، ويعفو عن الذي بالعجز أصيب... من أطاعه تولاها، ومن غفل عنه لا ينسأه، وله من الرزق نصيب... يرزق بلا أسباب، ويدخل الجنة بغير حساب فلا فضح ولا تنقيب... نحمده تبارك وتعالى ونسأله التنظيم لأحوالنا والترتيب... ونعوذ بنور وجهه الكريم من الفساد الإفساد والتخريب...

ونرجوه الأمن والأمان والرضا والرضوان في يوم يسقط الجنين فيه والصغير فيه يشيب...

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له المهيمن والرقيب... من تبع شرعه والاه، ومن تقرب إليه فاز بالتقريب...

من أوى إليه آواه، ومن استحيا منه فليس عليه تثريب... من توكل عليه كفاه، ومن التجأ إليه فالفرج قريب...

من اعتصم به فهو مولاه، ومن ارتجأه مخلصا لا يخيّب... من ذكره خاشعا اجتباها، ومن تاب إليه فهو منيب...

من شكر عطاءه ناه، ومن تواضع له نجا من التعذيب...

وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله المقرب والحبيب... خلقه نعمة، ومبعثه رحمة، وشمس سنته لا تغيب... نظره لحظ، وكلامه وعظ، واللفظ منه لا

يريب...نوره يخطف الأبصار، ومسجده علم ومزار، وأنفاسه مسك وطيب...

من سلم عليه رد عليه السلام، ومن صلى عليه فهو من الجنة قريب...من رآه في المنام فقد رآه، ومن بايعه فقد بايع الله، ومن دعا عند قبره أجيب...من نال شفاعته اجتاز، ومن شرب من حوضه فاز، فلا عتاب ولا تأنيب...هو تاج أولى العزائم، وقدوة لكل صائم وقائم، واتباعه تحلو الحياة وتطيب...اللهم صل وسلم وبارك عليه عدد ما وسعه علم الحساب من تريبع وتكعيب...وكلما أثنى عليه شاعر أو أديب، وطالما عرف حقه عالم أو نجيب... وعلى الصحب والآل وكل من انتسب إليه من بعيد أو قريب...

**أما بعد:**

معاشر الموحدين الصابرين: نقف في هذا اللقاء بحول رب الأرض والسماء مع روائع الصبر والاحتساب فأعيروني القلوب فإن الأمر من الأهمية بمكان

### **فضل الصبر والصابرين**

اعلم علمني الله تعالى وإياك: أن الله عز وجل -قد حث على الصبر في كتابه وأمر به ومدح أهله فهو مذكور في نحو من سبعين موضعا من القرآن حديث القرآن عن فضائل الصبر كثير جداً، وهذه العجالة لا تستوعب كل ما ورد في ذلك لكن نجتزىء منه بما يلي:

**أولاً: علق الله الفلاح به: فالصبر هو سلم الفلاح قال هالله تعالى: {يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [آل عمران: ٢٠٠]**

يقول محمد رشيد رضا-رحمه الله-فمن صبر، وصابر، وربط لأجل حماية الحق، وأهله، ونشر دعوته، واتقى ربه في سائر شئونه فقد أعد نفسه بذلك للفلاح والفوز بالسعادة عند الله -تعالى- .

وأقول: إن الفلاح هو الفوز، والظفر بالبغية المقصودة من العمل، وقد يكون

ذلك خاصا بالدنيا كما في قوله - تعالى - حكاية عن فرعون : وقد أفلح اليوم من استعلى [٢٠ : ٦٤] وقد يكون خاصا بالآخرة كقوله حكاية عن أهل الكهف : ولن تفلحوا إذا أبدا [١٨ : ٢٠] ويكون مشتركا بين الدارين ، وعندى أن أكثر وعد القرآن المؤمنين من هذا النوع .

وإرادة الفلاح الدنيوي من الآية التي نفسرها ظاهرة ؛ فإن الصبر، ومصابرة الأعداء، والمرابطة، والتقوى كلها من أسباب الفوز على الأعداء في الدنيا، كما أنها مع حسن النية، وقصد إقامة الحق والعدل -الذي هو شأن المؤمن -من أسباب سعادة الآخرة. وهذه الأعمال كلها اختيارية داخلية في مقدور الإنسان، ولذلك أمر بها، فعلمه إذا هو سبب فلاحه. (١)

ثانيا الإخبار عن مضاعفة أجر الصابرين على غيره: ((أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا)) وقال: {إِنَّمَا يُؤْتَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ} [الزمر: ١٠] يقول القرطبي - رحمه الله - أي بغير تقدير وقيل : يزداد على الثواب لأنه لو أعطي بقدر ما عمل لكان بحساب وقيل : { بغير حساب } أي بغير متابعة ولا مطالبة كما تقع المطالبة بنعيم الدنيا و { الصابرون } هنا الصائمون دليله قوله عليه الصلاة والسلام مخبرا عن الله عز وجل ( الصوم لي وأنا أجزي به ) قال أهل العلم : كل أجر يكال كيلا ويوزن وزنا إلا الصوم فإنه يحصى حثوا ويغرف غرفا وحكي عن علي رضي الله عنه وقال مالك بن أنس في قوله : { إنما يؤتى الصابرون أجرهم بغير حساب } قال : هو الصبر على فجائع الدنيا وأحزانها ولا شك أن كل من سلم فيما أصابه وترك ما نهى عنه فلا مقدار لأجره وقال قتادة : لا والله ما هناك مكيال ولا ميزان حدثني أنس أن قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تُنْصَبُ الْمَوَازِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُؤْتَى بِأَهْلِ الصَّلَاةِ فَيُؤَفَّقُونَ أَجْوَرَهُمْ بِالْمَوَازِينِ، وَيُؤْتَى بِأَهْلِ الْبَلَاءِ، وَلَا

يُنْصَبُ لَهُمْ مِيزَانٌ، وَيُنْشَرُ لَهُمْ دِيْوَانٌ فَيُصَبُّ عَلَيْهِمُ الْأَجْرُ صَبًّا بَغَيْرِ حِسَابٍ حَتَّى يَتَمَنَّى أَهْلُ الْعَافِيَةِ أَنَّهُ كَانَتْ تُقْرَضُ بِالْمَقَارِيضِ أَجْسَادُهُمْ مِمَّا فِيهِ أَهْلُ الْبَلَاءِ مِنْ الْفَضْلِ» (١). (٢)

ثالثا: تعليق الإمامة في الدين به وباليقين: فالصبر أيها الصابرون طريق للنصر والتمين فلا نصر إلا على طريق الصبر { وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ } [السجدة: ٢٤].

### من روائع الصابرين والمحتسبين

لقد ضرب السلف الصالح نماذج رائعة في صبرهم واحتسابهم عند المصائب، وإليك طرفاً من ذلك، لتعرف الفرق الشاسع والبون الواسع بيننا وبين سلفنا الصالح:

### إمام الصابرين حبيب رب العالمين ﷺ

لقد فجع النبي صلى الله عليه وسلم بفقد ابنه إبراهيم، كما فجع بفقد جميع أبنائه في حياته ما عدا فاطمة رضي الله عنها، وإنها ورب الخلق لمن أشد ما يصيب الإنسان في دار الفناء، فليست هناك مصيبة أشد على المرء من فقد الولد، فكان يستقبل هذا البلاء باليقين والصبر والرضا بقضاء رب العالمين، وكان صبره على فراقهم بمقدار تحمله لجميع شدائد الدنيا، فما كانت تتعدى ردة فعله سيلان عبراته الشريفة على خديّه الكريمين

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: دَخَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَبِي سَيْفِ الْقَيْنِ، وَكَانَ ظَنْرًا لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِبْرَاهِيمَ، فَقَبَّلَهُ، وَشَمَّمَهُ، ثُمَّ دَخَلْنَا عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ وَإِبْرَاهِيمُ يَجُودُ بِنَفْسِهِ، فَجَعَلَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى

١ - بحر الفوائد المسمى بمعاني الأخبار للكلاذبي (ص: ٣٨٣)

٢ - تفسير القرطبي (١٥ / ٢١١)

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَذَرِفَانِ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: «يَا ابْنَ عَوْفٍ إِنَّهَا رَحْمَةٌ»، ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِأُخْرَى، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ، وَالْقَلْبَ يَخْزَنُ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمَ لَمَحْزُونُونَ» (١)

وكان ذلك في شهر ربيع الأول سنة ١٠ للهجرة، وكان عمره ستة عشر شهراً.

### صبر أم سليم وأبي طلحة-رضي الله عنهما -

معاشر الصابرين المحتسبين: لقد ضربت أم سليم -رضي الله عنها أروع الأمثلة

في الصبر على فقد الأبناء هيا لنرى مشهدا يحدث عن الصبر والصابرين

عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: اشْتَكَى ابْنُ لَإِبِي طَلْحَةَ، قَالَ: فَمَاتَ، وَأَبُو طَلْحَةَ خَارِجٌ، فَلَمَّا رَأَتْ امْرَأَتُهُ أَنَّهُ قَدْ مَاتَ هَيَّأَتْ شَيْئًا، وَنَحَّتْهُ فِي جَانِبِ الْبَيْتِ، فَلَمَّا جَاءَ أَبُو طَلْحَةَ قَالَ: كَيْفَ الْغُلَامُ، قَالَتْ: قَدْ هَدَأَتْ نَفْسَهُ، وَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ قَدِ اسْتَرَاحَ، وَظَنَّ أَبُو طَلْحَةَ أَنَّهَا صَادِقَةٌ، قَالَ: فَبَاتَ، فَلَمَّا أَصْبَحَ اغْتَسَلَ، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ أَعْلَمَتْهُ أَنَّهُ قَدْ مَاتَ، فَصَلَّى مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ أَخْبَرَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا كَانَ مِنْهُمَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَعَلَّ اللَّهُ أَنْ يُبَارِكَ لَكُمَا فِي لَيْلَتِكُمَا» قَالَ سُفْيَانُ: فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: فَرَأَيْتُ لِهَئِهِمَا تِسْعَةَ أَوْلَادٍ كُفُّهُمْ قَدْ قَرَأَ الْقُرْآنَ (٢)

وفي رواية قالت: يا أبا طلحة، رأيت لو أن قوماً أعاروا أهل بيت عارية، فطلبوا

عاريتهم، ألهم أن يمنعوهم قال: لا؛ قالت: فاحتسب ابنك؛ فغضب، وقال: تركتني

حتى تلتطخت، ثم أخبرتني بابني"، وفي رواية قال لها: "والله لن تغليبي على

الصبر".

١ - البخاري (١٣٠٣).

٢ - أخرجه البخاري (١٣٠١)

## كل مصيبة بعدك جليل!

ومن روائع الصبر والاحتساب عند فقد الأحباب تلك المرأة الأنصارية التي حشيت صبرا ورضا وإيمانا تأملوا أيها الأحباب في ذلك المشهد الرائع لتلك المرأة

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ أَبِي عَوْنٍ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، قَالَ مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِامْرَأَةٍ مِنْ بَنِي دِينَارٍ، وَقَدْ أُصِيبَ زَوْجُهَا وَأُخُوها وَأَبُوها مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأُحَدٍ فَلَمَّا نَعُوا لَهَا، قَالَتْ فَمَا فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالُوا: خَيْرًا يَا أُمَّ فَلَانٍ هُوَ بِحَمْدِ اللَّهِ كَمَا تُحِبِّينَ قَالَتْ أَرُونِيهِ حَتَّى أَنْظُرَ إِلَيْهِ؟ قَالَ فَأَشِيرَ لَهَا إِلَيْهِ حَتَّى إِذَا رَأَتْهُ قَالَتْ كُلُّ مُصِيبَةٍ بَعْدَكَ جَلَلٌ تُرِيدُ صَغِيرَةً"

قال ابن هشام: الجلل يكون من القليل والكثير، وهو ههنا القليل، قال امرؤ القيس:

ولقتل بني أسد ربهم ألا كل شيء خلاه جلل - أي صغير قليل فهو من الأضداد. (١)

أقول هذا القول، وأستغفر الله العظيم الكريم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب؛ فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين.  
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما.

أما بعد:

صبر وثبات أبي بكر عند وفاة رسول الله ﷺ

١ - سيرة ابن هشام (٢) / ٩٩

وها هو الصادق الصديق - رضي الله عنه يضرب للامة أروع صور الصبر

والثبات عند وفاة سيد الكائنات - صلى الله عليه وسلم -

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَاتَ وَأَبُو بَكْرٍ بِالسُّنْحِ، - قَالَ: إِسْمَاعِيلُ يَعْنِي بِالْعَالِيَةِ - فَقَامَ عُمَرُ يَقُولُ: وَاللَّهِ مَا مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَتْ: وَقَالَ عُمَرُ: وَاللَّهِ مَا كَانَ يَفْعُ فِي نَفْسِي إِلَّا ذَاكَ، وَلِيَبْعَثَنَّهُ اللَّهُ، فَلْيَقْطَعَنَّ أَيْدِي رِجَالِ وَأَرْجُلَهُمْ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ " فَكَشَفَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَبَّلَهُ، قَالَ: بِأبي أَنْتَ وَأُمِّي، طِبْتَ حَيًّا وَمَيِّتًا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُدْيِقُكَ اللَّهُ الْمَوْتَيْنِ أَبَدًا، ثُمَّ خَرَجَ فَقَالَ: أَيُّهَا الْحَالِفُ عَلَى رَسُولِكَ، فَلَمْ يَكَلِّمْ أَبُو بَكْرٍ جُلَسَ عُمَرُ، فَحَمِدَ اللَّهُ أَبَا بَكْرٍ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَقَالَ: أَلَا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، وَقَالَ: {إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِيَّاهُمْ مَيِّتُونَ} [الزمر: ٣٠]، وَقَالَ: {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ} [آل عمران: ١٤٤]، قَالَ: فَنَشَحَ النَّاسُ يَبْكُونَ، (١).

### صبر عمر بن عبد العزيز - رحمه الله -

كان لعمر بن عبد العزيز رحمه الله وزيراً صدق من أهل عشيرته، وهما ابنه عبد الملك وغلماهما مزاحم، فهاتا في عام واحد، فوجد عليهما وصبر، فقال وهو يوارى ابنه عبد الملك - ومات وعمره سبع عشرة سنة: لأن تكون في ميزاني أحب إلي من أن أكون في ميزانك؛ يعني تموت قبلي وأحتسبك.

وقال: الأمر الذي نزل بعبد الملك كنا نتوقعه، فلما وقع لم ننكره؛ وقام على قبره فقال: رحمك الله يا بني، فقد كنت باراً مولوداً، وباراً ناشئاً، وما أحب أني دعوتك

١ - أخرجه البخاري (٧/٥)

فأجبتني.

.....الدعاء

## (١٦) تسليية المصاب عند فقد الأجاب

### الخطبة الأولى

الحمد لله رب العالمين يسمع دعاء الخلائق ويحيب... يؤنس الوحيد، ويهدى الشريد، ويذهب الوحشة عن الغريب... يغفر لمن استغفره، ويرحم من استرحمه، ويصلح المعيب... يستر العصاة، ويمهل البغاة، ومن تاب منهم قبل وأثيب... يكلف بالقليل، ويجزى بالجزيل، ويعفو عن الذي بالعجز أصيب... من أطاعه تولاه، ومن غفل عنه لا ينساه، وله من الرزق نصيب... يرزق بلا أسباب، ويدخل الجنة بغير حساب فلا فضح ولا تنقيب... نحمده تبارك وتعالى ونسأله التنظيم لأحوالنا والترتيب... ونعوذ بنور وجهه الكريم من الفساد الإفساد والتخريب...

ونرجوه الأمن والأمان والرضا والرضوان في يوم يسقط الجنين فيه والصغير فيه يشيب...

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له المهيمن والرقيب... من تبع شرعه والاه، ومن تقرب إليه فاز بالتقريب...

من أوى إليه آواه، ومن استحيا منه فليس عليه تريب... من توكل عليه كفاه، ومن التجأ إليه فالفرج قريب...

من اعتصم به فهو مولاه، ومن ارتجاه مخلصا لا يحيب... من ذكره خاشعا اجتباه، ومن تاب إليه فهو منيب...

من شكر عطاءه ناه، ومن تواضع له نجا من التعذيب...

وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله المقرب والحبيب... خلقه نعمة، ومبعثه رحمة، وشمس سنته لا تغيب... نظره لحظ، وكلامه وعظ، واللفظ منه لا



يريب...نوره يخطف الأبصار، ومسجده علم ومزار، وأنفاسه مسك وطيب...

من سلم عليه رد عليه السلام، ومن صلى عليه فهو من الجنة قريب...من رآه في المنام فقد رآه، ومن بايعه فقد بايع الله، ومن دعا عند قبره أجيب...من نال شفاعته اجتاز، ومن شرب من حوضه فاز، فلا عتاب ولا تأنيب...هو تاج أولى العزائم، وقدوة لكل صائم وقائم، واتباعه تحلو الحياة وتطيب...اللهم صل وسلم وبارك عليه عدد ما وسعه علم الحساب من تربيعة وتكعيب...وكلما أثنى عليه شاعر أو أديب، وطالما عرف حقه عالم أو نجيب... وعلى الصحب والآل وكل من انتسب إليه من بعيد أو قريب...

أما بعد: أحباب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نقف اليوم وفي تلك للحظات مع ما يخفف الآلام ويضمد الجروح ويسلي الفؤاد عندما يقفد الوالدين ثمرة فؤادهم و عماد ظهورهم عندما يموت احد الأبناء يحتاج الوالد إلى دواء ناجع و شفاء ناجح لذا رأيت أيها الإباء أن أتخفكم في هذا المقام بثمرات الصبر عند فقد الأحباب

### نعمة الأبناء

الأولاد نعمة من أجل وأفضل النعم على الإنسان لا يحس بها إلا من حرم منها أو فقدتها ، والولد هبة إلهية ومنحة ربانية ، قال عز من قائل : { "لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنِائًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ (٤٩) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَانًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ } (٥٠) سورة الشورى .

قال الشاعر:

إِنَّمَا أَوْلَادُنَا أَكْبَادُنَا أرواحنا تمشي على الأرض  
إِنْ هَبَّتِ الرِّيحُ عَلَى بَعْضِهِمْ امتنعت عيني عن الغمض

وفقد الولد مصيبة لا تتحملها إلا نفس المؤمن الصابرة الراضية بقضاء الله تعالى  
وقدره ، عَنْ ثَابِتٍ ، عَنْ أَنَسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : دَخَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وسلم عَلَى أَبِي سَيْفِ الْقَيْنِ ، وَكَانَ ظَنُرًا لِإِبْرَاهِيمَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِبْرَاهِيمَ ، فَقَبَّلَهُ وَشَمَّمَهُ ، ثُمَّ دَخَلْنَا عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ ، وَإِبْرَاهِيمُ  
يَجُودُ بِنَفْسِهِ ، فَجَعَلَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَذْرِفَانِ ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ  
الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟! فَقَالَ : يَا ابْنَ عَوْفٍ ، إِنَّهَا  
رَحْمَةٌ ، ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِأُخْرَى ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ ، وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ  
، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا ، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمَ لَمَحْزُونُونَ. (١).

قال ابن مسعود: ما منكم إلا ضيف، وماله عارية، والضيف مرتحل، والعارية  
مؤداة إلى أهلها،

وقال الشاعر:

وما المال والأهلون إلا ودائع ولا بُد من يوم تُردُّ الودائعُ

بشائر الآباء عند فقد الأحباب

عَطِيَّتُهُ إِذَا أَعْطَى سُرُورًا \* \* \* وَإِنْ أَخَذَ الَّذِي أَعْطَى أَثَابًا

فَأَيُّ النِّعْمَتَيْنِ أَجَلٌ قَدْرًا \* \* \* وَأَحْمَدُ فِي عَوَاقِبِهَا مَأْبَا

أَنْعَمْتُهُ الَّتِي أَهْدَتْ سُرُورًا؟ \* \* \* أَمْ الْأُخْرَى الَّتِي أَهْدَتْ ثَوَابًا؟

بَلِ الْأُخْرَى وَإِنْ نَزَلَتْ بِكُرْهِ \* \* \* أَحَقُّ بِشُكْرِ مَنْ صَبَرَ احْتِسَابًا

أيها المصاب بفقد الأحباب: هاك بشائر ربانية ورسائل محمدية تنزل على

القلوب المصابة بردا وسلاما

١ - أخرجه أحمد ٣/١٩٤ (١٣٠٤٥) والبخاري ١٠٥/٢ (١٣٠٣)



### البشارة الأولى: من الله تعالى صلوات ورحمة وهداية:

اسمع و تأمل في الجوائز و العطايا التي هي خير من الدنيا و ما فيها قال تعالى في وصف المؤمنين الصابرين على البلاء، الراضين بمر القضاء: { "وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧) سورة البقرة .

وقال السيوطي: قال على أمر الله في المصائب، يعني بشرهم بالجنة (أولئك عليهم) يعني على من صبر على أمر الله عند المصيبة { صلوات } يعني مغفرة { من ربهم ورحمة } يعني رحمة لهم وأمنة من العذاب { وأولئك هم المهتدون } يعني من المهتدين بالاسترجاع عند المصيبة (١).

وقال السمرقندي: والصلاة من الله تعالى على ثلاثة أشياء: توفيق الطاعة والعصمة عن المعصية ومغفرة الذنوب جميعاً، فبالصلاة الواحدة تتكون لهم هذه الأشياء الثلاثة، فقد وعد لهم الصلوات الكثيرة، ومقدار ذلك لا يعلمه إلا الله .

ثم قال: { وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ } أي الموفقون للاسترجاع.

وروي عن سعيد بن جبیر أنه قال: لم يكن الاسترجاع إلا لهذه الأمة، ألا ترى أن يعقوب عليه السلام قال: { وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَا عَلَى يُوْسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ } [يوسف: ٨٤] فلو كان له الاسترجاع ، لقال ذلك. (٢)

وتأمل أيها المصاب في أحوال الصابرين

عن ثابت قال: لما مات عبد الله بن مُطَرِّف خرج أبوه (مُطَرِّف) على قومه في ثيابٍ حسنة وقد ادهن ، فغضبوا وقالوا له : يموتُ ولدك عبد الله ثم تخرجُ في ثيابٍ

١ - الدر المنثور ١ / ٣١١

٢ - بحر العلوم ١ / ١٣٣

مثل هذه مدهناً .

فقال لهم: أفأستكينُ لها (يعني مصيبة موت ابنه) ، لقد وعدني ربي تبارك وتعالى ثلاث خصال كُلُّ واحدةٍ منهن خيرٌ من الدنيا وأحبُّ إليَّ من الدنيا وما فيها ... قال الله : (الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ) ، (أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ) هذه الأولى ، (وَرَحْمَةٌ) هذه الثانية ، (وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ) هذه الثالثة. (١)

وروي عن ابن عباس أنه أخبرَ بوفاة ابنٍ له وهو في سفر فاسترجع وقال: عورة سترها الله، ومؤنه كفاها الله، وأجرٌ ساقه الله تعالى، ثم نزل فصلى ركعتين ثم قال: قد صنعنا ما أمرنا الله تعالى به ، قال تعالى : **وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ** (٢)

وروى الحافظ أبو نعيم: لما توفي ذر بن عمر الهمداني، جاءه أبوه أو جاء أبوه، فوجده قد مات، فوجد أهل بيته يبكون، فقال: ما بكم؟ قالوا: مات ذر، فقال: الحمد لله، والله ما ظلمنا ولا قهرنا ولا ذهب لنا بحق، وما أريد غيرنا بما حصل لذر، ومالنا على الله من مآثم، ثم غسَّله وكفَّنه، وذهب ليصلي مع المصلين، ثم ذهب به إلى المقبرة، ولما وضعه في القبر قال: رحمك الله يا بني، قد كنت بي باراً، وكنت لك راحماً، ومالي إليك من وحشة ولا إلى أحد بعد الله فاقه، والله يا ذر ما ذهبت لنا بعز، وما أبقيت علينا من ذل، ولقد شغلني والله الحزن لك عن الحزن عليك، يا ذر - والله - لولا هول يوم المحشر لتمنيت أني صرَّت إلى ما إليه صرت. يا ليت شعري ماذا قيل لك وبماذا أجبت؟ ثم يرفع يديه أخري باكياً، اللهم إنك قد وعدتني الثواب إن صبرت، اللهم ما وهبته لي من أجر فاجعله لذر صلة مني، وتجاوز عنه،

١ - أورده ابن الجوزي في صفة الصفوة (٢/ ١٣٢) طبعة دار الحديث، وفي الثبات عند الممات (ص ٢٦)

طبعة دار المنهاج، وأحمد في الزهد (ص ٢٩٩) (١٣٨٩) طبعة مكتبة الصفا .

٢ - أورده الغزالي في إحياء علوم الدين (٣/ ٢٣٦)

فأنت أرحم به مني، اللهم إني قد وهبت لذر إساءته فهب له إساءته فأنت أجود مني وأكرم ثم انصرف ودموعه تقطر على لحيته.

وليس الذي يجري من العين ماؤها\*\*\* ولكنها روح تسيل فتقطر

فانصرف وهو يقول: يا ذر قد انصرفنا وتركناك، ولو أقمنا ما نفعناك، وربنا قد

استودعناك، والله يرحمنا وإياك. (١)

### البشارة الثانية: السقيا يوم الظم الأكبر:

أخي المصاب: يوم القيامة هو يوم الظم الأكبر يوم أن تدنو الشمس من رؤوس العباد قدر ميل يصور الله تعالى عطش أهل النار - أعادني الله وإياكم منها- بقوله

{وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهَا عَلَى الْكَافِرِينَ} (٥٠) سورة الأعراف.

في ذلك اليوم يحتاج الإنسان إلى رشفة ماء يروي بها ظمأه، فيأتي الولد الذي مات صغيراً ليسقي والديه.

عن محمد خلف وكيع قال: كان لإبراهيم الحربي ابن، وكان له إحدى عشرة سنة، قد حفظ القرآن، ولقنه من الفقه شيئاً كثيراً فمات، قال: فجئت أعزّيه، فقال لي: كنت أشتهي موت ابني هذا، قلت: يا أبا إسحاق، أنت عالم الدنيا، تقول مثل هذا في صبي، قد أنجب، وحفظ القرآن، ولقنته الحديث والفقه؟ قال: نعم. رأيت في النوم، كأن القيامة قد قامت، وكان صبيانا بأيديهم قلال ماء، يستقبلون الناس يسقونهم، وكان اليوم يوماً حاراً شديداً حرّه. قال: فقلت لأحدهم: اسقني من هذا الماء، قال: فنظر إليّ، وقال لي: ليس أنت أبي؟ فقلت: فأيش أنتم؟ قالوا: نحن الصبيان الذين متنا في دار الدنيا، وخلفنا آباءنا، نستقبلهم، فنسقيهم الماء، قال:

١ - علي بن نايف الشحود: موسوعة البحوث والمقالات العلمية ص ٦. محاضرات علي القرني (٦)

فلهذا تمنيت موته. (١)

قال المقدسي في: بلغ الشافعي، رضي الله عنه، أن عبد الرحمن بن مهدي مات ابن له، فجزع عليه عبد الرحمن جزعاً شديداً فبعث إليه الشافعي، رضي الله عنه: يا أخي عز نفسك بما تُعزي به غيرك، واستقيح من فعلك ما تستقيحه من فعل غيرك، واعلم أن أمص المصائب فقد سرور وحرمان أجر، فكيف إذا اجتمع مع اكتساب وزر؟ فتناول حظك يا أخي إذا قرب منك قبل أن تطلبه، وقد نأى عنك، ألهمك الله عند المصائب صبراً، وأحرز لنا ولك بالصبر أجراً، وكتب إليه:

إني معزيك لا أني على ثقة من الخلود ولكن سنة الدين

فما المعزي بباقي بعد ميته ولا المعزي ولو عاشا إلى حين (٢)

وكان صلة في غزاة ومعه ابنه فقال له: أي بني تقدم فقاتل حتى أحتسبك، فحمل فقاتل حتى قتل، ثم تقدم صلة فقاتل حتى قتل، فاجتمع النساء عند امرأته معاذة العدوية فقالت: إن كنتن جئتن لتهنينني فمرحبا بكن، وإن كنتن جئتن لتعزينني فارجعن. (٣)

### البشارة الثالثة: النجاة من النار:

ومما يثلج الفؤاد ويزيد المسلم إيماناً ويقينا أن في فقد الأبناء وقاية من نار حره شديد وقعرها بعيد ومقامها من حديد .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ أَنَّ امْرَأَةً أَتَتْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِصَبِيٍّ لَهَا، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ لَهُ، فَقَدْ دَفَنْتُ ثَلَاثَةً، فَقَالَ: لَقَدْ احْتَضَرْتَ بِحِطَارٍ شَدِيدٍ مِنَ النَّارِ.

١ - صفة الصفوة ٢ / ٤١٠ .

٢ - (اللباب في تسلية المصاب ص ١٤)

٣ - البداية والنهاية ٩ / ٢٢ .

- وفي رواية: جَاءَتِ امْرَأَةٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِوَلَدٍ لَهَا مَرِيضٍ  
يَدْعُو لَهُ بِالشَّفَاءِ وَالْعَافِيَةِ ، فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَدْ مَاتَ لِي ثَلَاثَةٌ ، قَالَ : فِي  
الإِسْلَامِ ؟ قَالَتْ : فِي الإِسْلَامِ ، فَقَالَ : مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُقَدِّمُ ثَلَاثَةً فِي الإِسْلَامِ لَمْ يَبْلُغُوا  
الْجَنَّةَ يَحْتَسِبُهُمْ ، إِلَّا احْتَضَرَ بِحَظِيرٍ مِنَ النَّارِ . (١) .

ذكر ابن الجوزي بإسناده عن عبد الله بن زياد قال: حدثني بعض من قرأ في  
الكتب أن ذا القرنين لما رجع من مشارق الأرض ومغاربها وبلغ أرض بابل مرض  
مرضاً شديداً، فعلم أنه مرض الموت وأشفق على نفسه فكتب لأمه معزياً في ذكاء  
قائلاً: يا أمه، إذا جاءك كتابي فاصنعي طعاماً واجمعي من قدرت من الناس ولا  
يأكل طعامك من أصيب بمصيبة، وتسألني هل وجدت لشيء قراراً. إني لأرجو أن  
الذي أذهب إليه خيراً مما أنا فيه. فلما وصل كتابه صنعت طعاماً عظيماً وجمعت  
الناس وقالت: لا يأكل هذا من أصيب بمصيبة. فلم يتقدم أحد من هذا الطعام،  
فعلمت مراد ابنها فقالت: بني، من مبلغك عني أنك وعظمتي فاتعظت وعزيتني  
فتعزيت فعليك السلام حياً وميتاً. (٢)

أقول هذا القول، وأستغفر الله العظيم الكريم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل  
ذنب؛ فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

### الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،

صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً.

أما بعد:

١ - أخرجه أحمد "٤١٩/٢ (٩٤٢٧)" البُخاري في الأدب المفرد ١٤٤ ومسلم ٦٧٩٦

٢ - تسليمة أهل المصائب لابن الجوزي ص ٢١، ٢٠.

### البشارة الرابعة: دخول الجنة:

أيها المصاب بشرك رب الأرباب بالاجتماع مع أبنائك في الجنة فهم لك شهادة ضمان لدخول جنة الرحمن قال تعالى: { وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِّنْ عَمَلِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ } . سورة الطور: ٢١.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا مِنَ النَّاسِ مُسْلِمٍ، يَمُوتُ لَهُ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْوَالِدِ، لَمْ يَلْعُوا الْحَنْثَ، إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ، بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُمْ. (١)

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ لَبِيدٍ، عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: مَنْ مَاتَ لَهُ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْوَالِدِ، فَاحْتَسَبَهُمْ، دَخَلَ الْجَنَّةَ، قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَاثْنَانِ؟ قَالَ: وَاثْنَانِ. قَالَ مُحَمَّدٌ: فَقُلْتُ لِجَابِرٍ: أَرَأَيْكُمْ لَوْ قُلْتُمْ (وَاحِدٌ) لَقَالَ: وَاحِدٌ؟ قَالَ: وَأَنَا، وَاللَّهِ، أَظُنُّ ذَلِكَ. (٢)

عَنْ أَبِي إِيَّاسٍ، وَهُوَ مُعَاوِيَةُ بْنُ قُرَّةَ، عَنْ أَبِيهِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَعَهُ ابْنٌ لَهُ، فَقَالَ لَهُ: أَتُحِبُّهُ؟ فَقَالَ: أَحَبَّكَ اللَّهُ كَمَا أُحِبُّهُ، فَمَاتَ، فَفَقَدَهُ، فَسَأَلَ عَنْهُ، فَقَالَ: أَمَّا يَسْرُوكَ أَنَّهُ لَا تَأْتِي بَابًا مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ تَسْتَفْتِحُهُ، إِلَّا جَاءَ يَسْعَى حَتَّى يَسْتَفْتِحَهُ لَكَ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَهُ خَاصَّةٌ أَمْ لِلنَّاسِ عَامَّةٌ؟ قَالَ: لَكُمْ عَامَّةٌ.

- وفي رواية: أَمَّا تُحِبُّ أَنْ لَا تَأْتِيَ بَابًا مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ إِلَّا وَجَدْتَهُ يَنْتَظِرُكَ؟ فَقَالَ الرَّجُلُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَهُ خَاصَّةٌ أَمْ لِكُلِّنَا؟ قَالَ بَلْ لِكُلِّكُمْ. (٣)

١ - أخرجه البخاري ٩٢/٢ (١٢٤٨).

٢ - أخرجه أحمد ٣/٣٠٦ (١٤٣٣٦) والبخاري في (الأدب المفرد) ١٤٦.

٣ - أخرجه أحمد ٣/٤٣٦ (١٥٦٨٠) والنسائي ٤/٢٢، وفي الكبرى ٢٠٠٩.



عَنْ شُرْحَيْلِ بْنِ شُفْعَةَ ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : يُقَالُ لِلْوَلَدَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : ادْخُلُوا الْجَنَّةَ ، قَالَ : فَيَقُولُونَ : يَا رَبِّ ، حَتَّى يَدْخُلَ آبَاؤُنَا وَأُمَّهَاتُنَا ، قَالَ : فَيَأْتُونَ ، قَالَ : فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : مَالِي أَرَاهُمْ مُحِبِّطِينَ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ ، قَالَ : فَيَقُولُونَ : يَا رَبِّ آبَاؤُنَا وَأُمَّهَاتُنَا ، قَالَ : فَيَقُولُ : ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ. (١)

قيل مات ابن لداود عليه السلام فحزن عليه حزنا شديدا. فأوحى الله إليه: ماذا كنت مفتديه؟ قال: بطلاع الأرض ذهبيا. قال: فأوحى الله إليه: إن لك عندي من الأجر بحساب ذلك. وفي رواية قال: يا داود ما كان يعدل هذا الولد عندك؟ قال: كان يعدل عندي ملء الأرض ذهبيا. قال: فلك يوم القيامة عندي ملء الأرض ثوبا. (٢)

كان عروة بن الزبير صبورا حين أبتلي حكي أنه خرج إلى الوليد بن يزيد فوطيء عظما فأصابته فما بلغ إلى دمشق حتى بلغ به كل مذهب فجمع له الوليد الأطباء فأجمع رأيهم على قطع رجله فقالوا له أشرب مرقدا فقال: ما أحب أن أغفل عن ذكر الله تعالى فأحمني له المنشار وقطعت رجله فقال ضعوها بين يدي ولم يتوجع ثم قال: لئن كنت ابتليت في عضو فقد عوفيت في أعضاء فينما هو كذلك إذ أتاه خبر ولده أنه طلع من سطح على دواب الوليد فسقط فمات فقال: الحمد لله على كل حال لئن أخذت واحدا لقد أبقيت جماعة. (٣)

عن أبي قدامة الشَّامي قال: كنت أمرا على الجيش في بعض الغزوات، فدخلت بعض البلدان، فدعوت الناس إلى الغزاة، ورجبتهم في الجهاد، وذكرت فضل

١ - أخرجه أحمد ٤/ ١٠٥ (١٧٠٩٦) والطبراني (٢٤ / ٢٢٤) الألباني: صحيح الجامع (٥٧٨٠).

٢ - تسليته نفوس النساء والرجال عند فقد الأطفال: للحافظ عبد الرحمن بن رجب ص ١٦.

٣ - مختصر تاريخ دمشق ٥ / ٢٧٥.

الشهادة، وما لأهلها، ثم تفرَّق الناس، وركبتُ فرسي، وسرتُ إلى منزلي، فإذا بامرأةٍ من أحسن الناس تُنادي: يا أبا قدامة، فقلتُ: هذه مكيدةٌ من الشيطان، فمضيتُ، ولم أجب، فقالتُ: ما هكذا كان الصَّالحون، فوقفتُ فجاءتُ، ودفعتُ إليَّ رقعةً وخرقةً مشدودةً، وانصرفتُ باكية، فنظرتُ في الرقعة، فإذا فيها مكتوبٌ: أنتَ دعوتنا على الجهادِ، ورغبتنا في الثواب، ولا قدرةَ لي على ذلك، فقطعتُ أحسنَ ما فيَّ، وهما ضفيريّتا، وأنفذتهما إليك، لتجعلهما قيدَ فرسك، لعلَّ الله يرى شعري قيدَ فرسك في سبيله، فيغفر لي.

فلما كان صبيحة القتالِ، أخرجتُ الضفيريّتين فقيدتُ بهما فرسي، وباكرنا القتالَ، فإذا بغلام بين يدي الصَّفوف يقاتل حاسراً، فتقدّمتُ إليه، فقلتُ: يا فتى، أنتَ غلامٌ غرٌّ راجلٌ، ولا آمنُ أن تجول الخيل، فتطأك بأرجلها، فارجعْ عن موضعك هذا. قال: أتأمرني بالرجوع، وقد قالَ الله عزَّ وجلَّ: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ (١٥) وَمَنْ يُوَلَّهُمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرُهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٦) } سورة الأنفال .

فحملته على هجين كان معي، فقال: يا أبا قدامة، اقرضني ثلاثة أسهم، فقلتُ: هذا وقتُ قرضٍ؟. فما زال يلحُّ عليَّ حتى قلتُ: بشرطٍ، إنَّ منَّ الله عليك بالشَّهادة، أكونُ في شفاعتك، قال: نعم، فأعطيتُهُ ثلاثة أسهم، فوضع سهمًا في قوسه، وقال: السَّلام عليك، فأنا قُدَّامه، ورمى به فقتل رُوميًا، ثم رمى بالآخر، وقال: السَّلام عليك، فأنا قُدَّامه، فقتل رُوميًا، ثم رمى بالآخر، وقال: السَّلام عليك، سلامٌ مودِّع، فجاءه سهمٌ، فوقع بين عينيه، فوقع رأسه على قربوسِ سرجه، فتقدّمتُ إليه، وقلتُ: لا تنسها، فقال: نعم، ولكنَّ لي إليك حاجةٌ، إذا دخلت المدينة، فائتِ والدتي، وسلم خرجي إليها، وأخبرها، فهي التي أعطتك شَعْرَهَا، لتقيِّدَ به فرسك، وسلم عليها، فهي العام الأول أصيبتُ بوالدي، وفي هذا العام بي، ثم مات، فحفرتُ له ودفنتُهُ،

فلما هممتُ بالانصراف عن قبره، قذفته الأرض، فألقته على ظهرها، فقال أصحابه: إنه غلامٌ غرٌّ، ولعله خرجَ بغيرِ إذنِ أمِّه، فقلت: إنَّ الأرضَ لتقبلُ من هو شرُّ من هذا، فقمْتُ فصليت ركعتين، ودعوتُ الله عزَّ وجلَّ، فسمعت صوتًا يقول: يا أبا قدامة، أتركُ وليَّ الله، فما رُحْتُ حتى نزلت عليه طيورٌ فأكلته.

فلم أتيتُ المدينةَ ذهبتُ إلى دار والدته، فلما قرعتُ الباب، خرجتُ أخته إليَّ، فلما رأته عادت، وقالت: يا أمَّاهُ، هذا أبو قدامة، وليس معه أخي، وقد أصبنا العام الأول بأبي، وفي هذا العام بأخي.

فخرجتُ أمُّه فقالت: أمعزياً أم مهنئاً؟ فقلتُ: ما معنى هذا؟ فقالت: إن كان قد مات فعزني، وإن كان استشهد فهنئني.

فقلتُ: لا، بل مات شهيداً، فقالت: له علامةٌ، فهل رأيتها؟ قلتُ: نعم، لم تقبله الأرضُ، ونزلت الطيور، فأكلت لحمه، وتركت عظامه، فدفنتها، فقالت: الحمد لله، فسلمتُ إليها الخرجَ ففتحته، فأخرجتُ منه مسحاً وغللاً من حديد، وقالت: إنه كان إذا جنَّه الليل، لبسَ هذا المسحَ، وغلَّ نفسه بهذا الغلِّ، وناجى مولاهُ، وقال في مناجاته: إلهي، أحشُرني من حواصل الطير، فاستجاب الله سبحانه دعاءه. رحمننا الله وإياه. (١)

### البشارة الخامسة: بيت الحمد

وهناك خصوصية لمن صبر على فقد الولد بأن يكون له بيت خاص باسمه في الجنة يكون شامة وعلامة عليه وهو بيت الحمد، فعن أبي موسى رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إذا مات ولدُ العبدِ، قال اللهُ تَعَالَى لِلْمَلَائِكَةِ: قَبِضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي؟ فيقولون: نَعَمْ. فيقول: قَبِضْتُمْ ثَمْرَةَ فُرَادِهِ؟ فيقولون: نَعَمْ. فيقول: مَاذَا قَالَ عَبْدِي؟ فيقولون: حَمْدَكَ وَاسْتَرْجَع. فيقول اللهُ تَعَالَى: ابْنُوا لِعَبْدِي

١ - اللبابُ في تسليَةِ المصاب ص ١٤.

بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ، وَسَمُّهُ بَيْتَ الْحَمْدِ. (١)

الخليفة الراشد عمر بن عبدالعزيز رحمه الله، ضرب نموذجاً من النماذج التي تحتذى بالصبر، وقوة التحمل، وعدم الجزع، بل السرور عندما مات ابنه عبدالملك، فقد روى سفيان الثوري، قال: قال عمر بن عبدالعزيز، لابنه عبدالملك وهو مريض: كيف تجدك؟ قال في الموت، قال له: لأن تكون في ميزاني، أحب إليّ من أن أكون في ميزانك، فقال له: يا أبت لان يكون ما تحبّ أحب إليّ من أن يكون ما أحبّ، قيل فلما مات ابنه عبدالملك، قال عمر: يا بني لقد كنت في الدنيا كما قال الله جل ثناؤه المال والبنون زينة الحياة الدنيا، ولقد كنت أفضل زيتتها، وإني لأرجو أن تكون اليوم من الباقيات الصالحات، التي هي خير من الدنيا، وخير ثواباً، وخير أملاً. والله ما سرني أني دعوتك من جانب، فأجبتني، ولما دفنه قام على قبره، فقال: ما زلت مسروراً بك، منذ بشرت بك، وما كنت قطّ أسرّ إليّ منك اليوم، ثم قال: اللهم اغفر لعبد الملك بن عمر، ولمن استغفر له. (٢)

الدعاء.....

١ - أخرجه أحمد (٤/٤١٥، رقم ١٩٧٤٠)، والترمذي (٣/٣٤١، رقم ١٠٢١)، الألباني في السلسلة الصحيحة ٣/٣٩٨.

٢ - (مجموع رسائل الحافظ بن رجب (٢/٤٩٦)).

## (١٧) شرح الصدر بأهوال القبر

### الخطبة الأولى

الحمد لله الجبار المعبود، الذي أباد بسطوته قوم نوح، وأهلك عاد وقوم هود،  
وأعاد من بعد عاد دائرة السوء على ثمود، وسلط ضعيف البعوض على النمرود،  
وأغرق فرعون وقومه لما تلاطمت عليهم الأمواج الصدود، وأعمى بصائر  
الجاحدين ففي أعناقهم أغلال وفي أرجلهم قيود " فالذين  
كفرو قطع لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤوسهم الحميم يصهر به ما في  
بطونهم والجلود ".

واشهد أن لا اله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو علي كل  
شيء قدير

عز فلا تراها الظنون      وجل فلا يعتريه المنون  
تفرد في ملكه بالبقاء      وكل الورى بالفناء ذاهبون  
ويفعل في خلقه ما يشاء      بغير اعتراض وهم يسألون  
وأشهد أن سيدنا وحبينا وشفيعنا محمد عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه  
وحببيه صاحب اللواء المعقود، والحوض المورود

إذا ما شئت في الدارين تسعد      فكثرت في الصلاة على محمد  
وان شئت قبول لها يقينا      فختمت بالصلاة على محمد  
وقل يارب لا تقطع رجائي      وكن لي بالصلاة على محمد  
أما بعد:

أخي المسلم: هذه خطبة سميتها {شرح الصدر بأهوال القبر}

لعلك يا من ضاق صدره ويا من غترته دنياه أن ينشرح صدرك بطاعة ربك  
وموالاك

شرح للصدور التي ضاقت بسبب التكالب على الدنيا

شرح للصدور التي أصابتها الهموم والغموم

شرح للصدور المظلومة التي لم تجد لها في الدنيا نصرا ومعينا

شرح للصدر التي تعاني الفقر والفاقة

ليعلم الجميع أن هناك دارا برزخية في حساب وثواب فيها جزاء وعقاب فهيا

أيها الآباء أيها الإخوة الأعزاء لنعيش مع شرح الصدر بأحوال القبر

فارقت موضع مرقد ليلاً ففارقني السكون

القبر أول ليلة بالله قل لي ما يكون

إني أثبتك من حديثي والحديث له شجون

القبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار

أخي الكريم: ثبت عذاب القبر بالكتاب والسنة والإجماع، ولا ينكر ذلك إلا

مكابرة ومعاند قال تعالى: سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ

[التوبة: ١٠١].

وقال سبحانه: {وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ (٤٥) النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا

غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ { [غافر: ٤٥، ٤٦].

عن البراء بن عازب عن النبي أنه قال: يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ قال:

{نزلت في عذاب القبر. يقال له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، ونبي محمد، فذلك قوله

عز وجل: يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ { (١)

١ - أخرجه أحمد (١٩٠/٥، رقم ٢١٧٠١)، وعبد بن حميد (ص ١١١، رقم ٢٥٤)، ومسلم

(٤/٢١٩٩، رقم ٢٨٦٧).

وها هو الصادق المصدوق ﷺ - يبين لنا أن هناك عذاب في القبر ولولا خشيته  
صلى الله عليه وسلم - أن لا يتدافن الناس لأسمعنا ذلك العذاب  
عن أنس رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: {لولا أن تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم  
عذاب القبر} (١)

عن هانئ مولى عثمان قال: عثمان إذا وقف على قبر بكى حتى يبيل لحيته، فقليل  
له: تذكر الجنة والنار فلا تبكي، وتبكي من هذا؟ فقال: إن الرسول قال: {القبر أول  
منازل الآخرة، فإن ينج منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه}، ثم  
قال: قال رسول الله {ما رأيت منظرًا إلا والقبر أظفَع منه} (٢)

تجهز إلى الأجداث ويحك والرمس جهازاً من التقوى لطول ما حبس  
فإنك ما تدري إذا كنت مصباحاً بأحسن ما ترجو لعلك لا تمسي  
شيع الحسن جنازة فجلس على شفير القبر فقال: (إن أمراً هذا آخره لحقيق أن  
يزهد في أوله، وإن أمراً هذا أوله لحقيق أن يخاف آخره).

ووعظ عمر بن عبد العزيز يوماً أصحابه فكان من كلامه أنه قال: (إذا مررت  
بهم فنادهم إن كنت منادياً، وادعهم إن كنت داعياً، ومر بعسكرهم، وانظر إلى  
تقارب منازلهم. سل غنيهم ما بقي من غناه؟ واسألهم عن الألسن التي كانوا بها  
يتكلمون، وعن الأعين التي كانوا للذات بها ينظرون..... واسألهم عن الجلود  
الرقيقة، والوجوه الحسنة، والأجساد الناعمة، ما صنع بها الديدان تحت  
الأكفان؟!.. أكلت الألسن، وغفرت الوجوه، ومحيت المحاسن، وكسرت الفقار،  
وبانت الأعضاء، ومزقت الأشلاء فأين حجابهم وقباهم؟ وأين خدمهم وعبيدهم؟

١ - المستدرك على الصحيحين للحاكم (١/ ٥٢٦)

٢ - مسند أحمد ط الرسالة (١/ ٥٠٣) وأخرجه ابن ماجه (٤٢٦٧)، والترمذي (٢٣٠٨)

وجمعهم وكنوزهم؟ أليسوا في منازل الخلوات؟ أليس الليل والنهار عليهم سواء؟  
أليسوا في مدلهمة ظلماء؟ قد حيل بينهم وبين العمل، وفارقوا الأحبة والمال  
والأهل). (١)

فيا ساكن القبر غداً! ما الذي غرك من الدنيا؟ أين دارك الفيحاء ونهرك المطرد؟  
وأين ثمارك اليانعة؟ وأين رفاق ثيابك؟ وأين طيبك وبخورك؟ وأين كسوتك  
لصيفك وشتائك؟

ليت شعري بأي خديك بدأ البلى.... يا مجاور الهلكات صرت في محلة الموت.

ليت شعري ما الذي يلقاني به ملك الموت عند خروجي من الدنيا.....وما  
يأتيني به من رسالة ربي. ... ثم انصرف رحمة الله فما عاش بعد ذلك إلا جمعة.

إخوتي: تفكروا في الذين رحلوا. أين نزلوا؟ وتذكروا، القوم نوقشوا وسئلوا.  
واعلموا أنكم كما تعذلون عدلوا. ولقد ودوا بعد الفوات لو قبلوا. ولكن هيهات  
هيهات وقد قبروا.

عن وهب بن الورد قال: بلغنا أن رجلاً فقيهاً دخل على عمر بن عبد العزيز  
فقال: سبحان الله كأنه تعجب من أمره الذي هو عليه وقال له: تغيرت بعدنا! فقال  
له: وتبينت ذلك فعلاً؟ فقال له: الأمر أعظم من ذلك فقال له: يا فلان فكيف لو  
رأيتني بعد ثلاث وقد أدخلت قبوري وقد خرجت الحدقتان فسالت على الخدين  
وتقلصت الشفتان عن الأسنان وانفتح الفم ونتاج البطن فعلا الصدر وخرج الصديد  
من الدبر (٢)

ما للمقابر لا تجيب إذا دعاهن الكئيب

١ - أهوال القبور (ص: ٢٣٨)

٢ - شعب الإيمان - البيهقي (٦ / ٤١)

حفر مسقفة عليهن الجنادل والكثيب  
فيهن ولدان وأطفال وشبان وشيب  
كم من حبيب لم تكن نفسي بفرقة تطيب  
غادرته في بعضهن مجندلاً وهو الحبيب  
وسلوت عنه وإنما عهدي برؤيته قريب

أيها الإخوة الأحباب جئنا إلى هنا لنوسد أحد الأحباب التراب ليقاسي الأهوال  
بين أحضان التراب فالقبر ظاهره الطوب والتراب وباطنه الثواب أو العقاب فما هي  
مراسم الاستقبال داخل ذلك البيت المظلم؟

#### الهول الأول: تكليم القبر: فالقبر يتكلم وينادي ويخبر بحاله

فالقبر سوف يكلمك وسوف تسمعه فماذا سيقول لك وعن أي شيء سيخبرك؟  
أخرج الترمذي وحسنه وقال صاحب التحرير المرسخ في أحوال البرزخ،  
حديث صحيح - عن أبي سعيد - قال: «دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -  
يَوْمًا مَصَلَاةً، فَرَأَى أَنَسًا كَأَنَّهُمْ يُكْثِرُونَ، فَقَالَ: أَمَا إِنَّكُمْ لَوْ أَكْثَرْتُمْ ذِكْرَ هَادِمِ  
اللَّذَاتِ لَشَغَلَكُمْ عَمَّا أَرَى، أَكْثَرُوا ذِكْرَ هَادِمِ اللَّذَاتِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَأْتِ عَلَى الْقَبْرِ يَوْمَ إِلَّا  
تَكَلَّمَ فِيهِ، يَقُولُ: أَنَا بَيْتُ الْعُرْبَةِ، أَنَا بَيْتُ الْوَحْدَةِ، أَنَا بَيْتُ التَّرَابِ، أَنَا بَيْتُ الدُّودِ  
وَالْهُوَامِّ، فَإِذَا دُفِنَ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ قَالَ لَهُ الْقَبْرُ: مَرْحَبًا وَأَهْلًا، أَمَا إِنْ كُنْتَ لِمَنْ أَحَبَّ مِنْ  
يَمْشِي عَلَى ظَهْرِي إِلَيَّ، فَإِذَا وَلَيْتَكَ الْيَوْمَ، وَصِرْتَ إِلَيَّ، فَسْتَرِي صَنِيعِي بِكَ، قَالَ:  
فِيَسَّعَ لَهُ مَدُّ بَصَرِهِ، وَيُفْتَحُ لَهُ بَابُ إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِذَا دُفِنَ الْعَبْدَ الْفَاجِرَ - أَوِ الْكَافِرَ -  
يَقُولُ لَهُ الْقَبْرُ: لَا مَرْحَبًا وَلَا أَهْلًا، أَمَا إِنْ كُنْتَ لِمَنْ أَبْغَضَ مِنْ يَمْشِي عَلَى ظَهْرِي إِلَيَّ،  
فَإِذَا وَلَيْتَكَ الْيَوْمَ، وَصِرْتَ إِلَيَّ، فَسْتَرِي صَنِيعِي بِكَ، فَالْتَأَمَ عَلَيْهِ حَتَّى تَلْتَقِيَ وَتُخْتَلِفَ  
أَصْلَاعُهُ، قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - بِأَصَابِعِ يَدَيْهِ فَشَبَّكَهَا - ثُمَّ يَقِيضُ لَهُ تَسْعُونَ تَيْنِيًّا

- أو قال: تسعة وتسعون تئناً - ولو أن واحداً منها نفخ في الأرض ما أنبتت شيئاً ما بقيت الدنيا، فتنهشهُ وتخدشه حتى يُبعث إلى الحساب، قال: وقال رسول الله ﷺ: إنَّما القبرُ روضةٌ من رياضِ الجنة، أو حفرةٌ من حفرِ النار» (١) .

أخرجه الترمذي، إلا أنه قال: «سبعون» - وعن عبد الله بن عبيد قال: بلغني أن النبي ﷺ قال: ((إن الميت يقعد وهو يسمع خطو مشيعيه فلا يكلمه شيء أول من حفرته فيقول: ويحك يا ابن آدم أليس قد حذرتني وحذرت ضيقي وضنكي وتنتي وهولي ودودي هذا ما أعددت لك فما أعددت لي)) (٢)

- عبيد الله بن عمير قال ليس من ميت يموت إلا نادته حفرته التي يدفن فيها أنا بيت الظلمة والوحدة والإنفراد فإن كنت في حياتك لله مطيعاً كنت عليك اليوم رحمة وغن كنت لربك في حياتك عاصياً فانا عليك نقمة أنا البيت الذي من وضع فيه مطيعاً خرج منه مسروراً ومن دخله عاصياً مشوراً" (٣)

فيا إخوتاه! ألا تبكون من الموت وسكرته؟

يا إخوتاه! ألا تبكون من القبر وضمته؟

يا إخوتاه! ألا تبكون خوفاً من النار في القيامة؟

يا إخوتاه! ألا تبكون خوفاً من العطش يوم الحسرة والندامة؟

يقال: إن الأرض تنادي كل يوم فتقول:

يا ابن آدم تمشي على ظهري ومصيرك في بطني !!

١ - جامع الأصول في أحاديث الرسول (١١ / ١٧٠) أخرجه الترمذي (٢٤٦٠)

٢- رواه الترمذي رقم (٢٤٦٢) في صفة القيامة، باب رقم (٢٧)، وإسناده ضعيف، ولبعض فقراته شواهد. فالحديث حسن موقوفاً عن عبد الله بن عبيد وضعيف مرفوعاً إلى رسول الله

٣ - أهوال القبور وأحوال أهلها إلى النشور (ص: ٢٣)

يا ابن آدم تأكل الألوان على ظهري، وتأكلك الديدان في بطني!

يا ابن آدم تضحك على ظهري، فسوف تبكي في بطني!

يا ابن آدم تفرح على ظهري، فسوف تحزن في بطني!

يا ابن آدم تذب على ظهري فسوف تعذب في بطني!

❖ أما الهول الثاني: من أهوال القبور فهو ضمة القبر

وهذا أمر لن ينجو منه أحد فالمؤمن يضمه القبر والعاصي يضمه القبر

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: إِنْ لِلْقَبْرِ ضَغْطَةٌ وَلَوْ نَجَا

أَوْ سَلِمَ أَحَدٌ مِنْهَا لَنَجَا سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ<sup>(١)</sup>

إذا وضع في لقبر وكلمه القبر وانتبه وفتح وضمة القبر لا ينجو منها أحد حتى الصبيان حتى الأطفال ضمة القبر لكل أحد صالح وطالح عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا دُفِنَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَنَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبَّحَ رَسُولُ اللَّهِ، فَسَبَّحَ النَّاسُ مَعَهُ طَوِيلًا، ثُمَّ كَبَّرَ، فَكَبَّرَ النَّاسُ مَعَهُ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ مِمَّ سَبَّحْتَ؟ قَالَ: «لَقَدْ تَضَايَقَ عَلَيَّ هَذَا الرَّجُلُ الصَّالِحِ قَبْرُهُ حَتَّى فَرَجَهُ اللَّهُ عَنْهُ» فَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ هَذَا مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ الَّذِي اسْتَعَاذَ مِنْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَيْسَ هَذَا مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، لِأَنَّ سَعْدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ أَفْضَلِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَقَدْ اسْتَبَشَّرَتِ الْمَلَائِكَةُ بِرُوحِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ، وَاهْتَزَّتْ لَهُ الْعَرْشُ»<sup>(٢)</sup>

حتى الأطفال الصغار أخبرنا النبي بأن القبر يضمهم:

١ - أخرجه أحمد (٩٨/٦)، رقم (٢٤٧٠٧) قال الشيخ الألباني: (صحيح) انظر حديث رقم: ٢١٨٠ في

صحيح الجامع

٢ - مسند أحمد ط الرسالة (٢٣/ ٢٧٨)

عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى عَلَى صَبِيٍّ أَوْ صَبِيَّةٍ فَقَالَ: «لَوْ كَانَ نَجًّا أَحَدٌ مِنْ ضَمَّةِ الْقَبْرِ لَنَجَّا هَذَا الصَّبِيُّ» (١)

ولكن هناك فرق بين ضمة القبر للمؤمن وضمته للفاجر والعاصي:

اجتهد العلماء في معرفة الحكمة، فقال البعض بسبب الذنوب، ولذلك ينجو منها الأنبياء لأنهم معصومون.

وقيل: لأن الأرض تشتاق إلى أبنائها الذي خلقوا منها ثم عادوا إليها فتضمهم، فالؤمن الطائع تضمه بشفقة ورأفة، والكافر الفاجر تضمه بشدة وعنف.

عن محمد بن عبد الله التميمي قال سمعت أبا بكر التميمي شيخا من قريش يقول إن ضمة القبر أنها أمهم ومنها خلقوا فغابوا عنها الغيبة الطويلة فلما رد إليها أولادها ضمهم ضمة الوالدة التي غاب فغابوا عنها الغيبة الطويلة فلما رد إليها أولادها ضمتهم ضمة الوالدة التي غاب عنها ولدها ثم قدم عليها فمن كان الله مطيعا ضمته برأفة ورفق ومن كان لله عاصيا ضمته بعنف سخطا منها عليها لربها. (٢)

\* وكذلك من لم يدفن يناله نصيبه من ضمة القبر.

قال السفاريني: من لم يدفن من مصلوب ونحوه، يناله نصيبه من فتنة السؤال وضغطة القبر. قال الإمام المحقق في كتاب الروح: مما ينبغي أن يعلم أن عذاب القبر هو عذاب البرزخ، فكل من مات وهو مستحق للعذاب يناله نصيبه منه قبر أم لم يقبر، فلو أكلته السباع، أو حرق حتى صار رمادا، أو نسف في الهواء، أو غرق في البحر وصل إلى روحه وبدنه من العذاب ما يصل من المقبور. اهـ. (٣)

١ - قال الشيخ الألباني: (صحيح) انظر حديث رقم: ٥٣٠٧ في صحيح الجامع

٢ - أهوال القبور (ص: ٩٤)

٣ - لوامع الأنوار البهية (٢ / ٩)

أخرج ابن أبي الدنيا عن الفيض بن إسحاق قال: قال لي الفضيل بن عياض: "أرأيت لو كانت لك الدنيا، فقيل لك: تدعها ويوسع لك في قبرك، ما كنت تفعل؟" ثم قال الفضيل: "أليس تموت وتخرج من أهلك ومالك، وتصير إلى القبر وضيقه وحدك؟! ثم تلا: ﴿فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾ [الطارق: ١٠]، ثم قال: إن كنت لا تفعل هذا، فما في الأرض دابة أحق منك". (١)

### الهول الثالث: فتنة الملكين:

يا له من موقف عَصِيب! تأمل أخي الحبيب وأنت وحدك في قبرك قد أصابك ما أصابك من هول المطلع، ومشاهد لم تعهدها من قبل، وأنت لم تُفَقِّ منها، وإذ بملكين أسودين أزرقين يدخلان عليك!  
يا الله!! اللهم ثبتنا يا أرحم الراحمين.

يصف النبي - صلى الله عليه وسلم - لعمَرَ هذين الملكين، ففي الحديث الذي أخرجه البيهقي وابن أبي الدنيا مرسلًا ووصله ابن بطة في "الإبانة" من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لعمربن الخطاب: ((يا عمر، كيف بك إذا أنت متَّ، فانطلق بك قومك، ففاسوا لك ثلاثة أذرع في ذراع وشبر، ثم رجعوا إليك فغسلوك وكفنوك وحنطوك [حنطوك: الحنوط: طيب يُخلط للميت خاصة؛]، ثم احتملوك حتى يضعوك فيه، ثم يهيلوا التراب ويدفنوك، فإذا انصرفوا عنك أنك فتانًا القبر مُنكر ونكير، أصواتهما كالرعد القاصف، وأبصارهما كالبرق الخاطف، يجران أشعارهما، ويبحثان القبر بأنيابهما، فتتلاك [فتلتلاك: حرَّكك بشدة وعنف. [وتثرَّرك، كيف بك عند ذلك يا عمر؟!))، (٢)

١ أهوال القبور (ص: ٢١١)

٢ - إثبات عذاب القبر للبيهقي (ص: ٨٢) - الشريعة للأجري (٣/ ١٢٩١) شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور (ص: ١٢٥)

فقال عمر: ويكون معي عقلي منك عقلي الآن؟ قال: ((نعم))، قال: إذاً أكفيكهما".

وفي رواية: "قال عمر: أيرد إلينا عقولنا؟

قال: ((نعم، كهيتكم اليوم))، فقال عمر: بفيه الحجر (١) [بفيه الحجر: أي: بضم الملك الحجر، قالها عمر بن الخطاب -رضي الله عنه، حسن ظنه بربه على ما سيكون عنده من حسن جواب).]

#### الهول الرابع: دخول الجليس ورؤية مقعده من الجنة والنار

أما الهول الرابع وهو رؤية الجليس الذي سيلازمك في قبرك إن خيراً فخير جليس وإن شراً فشر جليس وكذلك رؤية ما أعد الله تعالى له من ثواب أو عذاب العذاب كما في حديث عن البراء بن عازب قال: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جِنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ، وَلَمَّا يَلْحَدُ لَهُ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ كَأَنَّهُ عَلَى رُءُوسِنَا الطَّيْرِ، فِي يَدِهِ عُوْدٌ يَنْكُتُ بِهِ فِي الْأَرْضِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: «اسْتَعِيدُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ» مَرَّتَيْنِ، أَوْ ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ: "إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي إِقْبَالٍ مِنَ الْأَخْرَةِ، وَانْقَطَعَ مِنَ الدُّنْيَا، نَزَلَ إِلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ بِيضِ الْوُجُوهِ، كَأَنَّ وَجُوهُهُمْ الشَّمْسُ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ كَفَنِ الْجَنَّةِ، وَحَنُوطٌ (٢) مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ، فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتْهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ الطَّيِّبَةُ أَخْرَجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ، فَتَخْرُجُ تَسِيلٌ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السَّقَاءِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدْعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُوهَا، فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ، وَفِي ذَلِكَ الْحَنُوطِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَفْحَةٍ (٣) مِسْكِ وَجِدَّتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، فَيَضَعُدُونَ

١ - مسند أحمد ط الرسالة (١١ / ١٧٦) وأخرجه ابن حبان (٣١١٥)

٢ - الحنوط: ما يخلط من الطيب لأكفان الموتى وأجسامهم خاصة

٣ - النفحة: هبوب الريح طيبة كانت أو خبيثة

بِهَا، وَلَا يَمْرُونُ بِهَا عَلَى مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا: مَا هَذِهِ الرُّوحُ الطَّيِّبَةُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يَنْتَهُوا بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ، فَيَفْتَحُ لَهُ، فَيَشِيعُهُ<sup>(١)</sup> مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا، حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَيَقُولُ اللَّهُ: اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عَلِيِّينَ<sup>(٢)</sup>، وَأَعِيدُوهُ فِي الْأَرْضِ، فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ، وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ، وَمِنْهَا أَخْرَجْتُهُمْ تَارَةً أُخْرَى، قَالَ: فَيَعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيَجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِي الْإِسْلَامُ، فَيَقُولَانِ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللَّهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا عَمَلُكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ، فَأَمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ، فَيَنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ صَدَقَ عَبْدِي أَفْرَشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَاللِّسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ رُوحِهَا وَطِيْبِهَا، فَيَفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَدَ بَصَرِهِ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ طَيِّبُ الرَّيْحِ، فَيَقُولُ لَهُ: أَبَشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ، وَهَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهَكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالْحَيْرِ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ، فَيَقُولُ: رَبِّي أَقِمِ السَّاعَةَ، رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ ثَلَاثًا، حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي، قَالَ: وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا، وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ، مَعَهُمُ الْمُسُوحُ<sup>(٣)</sup> فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتَهَا النَّفْسُ الْحَيِّثَةُ، أَخْرُجِي إِلَى سَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَغَضَبٍ، فَتَفَرِّقِي فِي أَعْضَائِهِ كُلِّهَا، فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يُنْتَزِعُ السَّفُودُ<sup>(٤)</sup> مِنَ الصُّوفِ الْمُبْلُولِ، فَتَنْتَقِعُ مَعَهَا الْعُرُوقَ وَالْعَصَبَ، فَيَأْخُذُهَا فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدْعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُوهَا مِنْ يَدِهِ، فَيَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ الْمُسُوحِ "، قَالَ: "

١ - يشيعه: يصحبه ويوصله

٢ - عَلِيُّونَ: اسم للسماة السابعة، وقيل: هو اسمٌ لديوان الملائكة الحفظة، تُرْفَعُ إِلَيْهِ أَعْمَالُ الصَّالِحِينَ مِنَ الْعِبَادِ، وَقِيلَ: أَرَادَ أَعْلَى الْأَمْكِنَةِ وَأَشْرَفَ الْمَرَاتِبِ مِنَ اللَّهِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ.

٣ - ما يلبس من نسيج الشعر على البدن تقشفاً وقهراً للبدن.

٤ - السفود: عود من حديد ينظم فيه اللحم ليشوى

وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنَّ رِيحَ جِيفَةٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، فَيَصْعَدُونَ بِهَا فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا: مَا هَذِهِ الرُّوحُ الْحَيِيَّةُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانُ ابْنُ فُلَانٍ بِأَقْبَحِ أَسْمَاءِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمِّي بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يَنْتَهُوا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهَا فَلَا يُفْتَحُ لَهَا"، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: { لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ } [الأعراف: ٤٠]، قَالَ: " ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سَجِّينٍ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى، فَيَطْرَحُ رُوحَهُ طَرَحًا"، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَّفَهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهَوَّى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ } [الحج: ٣١]، قَالَ: فَيَعَادُ رُوحَهُ فِي جَسَدِهِ، فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيَجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَا هَا لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَا هَا لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بَعَثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَا هَا لَا أَدْرِي، فَيَنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ كَذَبَ عَبْدِي فَأَفْرَشُوهُ مِنَ النَّارِ، وَالْأَسْوَهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ، وَيَدْخُلُ عَلَيْهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا، وَيَضِيقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ، حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ"، قَالَ: " وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ فَيَبِحُ الْوَجْهَ، فَيَبِحُ الثِّيَابَ، مُتَبِّحُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبَشِرْ بِالَّذِي يَسُوءُكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهَكَ الْوَجْهَ يُجِيءُ بِالشَّرِّ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ السَّيِّئِ، فَيَقُولُ: رَبِّي لَا تَقِمُ السَّاعَةَ، رَبِّ لَا تَقِمُ السَّاعَةَ" (١)

أقول هذا القول، وأستغفر الله العظيم الكريم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب؛ فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

### الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله،

١ - أخرجه الطيالسي (ص ١٠٢، رقم ٧٥٣)، وأحمد (٤/ ٢٨٧، رقم ١٨٥٥٧).

صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً.

**أما بعد:**

أتيت القبور فساءلتها أين المعظم والمحتقر؟!  
وأين المذل بسُلطانَه وأين القوي على ما قدر؟!  
تفانوا جميعاً فما مـخبر وماتوا جميعاً ومات الخير!!  
فيا سائلي عن أناس مضوا أما لك فيما مضى معتبر؟!  
تروح وتغدو بنات الثرى فتمحو محاسن تلك الصور!  
أخي المسلم تأمل في أحوال العارفين

كان يزيد الرقاشي يقول لنفسه: "ويحك يا يزيد! من ذا يصلي عنك بعد الموت؟

من ذا يصوم عنك بعد الموت؟ من ذا يترضى عنك بعد الموت؟

ثم يقول: أيها الناس! ألا تبكون وتنوحون على أنفسكم باقي حياتكم. من الموت مواعده. والقبر بيته. والثرى فراشه. والدود أنيسه. وهو مع هذا ينتظر الفرع الأكبر. كيف يكون حاله؟!، ثم بكى رحمه الله. (١)

عظة القبور: قال عبدالحق الأشبيلي: (فينبغي لمن دخل المقابر أن يتخيل أنه ميت، وأنه قد لحق بهم، ودخل معسكرهم، وأنه محتاج إلى ما هم إليه محتاجون، وراغب فيما فيه يرغبون، فليات إليهم ما يجب أن يؤتى إليه، وليتحفهم بما يجب أن يتحف به، وليتفكر في تغير ألوأئهم، وتقطع أبدانهم، ويتفكر في أحوالهم، وكيف صاروا بعد الأئس بهم والتسلي بحدِيثهم، إلى النفار من رؤيتهم، والوحشة من مشاهدتهم وليتفكر أيضاً في انشقاق الأرض وبعثرة القبور، وخروج الموتى وقيامهم

---

-المجالسة وجواهر العلم (٣/ ١٠٧) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٣/ ٥١) ١

مرة واحدة حفاة عراة غرلاً، مهطعين إلى الداعي، مسرعين إلى المنادي). (١)  
عن محمد بن صبيح قال: (بلغنا أن الرجل إذا وضع في قبره، فعذب أو أصابه ما  
يكره، ناداه جيرانه من الموتى: يا أيها المتخلف في الدنيا فبعد إخوانه! أما كان لذلك  
فينا معتبر؟ أما كان لك في تقدمنا إياك فكرة؟ أما رأيت انقطاع أعمالنا وأنت في  
المهل؟ فهلا استدركت ما فات إخوانك!!). (٢)

الدعاء .....

---

١ - العاقبة في ذكر الموت (ص: ٢١٨)

٢ - أهوال القبور (ص: ٤٢)

## (١٨) الناجون من عذاب القبر

### الخطبة الأولى

الحمد لله الحي الباقي... الذي أضاء نوره الآفاق... وورزق المؤمنين حسن الأخلاق... وتجلت رحمته بهم إذا بلغت أرواحهم التراق... نحمده تبارك وتعالى ونستعينه على الصعاب والمشاق... ونعوذ بنور وجهه الكريم من ظلمات الشرك والشقاق... ونسأله السلامة من النفاق وسوء الأخلاق...

وأشهد أن لا إله إلا الله القوي الرزاق... الحكم العدل يوم التلاق... خلق الخلق فهم في ملكه أسرى مشدودو الوثاق... أنذر الكافرين بصيحة واحدة ما لها من فواق... وبشر الطائعين بسلام الملائكة عليهم إذا التفت الساق بالساق... أرسل الرسل وأنزل الكتب ليعلم الناس أن إليه يومئذ المساق...

وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله المتمم لمكارم الأخلاق... لم يكن لعانا ولا سبابا ولا صخابا في الأسواق...

خير من صلى وصام ولبي وركب البراق... وأول الساجدين تحت العرش يوم يكشف عن ساق... جاهد في سبيل الله منصورا معصوما من الإخفاق... وترك فينا ما إن تمسكنا به علمنا أن ما عندنا ينفد وما عند الله باق...

اللهم صل وسلم وبارك عليه ما تعقب العشى الإشراق... وما دام القمر منتقلا في منازل من التمام إلى المحاق...

### أما بعد:

أيها الإخوة الأحباب أحباب رسول الله صلى الله عليه وسلم - حديثنا في هذا اللقاء و نحن نودع أبا من الآباء إلى الدار البرزخية نسأل الله تعالى لنا وله النجاة من عذاب القبر و أن يجعل قبور المسلمين روضة من رياض الجنان - عن الناجين من

عذاب القبر، تُرى أخي الحبيب من هم الذين يمتن الله تعالى عليهم و ينجيهم من عذاب القبر، وما هي الأسباب التي إذا أخذ بها العبد نجاه الله من شدائد و أهوال القبور؟

أعيروني القلوب والأسماع:

### الإيمان بعذاب القبر

الإيمان بعذاب القبر جزء من الإيمان باليوم الآخر لأن القبر أول منازل الآخرة ولكننا عباد الله نرى ونسمع في الفترة الأخيرة على الشاشات والفضائيات من ينكرون عذاب القبر بل وصل الحد بأحد هؤلاء المارقين إلى الاستهزاء به قال ابن القيم: أحاديث عذاب القبر ومساءلة منكر ونكير كثيرة متواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم.

وقال ابن القيم عن حديث البراء: هذا حديث ثابت مشهور مستفيض صححه جماعة من الحفاظ، ولا نعلم أحدا من أئمة الحديث طعن فيه، بل روه في كتبهم وتلقوه بالقبول وجعلوه أصلا من أصول الدين في عذاب القبر ونعيمه، ومساءلة منكر ونكير وقبض الأرواح وصعودها إلى بين يدي الله ثم رجوعها إلى القبر قال المروزي: قال الإمام أحمد: عذاب القبر حق لا ينكره إلا ضال مضل وقال حنبل: قلت لأبي عبد الله في عذاب القبر!

فقال: هذه أحاديث صحاح نؤمن بها ونقر بها كلما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم إسناد جيد أقرنا به إذا لم نقر بما جاء به الرسول و دفعناه و رددناه رددنا على الله أمره قال تعالى: { و ما آتاكم الرسول فخذوه } قلت له: و عذاب القبر حق؟! قال: حق يعذبون في القبور قل: و سمعت أبا عبد الله يقول: نؤمن بعذاب القبر و بمنكر و نكير و أن العبد يسأل في قبره { يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في

## الحياة الدنيا وفي الآخرة { في القبر

وقال أحمد بن القاسم: قلت يا أبا عبد الله: نقر بمنكر ونكير وربما يروى من عذاب القبر؟! فقال: سبحان الله! نعم نقر بذلك ونقول به

قال الله تعالى: {وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ (٤٥) النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ}. [غافر: ٤٥، ٤٦].

قال جميع علماء أهل السنة: ذكر الله في هذه الآية عذاب دار البرزخ وعذاب دار القرار ذكراً صريحاً، وحاق بآل فرعون سوء العذاب، النار يعرضون عليها غدواً وعشياً: أي صباحاً ومساءً هذا في دار البرزخ، ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب: أي يوم القيامة.

فذكر الله عذابين في الآية: عذاباً في الدنيا وعذاباً في الآخرة عذاب دار البرزخ وعذاب دار القرار ففي الحديث الذي رواه أحمد والحاكم وغيره وحسنه الشيخ الألباني " كان عثمان إذا وقف على القبر بكى وإذا ذكر الجنة والنار لا يبكي ف قيل له: يا عثمان تذكر الجنة والنار فلا تبكي فإذا وقفت على القبر تبكي، قال عثمان: لقد سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: ((القبر أول منازل الآخرة فإن نجي منه صاحبه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينجو منه صاحبه فما بعده أشد منه)). (١)

انظر إلى هذا الحديث الصحيح قال المصطفى -صلى الله عليه وسلم- حينما مر على قبرين فقال -صلى الله عليه وسلم-: ((أما إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير)) ثم قال ((أما أحدهما فكان يمشى بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله -أو

١ - مسند أحمد ط الرسالة (١/ ٥٠٣) أخرجه ابن ماجه (٤٢٦٧)، والترمذي (٢٣٠٨) وقال

الألباني]: حسن

لا ينتزه من بوله -)) (١) .

### العنصر الثاني: الناجون من عذاب القبر

أيها الإخوة الأحباب بعد أن تعرفنا على أن عذاب القبر حق وأن منكره ضال  
مضل حاد عن الصراط المستقيم ورد خبر سيد المرسلين .... هيا لتتعرف على  
الناجين من عذاب القبر - اسأل الله أن نكون منهم -

اعلم - زادك الله علما وفهما - : أن الناجين خمسة وهم: المرابط، والشهيد، والذي  
يقرأ سورة الملك كل ليلة، والذي يموت بمرض البطن، والذي يموت يوم أو ليلة  
الجمعة.

ودلت السنة على ذلك

#### ١- الشهيد:

وَالشَّهِيدُ الْمُقْتُولُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالْجَمْعُ شُهَدَاءٌ. قَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ سُمِّيَ الشَّهِيدُ  
شَهِيدًا لِأَنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ شَهِدُوا لَهُ بِالْجَنَّةِ.

وَقِيلَ: لِأَنَّهُ يَكُونُ شَهِيدًا عَلَى النَّاسِ بِأَعْمَالِهِمْ.

وَالشَّهِيدُ فِي اصطِلَاحِ الْفُقَهَاءِ: مَنْ مَاتَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي قِتَالِ الْكُفَّارِ وَبِسَبَبِهِ.

وَيُلْحَقُ بِهِ فِي أُمُورِ الْآخِرَةِ أَنْوَاعٌ يَأْتِي بَيَانُهَا.

عن المقدم بن معدي كرب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (للشهيد  
عند الله ست خصال: يغفر له في أول دفعة من دمه - أو يرى مقعده من الجنة -  
ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار  
الياقوتة منها خير من الدنيا وما فيها، ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين،

---

١ - أخرجه أحمد (٢٢٥/١) (١٩٨٠) وعبد بن حميد (٦٢٠) والبخاري (٦٥/١)

يشفع في سبعين من أقاربه (١)

عن راشد بن سعد - رحمه الله - : عن رجل من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - : أن رجلاً قال: «يا رسول الله، ما بال المؤمنين يُقتنون في قبورهم إلا الشهيد؟ قال: كفى ببارقة السيف على رأسه فتنة». (٢)

٢- المرابط: والمرابطون على ثغور الدولة الإسلامية يحمون الديار والزمارة هؤلاء لا يختتم على أعمالهم بل تجري عليهم الأجور ويجارون من عذاب القبر  
حدث فضالة بن عبيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((كُلُّ مَيِّتٍ يُخْتَمُ عَلَى عَمَلِهِ، إِلَّا الَّذِي مَاتَ مُرَابِطًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ يُنْمَى لَهُ عَمَلُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَيَأْمَنُ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ)) (٣)

. وَعَنْ سَلْمَانَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: ((رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَفِيَامِهِ، وَإِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ وَأُجْرِي عَلَيْهِ رِزْقُهُ، وَأَمِنَ الْفِتَانَ)). (٤)

قال إبراهيم اليماني: قدمت من اليمن، فأتيته سفيان الثوري، فقلت: يا أبا عبد الله! إني جعلت في نفسي أن أنزل "جدة"، فأرابط بها كل سنة، وأعتمر في كل شهر عمرة، وأحج في كل سنة حجة، وأكون قريباً من أهلي.... أهذا أحب إليك أم آتي الشام؟! فقال لي: يا أخا اليمن.... عليك بسواحل الشام! عليك بسواحل الشام؛ فإن هذا البيت يحجه كل عام مائة ألف، وثلاثمائة ألف، وما شاء الله من التضعيف.

١ - أخرجه أحمد (٤/١٣١، رقم ١٧٢٢١)، والترمذي (٤/١٨٧، رقم ١٦٦٣)

٢ - أخرجه النسائي (٤/٩٩، رقم ٢٠٥٣) صحيح الجامع (٤٣٥٨) وانظر الترغيب (٣/٨٢)

٣ - أخرجه: أبو داود (٢٥٠٠)، والترمذي (١٦٢١).

٤ - أخرجه: مسلم ٥٠/٦ (١٩١٣) (١٦٣).

ولك مثل حجهم وعمرتهم ومناسكهم (١)

عن أبي هريرة، أَنَّهُ كَانَ فِي الْمُرَابِطِ فَفَرَعُوا فَخَرَجُوا إِلَى السَّاحِلِ ثُمَّ قِيلَ لَا بَأْسَ،  
فَانْصَرَفَ النَّاسُ وَأَبُو هُرَيْرَةَ وَأَقِفْ فَمَرَّ بِهِ إِنْسَانٌ، فَقَالَ: مَا يُوقِفُكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟  
فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: مَوْقِفُ سَاعَةٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ،  
خَيْرٌ مِنْ قِيَامِ لَيْلَةٍ الْقَدْرِ عِنْدَ الْحَجْرِ الْأَسْوَدِ (٢)

[وعلاقة الرباط بالجهاد هي علاقة الترادف أو التوافق، فكل واحد منهما  
مرادف للآخر، وموافق له، حتى إنه ما يذكر الجهاد حتى يخطر الرباط بالبال، وما  
يذكر الرباط حتى يخطر الجهاد بالبال، إلا أن يراد بالجهاد معناه الخاص، وهو  
القتال؛ فيكون علاقة الرباط بالجهاد علاقة مقدمة بالنتيجة.

والمرابط حارس في سبيل الله: قال ابن عباس: سمعت رسول الله -صلى الله  
عليه وسلم- يقول: "عينان لا تمسهما النار: عينٌ بكت من خشية الله، وعينٌ باتت  
تحرس في سبيل الله." (٣)

أقول هذا القول، وأستغفر الله العظيم الكريم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل  
ذنب؛ فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

### الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين.  
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله،  
صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما.

١ - مختصر تاريخ دمشق (١/ ١٠٧)

٢ - أخرجه ابن حبان (ح/ ٤٦٠٣)، والبيهقي في شعب الإيمان (ح/ ٤٢٨٦)،

٣ - أخرجه الترمذي (٤/ ١٧٥، رقم ١٦٣٩) صحيح الجامع: ٤١١٣ صحيح الترغيب والترهيب:

أما بعد:

٣- من مات بداء البطن: ومن فضل الله تعالى علينا أمة الإسلام أن عدد لنا الأسباب التي بها يجار المرء من عذاب وأهوال القبر فمن ذلك من مات بداء في بطنه فان الله تعالى يعافيه من عذاب القبر

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَسَارٍ، قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا مَعَ سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ، وَخَالِدِ بْنِ عُرْفُطَةَ، وَهُمَا يُرِيدَانِ أَنْ يَتَعَبَا جِنَازَةَ مَبْطُونٍ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: أَلَمْ يَقُلْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ يَقْتُلُهُ بَطْنُهُ، فَلَنْ يُعَذَّبَ فِي قَبْرِهِ؟» قَالَ: بَلَى (١)

قال ابن الأثير - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى -: أي الذي يموت بمرض بطنه؛ كالاستسقاء، ونحوه انتهى. (٢)

وقال القرطبي - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - في "التذكرة": فيه قولان:

أحدهما: أنه الذي يصيبه الذَّرْبُ، وهو الإسهال، تقول العرب: أخذه البطن، إذا أصابه الداء، وَذَرِبَ الجِرْحُ: إذا لم يقبل الدواء، وذربت معدته: فسدت.

والثاني: أنه الاستسقاء، وهو أظهر القولين فيه؛ لأن العرب تنسب موته إلى بطنه، تقول: قتله بطنه، يعنون الداء الذي أصابه في جوفه، وصاحب الاستسقاء قل أن يموت إلا بالذَّرْبِ، فكأنه قد جمع الوصفين، وغيرهما من الأمراض، والوجود شاهد للميت بالبطن أن عقله لا يزال حاضرًا، وذهنه باقياً إلى حين موته؛ ومثل ذلك صاحب السَّلِّ، إذ موت الآخر إنما يكون بالذرب، وليست حالة هؤلاء كحالة من يموت فجأة، أو يموت بالسام، والبرسام، والحُمَيَاتِ المطبقة، أو القولنج، أو الحصاة، فتغيب عقولهم؛ لشدة الآلام، ولزوم أدمغتهم، ولفساد أمزجتها، فإذا كان

١ - مسند أحمد ط الرسالة (٣٠ / ٢٤٢) وأخرجه الطيالسي (١٢٨٨)، والنسائي في "المجتبى" ٩٨ / ٤،

وفي "الكبرى" (٢١٧٩)

٢ - "النهاية" ج ١ ص ١٣٦.

الحال هكذا، فالميت يموت، وذهنه حاضر، وهو عارف بالله انتهى. (١)

(فَلَنْ يُعَذَّبَ) وفي نسخة: "لم يُعذب"، وفي أخرى: "فلم يُعذب"، وهذه الظاهر أنها غير صحيحة، لأن الجواب إذا كان منفيًا بـ "لم" لا يحتاج إلى الربط بالفاء، اللهم إلا أن يقدر فيه مبتدأ، والجملة خبره، أي فهو لم يُعذب. والله أعلم "في قبره؟" فيه فضل الموت بمرض البطن، حيث إنه يرفع عنه عذاب القبر. والظاهر أن المصنّف أراد بالعذاب فتنة القبر، حيث إنه أورد هذا الباب بعد سؤال القبر، ولم يورده بعد عذاب القبر الآتي. لكن الذي يظهر أن العذاب أخصّ من فتنة القبر، لأنه لا يلزم من الفتنة التعذيب بالنار مثلاً. والله تعالى أعلم. (٢)

٤- قراءة سورة الملك كل ليلة: ومن الأسباب المنجية من عاب القبر م أرشدنا إليه النبي -صلى الله عليه وسلم- وبين لنا انه من موجبات النجاة من أهوال وعذاب القبر انه قراءة سورة الملك فهي المنجية

عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن سورة من القرآن ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له وهي سورة تبارك الذي بيده الملك". (٣)

عن عبد الله بن مسعود قال: من قرأ تبارك الذي بيده الملك كل ليلة منعه الله بها من عذاب القبر، وكنا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم نسميها المانعة، وإنها في كتاب الله سورة من قرأها في كل ليلة فقد أكثر وأطاب. (٤)

وعلى هذا يُرجى لمن آمن بهذه السورة وحافظ على قراءتها، ابتغاء وجه الله،

١- التذكرة في أحوال الموتى، وأمور الآخرة" ج ١٧٢.

٢- ذخيرة العقبى في شرح المجتبى (٢٠ / ٨٩)

٣- رواه الترمذي (٢٨٩١) وأبو داود (١٤٠٠) وابن ماجه (٣٧٨٦) والشيخ الألباني في " صحيح ابن ماجه " (٣٠٥٣).

٤- رواه النسائي (٦ / ١٧٩) وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ١٤٧٥.

معتبراً بما فيها من العبر والمواعظ، عاملاً بما فيها من أحكام أن تشفع له .

#### ٥- من مات يوم أو ليلة الجمعة:

و من الأسباب المنجية التي يمن الله بها على من يشاء من عباده الموت يوم أو ليلة الجمعة عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما من مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة إلا وقاه الله فتنة القبر<sup>(١)</sup>.

قال الحكيم الترمذي: ومن مات يوم الجمعة فقد انكشف له الغطاء عما له عند الله، لأن يوم الجمعة لا تسجر فيه جهنم وتغلق أبوابها ولا يعمل سلطان النار فيه ما يعمل في سائر الأيام، فإذا قبض الله عبداً من عبده فوافق قبضه يوم الجمعة كان ذلك دليلاً لسعادته وحسن مأبته، وإنه لا يقبض في هذا اليوم إلا من كتب له السعادة عنده فلذلك يقيه فتنة القبر لأن سببها إنما هو تمييز المنافق من المؤمن، قلت ومن تمتة ذلك أن من مات يوم الجمعة له أجر شهيد فكان على قاعدة الشهداء في عدم السؤال. انتهى. (٢)

#### ٦- سادساً: المحافظة على الأعمال الصالحة:

ومن المنجيات من عذاب وفتنة القبر أن يكون العبد مواظباً على فرائض الله فانه لا انجى للعبد من لزوم عتبة العبودية والمواظبة طاعة رب البرية

روى أبو حاتم في صحيحه عن أبي هريرة عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "إِنَّ الْمَيِّتَ لَيَسْمَعُ خَفَقَ نَعَالِهِمْ حِينَ يُؤْتُونَ عَنْهُ، فَإِنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَانَتِ الصَّلَاةُ عِنْدَ رَأْسِهِ، وَكَانَ الصِّيَامُ عَنْ يَمِينِهِ، وَكَانَتِ الزَّكَاةُ عَنْ يَسَارِهِ، وَكَانَ فَعْلُ الْخَيْرَاتِ مِنَ الصَّدَقَةِ، وَالصَّلَاةِ، وَالْمَعْرُوفِ، وَالْإِحْسَانِ إِلَى النَّاسِ عِنْدَ رِجْلَيْهِ، فَيُؤْتَى مِنْ عِنْدِ

١ - أخرجه أحمد (١٦٩/٢، رقم ٦٥٨٢)، والترمذي (٣٨٦/٣، رقم ١٠٧٤) نظر صحيح الترغيب

والترهيب: ٣٥٦٢، والمشكاة: ١٣٦٧، وأحكام الجنائز ص ٣٥

٢ - نوادر الأصول (٤/ ١٦٢)

رَأْسِهِ فَتَقُولُ الصَّلَاةُ: مَا قَبْلِي مَدْخُلٌ. ثُمَّ يُؤْتَى عَنْ يَمِينِهِ فَيَقُولُ الصِّيَامُ: مَا قَبْلِي مَدْخُلٌ. ثُمَّ يُؤْتَى عَنْ يَسَارِهِ فَتَقُولُ الزَّكَاةُ: مَا قَبْلِي مَدْخُلٌ. ثُمَّ يُؤْتَى مِنْ رِجْلَيْهِ فَيَقُولُ فِعْلُ الْخَيْرَاتِ مِنَ الصَّدَقَةِ، وَالصَّلَاةِ، وَالْمَعْرُوفِ، وَالْإِحْسَانِ إِلَى النَّاسِ: مَا قَبْلِي مَدْخُلٌ. فَيَقَالُ: اجْلِسْ، فَيَجْلِسُ؛ قَدْ مُتَّكَتْ لَهُ الشَّمْسُ وَقَدْ دَنَتْ لِلْغُرُوبِ، فَيَقَالُ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ فِيكُمْ؟ مَا تَقُولُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ: دَعَوْنِي حَتَّى أَصْلِي. فَيَقُولُونَ: إِنَّكَ سَتَفْعَلُ، أَخْبِرْنَا عَمَّا نَسَأَلُكَ عَنْهُ. فَقَالَ: عَمَّ تَسْأَلُونِي؟ فَيَقُولُونَ: مَا تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي كَانَ فِيكُمْ؟ مَا تَشْهَدُ بِهِ؟ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، وَأَنَّهُ جَاءَ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ. فَيَقَالُ: عَلَى ذَلِكَ حَيِّتَ، وَعَلَى ذَلِكَ مَتَّ، وَعَلَى ذَلِكَ تُبْعَثُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، فَيَقَالُ لَهُ: ذَلِكَ مَقْعَدُكَ مِنْهَا، وَمَا أَعَدَّ اللَّهُ لَكَ فِيهَا، فَيَزِدَادُ غِبْطَةً وَسُرُورًا. ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ النَّارِ، فَيَقَالُ: ذَلِكَ مَقْعَدُكَ مِنْهَا، وَمَا أَعَدَّ اللَّهُ لَكَ فِيهَا [لَوْ عَصَيْتَ اللَّهَ]، فَيَزِدَادُ غِبْطَةً وَسُرُورًا. ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا، وَيُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ، وَيُعَادُ جَسَدُهُ كَمَا بُدِيَ، وَتُجْعَلُ نَسَمَتُهُ فِي نَسَمِ الطَّيِّبِ، وَهِيَ طَيْرٌ تَعَلَّقُ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ". (١)

٧-الصدقة: ومما ينجي العبد من عذاب القبر الصدقة والصدقة عباد الله من الأعمال الجليلة التي ربما يستهين بها العبد في معترك هذه الحياة فكم مرة من المرات دعيت إلى الإنفاق لكنك بخلت بما منحك الله من عطاء هل تذكرت ظلمة القبور؟ هلا تذكرت منكر ونكير؟

بكم تشتري نعيم القبر؟ بكم تفك أسرك من ضمة القبر؟

ها أنت يا صاح ما زلت تملك مالك فهل لك من أوبة وهل لك من بذل

وعطاء؟

١ - صحيح ابن حبان - محققا (٧/ ٣٨٢) وأخرجه عبد الرزاق "٦٧٠٣" قال الشيخ الألباني: حسن - ((التعليق الرغيب)) (٤/ ١٨٨ - ١٨٩)، ((أحكام الجنائز)) (١٩٨ - ٢٠٢).



اسمع عبد الله بعد أن تصلي على من صلى عليه الإله ﷺ  
عن عقبة بن عامر رضي الله عنه: عن رسول الله ﷺ قال: «إن الصدقة لتطفئ عن  
أهلها حر القبور، وإنما يستظل المؤمن يوم القيامة في ظل صدقته». (١)  
..... الدعاء

---

١ - أخرجه الطبراني (٢٨٦/١٧، رقم ٧٨٨) سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها  
(١٤١٢/٧)

## (١٩) مشاعر المؤمنين عند رؤية الجنائز

### التأثر عند رؤية الجنائز

#### الخطبة الأولى

الحمد لله الذي تفرد بالعز والجلال، وتوحد بالكبرياء والكمال، وجلّ عن الأشباه والأشكال، ودل على معرفة فزال الإشكال، وأذل من اعتز بغيره غاية الإذلال، وتفضل على المطيعين بلذيد الإقبال، بيده ملكوت السماوات والأرض ومفاتيح الأقال، لا رادّ لأمره ولا معقب لحكمه وهو الخالق الفعال.

واشهد أن لا اله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو على كل

شيء قدير

هو الأول والآخر والظاهر والباطن الكبير المتعال، لا يحويه الفكر ولا يحده

الحصر ولا يدركه الوهم والخيال.

يا من يجيب دعاء المضطر في الظلم

يا كاشفا الضر والبلوى مع السقم

إن كان أهل التقى فازوا بما عملوا

فمن يجود على العاصين بالكرم

وأشهد أن سيدنا وحبينا وشفيعنا محمد عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه

وحبيبه الذي أيدته بالمعجزات الظاهرة، والآيات الباهرة، وزينه بأشرف الخصال

ورفعه إلى المقام الأسنى، فكان قاب قوسين أو أدنى، وخلع الجمال.

وورثه إلى المقام الأسنى، فكان قاب قوسين أو أدنى، وخلع الجمال.

وورثه إلى المقام الأسنى، فكان قاب قوسين أو أدنى، وخلع الجمال.

وورثه إلى المقام الأسنى، فكان قاب قوسين أو أدنى، وخلع الجمال.

وورثه إلى المقام الأسنى، فكان قاب قوسين أو أدنى، وخلع الجمال.

وورثه إلى المقام الأسنى، فكان قاب قوسين أو أدنى، وخلع الجمال.

وورثه إلى المقام الأسنى، فكان قاب قوسين أو أدنى، وخلع الجمال.

وورثه إلى المقام الأسنى، فكان قاب قوسين أو أدنى، وخلع الجمال.

وورثه إلى المقام الأسنى، فكان قاب قوسين أو أدنى، وخلع الجمال.

وورثه إلى المقام الأسنى، فكان قاب قوسين أو أدنى، وخلع الجمال.

وورثه إلى المقام الأسنى، فكان قاب قوسين أو أدنى، وخلع الجمال.

إخوة الإسلام: نعيش في هذا اللقاء مع {مشاعر المؤمنين عند رؤية الجنائز} في لنرى الفرق بين ما كان عليه السلف من الخوف والخشية وما نحن عليه من سكرة وغفلة فالذي ينظر إلى أحوالنا عند تشييع الجنائز لتستقر في مخيلته حقيقة مرة وهي أن قلوبنا قد ماتت لا تتأثر ولا نتعظ ترى ذلك في أحوال المشيعين المنهمكين في الحديث عن الدنيا والانشغال بها وترى الضحك والانشغال بالهاتف الجوال وغير ذلك من أمور يندى لها الجبين ، لذا كان لزاما وأجل مسمى أن نقف مع سير الصالحين لعلنا نقتدي بهم ونهتدي بهديهم

أيها الأحبة: إن من شهد جنازة فلم يتأثر، ووقف على شفير قبر فلم يتأثر، فليعلم أن قلبه ليس من قلوب هم الآخرة، فليعالج هذا القلب، وليعلم أنه مريض، بل إن المرض مستحكم فيه، إن الموت عبرة، وإن الموت آية: {وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ \* كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ} (١) {أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ} (٢) وقال سبحانه {اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا} (٣) إن الذي لا يعتبر بالموت ولا يتأثر به ليس من أصحاب هم الآخرة.

### تأثر النبي ﷺ

عن البراء بن عازب، قال: أقبلت مع النبي ﷺ في بعض المدينة فبصر بجماعة فقال: " على ما اجتمع هؤلاء؟ " قيل: على قبر يحفرونه، قيل: ففزع النبي صلى الله عليه وسلم فبدر بين يدي أصحابه مسرعا حتى انتهى إلى القبر، فحشا عليه، قال البراء فاستقبلته من بين يديه لأنظر ما يصنع فرأيته بكى حتى بل الشرى من دموعه،

١ - [الأنبياء: ٣٤ - ٣٥]

٢ - [النساء: ٧٨]

٣ - [الزمر: ٤٢]

ثم أقبل علينا فقال: "أي إخواني، لمثل هذا فادعوا" (١)

تأثر أسيد بن حضير رضي الله عنه

قال أسيد بن حضير: "ما شهدت جنازة وحدثت نفسي بشيء، سوى ما يفعل بالميت، وما هو صائر إليه". (٢)

تأثر أبي هريرة رضي الله عنه كان أبو هريرة رضي الله عنه إذا رأى جنازة، قال: "امض ونحن على أثرك". (٣)

تأثر أبي أمامة رضي الله عنه

عن سليم بن عامر قال: خرجنا في جنازة على باب دمشق ومعنا أبو أمامة الباهلي فلما صلى على الجنازة وأخذوا في دفنها قال أبو أمامة: إنكم قد أصبحتم وأمسيتم في منزل تغمون فيه الحسنات والسيئات توشكون أن تظعنوا منه إلى منزل آخر وهو هذا-يشير إلى القبر-بيت الوحشة وبيت الظلمة وبيت الضيق إلا ما وسع الله ثم تنتقلون منه إلى يوم القيامة (٤)

تأثر مكحول رحمه الله عنه-

كان مكحول الدمشقي-رحمه الله-إذا رأى جنازة قال: "اغد فإنا رائحون، موعظة بليغة، وغفلة سريعة، يذهب الأول، والآخر لا عقل له". (٥)

١ - أخرجه أحمد (٢٩٤/٤، رقم ١٨٦٢٤)، وابن ماجه (١٤٠٣/٢، رقم ٤١٩٥) قال المنذري (١٢٠/٤): إسناده حسن. وقال البوصيري (٢٣٤/٤): هذا إسناد ضعيف. وأخرجه أيضًا: ابن أبي شيبة (٧٩/٧، رقم ٣٤٣٣١)، والبيهقي في شعب الإيمان (٧/٣٥٠، رقم ١٠٥٤٧) والديلمي (٤٢٦/١)،

٢ - العاقبة في ذكر الموت (ص: ١٥٣)

٣ - العاقبة في ذكر الموت (ص: ١٥٣)

٤ - أهوال القبور ٥٧

٥ - العاقبة في ذكر الموت (ص: ١٥٣)

### تأثر الحسن البصري - رحمه الله -

وَمَرَّتْ بِالْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - جَنَازَةً فَقَالَ: "يَا لَهَا مَوْعِظَةٌ مَا أَبْلَغَهَا، وَأَسْرَعُ نَسْيَانَهَا! يَا لَهَا مَوْعِظَةٌ لَوْ وَافَقَتْ مِنَ الْقُلُوبِ حَيَاةً"، ثُمَّ قَالَ: "يَا غَفَلَةٌ شَامِلَةٌ لِلْقَوْمِ، كَأَنَّهُمْ يَرُونَهَا فِي النَّوْمِ، مَيِّتٌ غَدًا يَدْفَنُ مَيِّتَ الْيَوْمِ". (١)

### تأثر مالك بن دينار - رحمه الله -

وَلَمَّا مَاتَ أَخُو مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ، خَرَجَ مَالِكٌ فِي جَنَازَتِهِ، فَوَقَفَ عَلَى قَبْرِهِ وَبَكَى، ثُمَّ قَالَ: "وَاللَّهِ يَا أَخِي لَا تَقْرَ عَيْنِي بَعْدَكَ، حَتَّى أَعْلَمَ إِلَى مَا صُرْتُ إِلَيْهِ، وَلَا وَاللَّهِ لَا أَعْلَمُ ذَلِكَ مَا دُمْتُ حَيًّا". (٢)

### تأثر مطرف بن عبد الله بن الشخير - رحمه الله -

وَقَالَ مَطْرَفُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشَّخِيرِ، عَنِ أَبِيهِ: "أَنَّهُ كَانَ يَلْقَى الرَّجُلَ فِي الْجِنَازَةِ مِنْ خَاصَّةِ إِخْوَانِهِ، قَدْ بَعْدَ عَهْدِهِ بِهِ، فَلَا يَزِيدُهُ عَلَى السَّلَامِ، حَتَّى يَظَنَّ الرَّجُلَ أَنَّ فِي صَدْرِهِ عَلَيْهِ مَوْجِدَةٌ، كُلَّ ذَلِكَ لِانْشِغَالِهِ بِالْجِنَازَةِ، وَتَفَكُّرِهِ فِيهَا وَفِي مَصِيرِهَا، حَتَّى إِذَا فَرَّغَ مِنَ الْجِنَازَةِ لِقِيهِ، وَسَأَلَهُ، وَلا طَفَهُ، وَكَانَ مِنْهُ أَحْسَنُ مَا عَهْدَ". (٣)

### تأثر عمر بن عبد العزيز - رحمه الله -

عَنْ مَيْمُونِ بْنِ مَهْرَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: خَرَجْتُ مَعَ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى الْمَقْبَرَةِ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَى الْقُبُورِ بَكَى ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيَّ فَقَالَ: يَا أَبَا أَيُّوبَ! هَذِهِ قُبُورُ آبَائِي بَنِي أُمِّيَّةَ، كَأَنَّهُمْ لَمْ يَشَارِكُوا أَهْلَ الدُّنْيَا فِي لَذَّتِهِمْ وَعَيْشِهِمْ، أَمَا تَرَاهُمْ صَرَخِي قَدْ حَلَّتْ بِهِمُ الْمَثَلَاتُ؟ وَاسْتَحْكَمَ فِيهِمُ الْبَلِي؟ وَأَصَابَتْ الْهُوَامُ فِي أَبْدَانِهِمْ مَقِيلًا؟ ثُمَّ بَكَى حَتَّى غَشِيَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَفَاقَ فَقَالَ: انْطَلِقْ بِنَا، فَوَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ أَحَدًا انْعَمَ مِمَّنْ صَارَ إِلَى هَذِهِ

١ - العاقبة في ذكر الموت (ص: ١٥٣)

٢ - العاقبة في ذكر الموت (ص: ١٥٣)

٣ - العاقبة في ذكر الموت (ص: ١٥٣)

القبور وقد أمن من عذاب الله .

نظر عمر بن عبد العزيز وهو في جنازة إلى قومٍ قد تلمسوا من الغبار والشمس،  
وانحازوا إلى الظل، فبكى وقال:

من كان حين تصيب الشمس جبهته \*\*\* أو الغبار يخاف الشين والشعثا  
ويألف الظل كي تبقى بشاشته \*\*\* فسوف يسكن يوماً راعماً جدثا  
في قعر مظلمةٍ غبراء موحشةٍ \*\*\* يطيل في قعرها تحت الثرى اللبثا  
تجهزي بجهازٍ تبلغين به \*\*\* يا نفس قبل الردى لم تخلقي عبثاً (١)

#### تأثر السلف

وَقَالَ الْأَعْمَشُ: "كُنَّا نَشْهَدُ الْجَنَازَةَ، وَلَا نَدْرِي مِنَ الْمَعْرَى فِيهَا -أَي لَا يَعْرِفُ  
أهل الميت- لِكثْرَةِ الْبَاكِينَ، وَإِنَّمَا بَكَوْهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا عَلَى الْمَيِّتِ". (٢)  
وَقَالَ ثَابِتُ الْبُنَانِيِّ: "كُنَّا نَشْهَدُ الْجَنَازَةَ، فَلَا نَرَى إِلَّا بَاكِيًّا". (٣)  
وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ: "كَانُوا يَشْهَدُونَ الْجَنَازَةَ، فَيَرَى فِيهِمْ ذَلِكَ أَيَّامًا، كَأَنَّ  
فِيهِمُ الْفِكْرَةَ فِي حَالِ الْمَوْتِ، وَفِي حَالِ الْمَيِّتِ". (٤)

#### تأثر ذر بن عمر-رحمه الله-

وَلَمَّا مَاتَ ذَرُّ بْنُ عُمَرَ، وَوَضِعَ فِي قَبْرِهِ، قَالَ أَبُوهُ: "يَا ذَرُّ لَقَدْ شَغَلْنَا الْحَزْنَ لَكَ عَنْ  
الْحَزَنِ عَلَيْكَ، فَلَيْتَ شِعْرِي! مَاذَا قُلْتَ وَمَاذَا قِيلَ لَكَ؟" ثُمَّ قَالَ: "اللَّهُمَّ إِنَّ هَذَا  
وَلَدِي ذَرُّ، مَتَعْنِي بِهِ مَا مَتَعْنِي، وَوَفَيْتَهُ أَجْلَهُ وَرِزْقَهُ، وَلَمْ تَنْقِصْهُ حَقَّهُ، اللَّهُمَّ وَقَدْ

١ - نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (٣/ ٩٦٢)

٢ - العاقبة في ذكر الموت (ص: ١٥٣)

٣ - العاقبة في ذكر الموت (ص: ١٥٣)

٤ - العاقبة في ذكر الموت (ص: ١٥٣)

كنت ألزمته طاعتك وطاعتي، وَإِنِّي قد وهبت له مَا فرط فِيهِ من طَاعَتِي، فَهَبْ لَهُ مَا فرط فِيهِ من طَاعَتِكَ، اللَّهُمَّ وَمَا وَعَدْتَنِي عَلَيْهِ من الأجر فِي مصيبتِي، فقد وهبت ذَلِكَ لَهُ، فَهَبْ لِي عَذَابَهُ وَلَا تعذبه، وَأنت أجود الأجودين، وأكرم الأكرمين"، قَالَ: فأبكى النَّاسَ، ثُمَّ قَالَ عِنْد انْصِرَافِهِ: "يَا ذر مَا علينا بعدك من خصاصة، وَمَا بنا مَعَ الله إِلَى إنسان من حَاجَةٍ، يا ذر مضيئنا وتركننا، وَلَوْ أَقْمَنَا عِنْدَكَ مَا نفعناكَ". وتأمل -يا عبد الله- أَلَا ترى إِلَى هَذَا؟ لم يشغله الحزن على وَلَدِهِ وَثَمَرَةَ كَبَدِهِ عَن الحزن بِمَا قَالَ وَبِمَا قِيلَ لَهُ؛ لِأَنَّهُمْ إِنَّمَا كَانُوا يقدّمُونَ الأهم فالأهم، ويبدوون بالأعظم فالأعظم. (١)

### تأثر امرأة بدوية

ويروى عَنِ الأَصْمَعِيِّ قَالَ: حجت امرأة من العَرَبِ وَمَعَهَا ابنُ لَهَا، فَأُصِيبَتْ بِهِ، فَلَمَّا دُفِنَ قَامَتْ على قَبْرِهِ وَهِيَ موجهة، فَقَالَتْ: "يا بني: وَالله لقد غذوتك رضيعاً، وفقدتكَ سَرِيعاً، وَكَأَن لم يكن بَيْنَ الحَالَتَيْنِ مُدَّةٌ ألتذ فِيهَا بعيشك، وَأتمتع فِيهَا بالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ، وَبقيت مُدَّةً أَتذكرك فِيهَا، وَأذوب فِيهَا بالحزن عَلَيْكَ"، ثُمَّ قَالَ: "اللَّهُمَّ مِنْكَ العَدْلُ، وَمَنْ خَلَقَكَ الجُودَ، اللَّهُمَّ وهبْتَنِي قُرَّةَ عَيْنِي فلم تمتعني بِهِ كَثِيراً، بل سلبتنيهِ وشيكاً، ثُمَّ أَمَرْتَنِي بالصبرِ عَلَيْهِ، ووعدتني الأجر، فصَدَّقْتَ وَعَدَكَ، ورضيت قضاءكَ، اللَّهُمَّ ارْحَمْ غرْبَتَهُ، واستر عَوْرَتَهُ يَوْمَ تنكشف العورات، وتظهر السوآت، فرحم الله من ترحم على من استودعته الرِّدْمَ، ووسدته الثرى"، فَلَمَّا أَرَادَت الخُرُوجَ إِلَى أَهْلِهَا، وقفت على قَبْرِهِ وَقَالَتْ: "أَيُّ بني قد تزودت لسفري من الدُّنْيَا، فليت شعري مَا زادكَ لسفرك وَيَوْمَ معادكَ، اللَّهُمَّ أسألك الرضا لَهُ برضاي عَنْهُ"، ثُمَّ قَالَ: "أستودعك من استودعنيكَ جَنِيناً فِي الأحشاء، وأذاقني عَلَيْهِ غُصَّةَ الثكلى، واثكل الوالدات! مَا أَقل أنسهن، وَأشد وحشتهن"، وصلت

١ - إحياء علوم الدين ومعه تخريج الحافظ العراقي (٧/ ٢١٢) والعاقبة في ذكر الموت (ص: ١٥٤)

عند قبره رَكَعَتَيْنِ وانصرفت. (١)

روى البراء بإسناده عن الفضيل بن عياض قال: رأيت رجلا يبكي، قلت: وما يبكيك؟

قال: أبكاني كلامه. قلت: ما هو؟ قال: كنا وقوفا في المقابر فأنشدوا:

أتيت القبور فساءلتها... أين المعظم والمحتقر؟

وأين المدلّ بسلطانه؟... وأين القويّ إذا ما قدر

فقالوا جميعا فما نخب... وماتوا جميعا ومات الخبر

فيا سائلي عن أناس مضوا... أما لك فيما ترى معتبر؟

تروح وتغدو عليه الثرى... فتمحو محاسن تلك الصّور (٢)

أقول هذا القول، وأستغفر الله العظيم الكريم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب؛ فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

### الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله،

صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما.

أما بعد:

### علاج قسوة القلب

أخي المسلم بعدما رأينا أحوال السلف في التأثر بذلك المشهد مشهد الجنائز نأتي

إلى سؤال ما هو علاج تلك القسوة؟

١ - العاقبة في ذكر الموت (ص: ١٥٥)

٢ - أهوال القبور (١٤٤).

وكيف نخرج من تلك الغلقة؟

الجواب بحول الملك الوهاب-: إن رقة قلب و غزارة دمعة منة و عطية نعمة  
من نعم الله تعالى {فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبِهِمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ} (الزمر: ٢٢)

١-المعرفة بالله تعالى:

اعلم أن من تعرف على الله تعالى حق المعرفة رق قلبه و دمعت عيناه من خشية  
ربه و مولاه قال الله تعالى {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} [فاطر: ٢٨]

يقول ابن كثير - رحمه الله -

أي: إنما يخشاه حق خشيته العلماء العارفون به؛ لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم  
التقدير العليم الموصوف بصفات الكمال المنعوت بالأسماء الحسنی - كلما كانت  
المعرفة به أتم والعلم به أكمل، كانت الخشية له أعظم وأكثر.

عن أبي حيان [التميمي] عن رجل قال: كان يقال: العلماء ثلاثة: عالم بالله عالم  
بأمر الله، وعالم بالله ليس بعالم بأمر الله، وعالم بأمر الله ليس بعالم بالله. فالعالم بالله  
وبأمر الله: الذي يخشى الله ويعلم الحدود والفرائض. والعالم بالله ليس بعالم بأمر  
الله: الذي يخشى الله ولا يعلم الحدود ولا الفرائض. والعالم بأمر الله ليس بعالم بالله:  
الذي يعلم الحدود والفرائض، ولا يخشى الله عز وجل. (١).

٢- تذكر الموت وما بعده:

ومما يعين على التأثر والخشية والإنابة أن تكثر من تذكر الموت وأنه أقرب إليك  
فلا تدري متى يأتيك.

٣- زيارة القبور والتفكير في حال أهلها:

واعلموا أن العبرة من زيارة القبور أخذ العظة والعبر من المقبور وأن يدرك المرء

١ - تفسير ابن كثير- ط دار طيبة (٦ / ٥٤٤)

أنه إلى الله تعالى راجع وإن هذا هو مسكنه

كان لبعض العصاة أم تعظه ولا يثنى فمر يوماً بالمقابر فرأى عظماً نخرها فمسه فانفتت في يده فأنتت نفسه فقال لنفسه أنا غدا هكذا فعزم على التوبة فرفع رأسه إلى السماء وقال يا إلهي اقبلني وارحمي ثم رجع إلى أمه حزينا فقال يا أماه ما يصنع بالآبق إذا أخذه سيده فقالت يغل قدميه ويخشن ملبسه ومطعمه قال يا أماه أريد جبة من صوف وأقراصا من شعر وافرعي بي ما يفعل بالبعد الآبق من مولاه لعل مولاي يرى ذلي فيرحمني ففعلت به ما طلب فكان إذا جن عليه الليل أخذ في البكاء والعويل فقالت له أمه ليلة يا بني ارفق بنفسك فقال يا أماه إن لي موقفاً طويلاً بين يدي رب جليل فلا أدري أيؤمر بي إلى ظل ظليل أو إلى شر مقيل إني أخاف عناء لا راحة بعده أبداً وتويخاً لا عفو معه قالت فاسترح قليلاً فقال الراحة أطلب يا أماه كأنك بالخلائق غداً يساقون إلى الجنة وأنا أساق إلى النار فمرت به ليلة في تهجد هذه الآية { فَوَرَّبُّكَ لَنَسَّأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٩٢) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ } [الحجر: ٩٢، ٩٣]

فتفكر فيها وبكى واضطرب وغشي عليه فجعلت أمه تناديه ولا يجيبها فقالت له قرة عيني أين الملتقى فقال بصوت ضعيف إن لم تجدني في عرصة القيامة فسلي مالكاً عني ثم شهق شهقة فمات رحمه الله فخرجت أمه تنادي أيها الناس هلموا إلى الصلاة على قتيل النار فلم ير أكثر جمعا ولا أغزر دمعا من ذلك اليوم هذه (١)

#### ٤- تذكر الآخرة والتفكر في القيامة وأهوالها:

ومما يعينك على إذابة قسوة القلب أن تتفكر في ذلك اليوم الرهيب الذي يفر المرء فيه من أبيه و أمه و اخيه أن تتفكر و أن تتوهم أنك موقوف بين يدي الله تعالى و انه سيحاسبك على أعمالك و أقوالك.

١ - التبصرة - لابن الجوزي (١ / ١٨)

وهذا أبو الدرداء كان يقول: إن أشد ما أخاف على نفسي يوم القيامة أن يقال لي: يا أبا الدرداء، قد علمت، فكيف عملت فيما علمت؟ وكان يقول: لو تعلمون ما أنتم لاقون بعد الموت لما أكلتم طعاما على شهوة، ولا شربتم شرابا على شهوة، ولا دخلتم بيتا تستظلون فيه، ولخرجتم إلى الصعدات تضربون صدوركم، وتبكون على أنفسكم، ولوددت أني شجرة تعضد ثم تؤكل.

وكان عبد الله بن عباس أسفل عينيه مثل الشراك البالي من الدموع.

وكان أبو ذر يقول: يا ليتني كنت شجرة تعضد، ووددت أني لم أخلق وعرضت عليه النفقة، فقال: ما عندنا عنز نحلبها وحمير ننقل عليها، ومحرم يخدمنا، وفضل عباءة، وإني أخاف الحساب فيها.

عن محمد بن المنكدر أنه بينا هو ذات ليلة قائم يصلي إذ استبكي وكثر بكاؤه حتى فزع أهله وسألوه ما الذي أبكاه فاستعجم عليهم وتمادى في البكاء فأرسلوا إلى أبي حازم فأخبروه بأمره فجاء أبو حازم إليه فإذا هو يبكي قال يا أخي ما الذي أبكاك قد رعت أهلك أفمن علة أم ما بك قال فقال إنه مرت بي آية في كتاب الله عز وجل قال وما هي قال قول الله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون قال فبكى أبو حازم أيضا معه واشتد بكاؤهما قال فقال بعض أهله لأبي حازم جئنا بك لتفرج عنه فزدته قال فأخبرهم ما الذي أبكاهما<sup>(١)</sup>

كان يزيد الرقاشي - رحمه الله - يقول لنفسه: ويحك يا يزيد من ذا يترضى عنك ربك الموت؟ ثم يقول: أيها الناس ألا تبكون وتنوحون على أنفسكم باقي حياتكم؟ من الموت طالبه والقبر بيته و التراب فراشه و الدود أنيسه و هو مع هذا ينتظر الفزع الأكبر يكون حاله؟ ثم يبكي حتى يسقط مغشيا عليه<sup>(٢)</sup>

١ - حلية الأولياء (٣/ ١٤٦)

٢ - التذكرة للقرطبي ص (١٢٤)

قال عبد الرحمن بن يزيد بن جابر - رحمه الله -: قلت ليزيد بن مرثد: ما لي أرى عينيك لا تجف؟ قال: وما سألتك عنه؟ قلت: عسى الله أن ينفعني به،

قال: يا أخي، إن الله قد توعدني إن أنا عصيته أن يسجنني في النار، والله لو لم يتوعدني أن يسجنني إلا في الحمام لكنت حربياً أن لا تجف لي عين

قال: فقلت له: فهكذا أنت في خلواتك؟ قال: وما سألتك عنه؟ قلت: عسى الله أن ينفعني به، فقال: والله إن ذلك ليعرض لي حين أسكن إلى أهلي، فيحول بيني وبين ما أريد، وإنه ليوضع الطعام بين يدي، فيعرض لي فيحول بيني وبين أكله، حتى تبكي امرأتي ويبيكي صبياننا، ما يدرون ما أبكان

ولربها أضجر ذلك امرأتي فتقول يا ويحها: ما خصصت به من طول الحزن معك في الحياة الدنيا، ما تقر لي معك عين. (١)

#### ٥- مجاهدة النفس ومحاسبتها ومعاتبتها:

ومما يجعلك تتأثر ويجعل قبلك يلين وعينك تدمع المحاسبة أن تحاسب نفسك على أعمالك وأقوالك قبل أن تحاسب عليها يوم القيامة.

قال خويلد بن محمد: "كأن خويلاً قد وقف للحساب فقليل له: يا خويلد بن محمد! قد عمّرناك ستين سنة فما صنعت فيها؟ فجمعت نوم ستين سنة مع قائلة النهار، وإذا قطعة من عمري نوم، وجمعت ساعات أكلي فإذا قطعة من عمري قد ذهبت في الأكل، ثم جمعت ساعات وضوئي، فإذا قطعة من عمري قد ذهبت فيها، ثم نظرت في صلاتي، فإذا صلاة منقوصة وصومٌ منخرق، فما هو إلا عفو الله أو الهلكة"

قال إبراهيم التيمي: "مثّلت نفسي في الجنة أكل ثمارها، وأشرب من أنهارها،

وأعانق أبكارها، ثم مثّلتُ نفسي في النار آكل من زقومها، وأشرب من صديدها،  
وأعالج سلاسلها وأغلاها، فقلت لنفسي: أي شيء تريدان؟ قالت: أريد أن أورد إلى  
الدنيا فأعمل صالحاً فقلت: فأنت في الأمانة فاعلمي" (١)

..... الدعاء

---

١ - محاسبة النفس لابن أبي الدنيا (ص: ٢٦)

## (٢٠) أسرار الجنائز

### الخطبة الأولى

الحمد لله الذي لا يسأل عما يفعل، فلا تيأس من رحمته ولا تعجل، فسبحانه من أقبل بجوده وبره على من رجع إليه وأقبل، ورأى زلة المسيء وجنح الظلام مسبل، فعامله برأفته وتجاوز عنه برحمته وأمهل، وجعل للقبول والفضل أوقاتا ليتدارك المقصر ما ضيّع وأهمل.

واشهد أن لا اله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو على كل شيء قدير شهادة عبد خضع لهيبه وتذلل

يا من عليه مدى الأيام معتمدى	إليك وجهت وجهى لا إلى أحد
أنت المجيب لمن يدعوك يا لأملى	يا عدتي يا شفائي ويا سندی
يا ملك الملك يا معطى الجزيل	لمن يرجو نداءه بلا حصر ولا عدد
مالي سواك ومالي غير بابك	يا مولاي فامح بعفوك ما جتته

وأشهد أن سيدنا وحبينا وشفيعنا محمد عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحبيب

وعلى اله وأصحابه ومن سار على نهجه وتمسك بسنته واقتدى بهديه واتبعهم بإحسان إلى يوم الدين ونحن معهم يا أرحم الراحمين

إخوة الإسلام: في مثل هذا اللقاء حيث نفارق الأحباب ونواربهم التراب نسأل أنفسنا ما هو فضل اتباع الجنائز وما هي أسرارها؟

ما الذي أخرجك من بيتك لتاتي إلى هنا لتشييع الجنازة؟

ما الذي جاء بك من قريتك أو مدينتك إلى هنا؟

هيا لتتعرف على فضائل اتباع الجنازة وعلى أسرارها فأعيروني القلوب والأسماع



## فضائل اتباع الجنائز

اعلموا - بارك الله فيكم - أن لاتباع الجنائز فضائل جمّة وفوائد عظيمة نذكر

منها:

### عظم الأجر والثواب من الكريم الوهاب:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ شَهِدَ الْجَنَائِزَ حَتَّى يُصَلِّيَ عَلَيْهَا فَلَهُ قِيرَاطٌ، وَمَنْ شَهِدَهَا حَتَّى تُدْفَنَ - وَقَالَ عَتَّابٌ: حَتَّى تُفْرَغَ - فَلَهُ قِيرَاطَانِ، قِيلَ: وَمَا الْقِيرَاطَانِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: مِثْلُ الْجَبَلَيْنِ الْعَظِيمَيْنِ. (١)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ تَبِعَ جِنَازَةَ مُسْلِمٍ إِيْمَانًا وَاحْتِسَابًا فَصَلَّى عَلَيْهَا ثُمَّ أَنْتَظَرَهَا حَتَّى يُوَضَعَ فِي قَبْرِهِ كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ قِيرَاطَانِ أَحَدُهُمَا مِثْلُ أُحُدٍ، وَمَنْ صَلَّى عَلَيْهَا ثُمَّ رَجَعَ كَانَ لَهُ قِيرَاطٌ» (٢)

قوله: " إيمانًا واحتسابًا " قيد به؛ لأنه لا بد منه؛ لأن ترتب الثواب على العمل يستدعي سبق النية فيخرج من فعل ذلك على سبيل المكافأة المجردة أو على سبيل المحاباة

### وهي من حقوق المسلم على المسلم-

وعلم أن من حق أخيك المسلم عليك أنك إذا مات وجب عليك أن تشيعه إلى الدار البرزخية - لا كما نسمع من بعض الخطباء الذين يقولون: إلى مثواه الأخير، وهذا خطأ عقائدي لأن القبر أول منازل الآخرة

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ: « حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَمْسٌ رَدُّ السَّلَامِ، وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ، وَاتِّبَاعُ الْجَنَائِزِ، وَإِجَابَةُ

١ - أخرجه البخاري ١١٠/٢ (١٣٢٥)، ومسلم ٥١/٣ (٩٤٥) (٥٢).

٢ - أخرجه البخاري (١/٢٦، رقم ٤٧)، والنسائي (٨/١٢٠، رقم ٥٠٣٢).

الدَّعْوَةَ ، وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ» (١)

واتباعها من موجبات دخول الجنة

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ صَائِمًا».

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا

قَالَ: «فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ جَنَازَةً».

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا قَالَ: «فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مِسْكِينًا».

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا

قَالَ: «فَمَنْ عَادَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مَرِيضًا».

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: «مَا اجْتَمَعَنَ فِي امْرِئٍ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ».

(٢)

أحباب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان هذا فضل اتباع الجنائز، فما أسرار صلاة الجنائز؟

**أسرار صلاة الجنائز**

اعلم علمني الله تعالى وإياك - أن العلماء ذكروا أسراراً وحكماً من صلاة الصلاة نذكر منها:

**ومن الأسرار في صلاة الجنائز أمور:**

١ - أخرجه: البخاري ٢/ ٩٠ (١٢٤٠)، ومسلم ٣/ ٧ (٢١٦٢) (٤) و (٥).

٢ - أخرجه مالك «الموطأ» (٢٩٠). وأحمد (٢/ ٢٦٨) والبخاري (٣/ ٣٢)

\* السر الأول: أن الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى يشفع هؤلاء المسلمين في هذا الميث، في عن كريب مولى ابن عباس عن عبد الله بن عباس أنه مات ابنٌ له بقديد أو بعسفان فقال يا كريب انظر ما اجتمع له من الناس قال فخرجت فإذا ناسٌ قد اجتمعوا له فأخبرته فقال تقول هم أربعون قال قلت نعم قال أخرجوه فإني سمعت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يقول ما من رجلٍ مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون لا يشركون بالله شيئاً إلا شفّعهم الله فيه (١)

عن مالك بن هُبَيْرَةَ قال: قال رسول الله [صلى الله عليه وسلم]: ' ما صَلَّى ثلاثة صفوف من المسلمين على رجل مسلم يستغفرون له إلا أوجب '. وكان مالك إذا صَلَّى على جنازة فتقالَ أهلها صفّهم صفوفاً ثلاثة ثم يصلي عليها (٢)

قال المباركفوري أبو العلا - رحمه الله - وفي هذه الأحاديث استحباب تكثير جماعة الجنازة ويطلب بلوغهم إلى هذا العدد الذي يكون من موجبات الفوز وقد قيد ذلك بأمرين الأول أن يكونوا شافعين فيه أي مخلصين له الدعاء سائلين له المغفرة الثاني أن يكونوا مسلمين ليس فيهم من يشرك بالله شيئاً كما في حديث بن عباس

قال النووي في شرح مسلم قال القاضي قيل هذه الأحاديث خرجت أجوبة لسائلين سألوا عن ذلك فأجاب كل واحد عن سؤاله قال ويحتمل أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم أخبر بقبول شفاعته مائة فأخبر به ثم بقبول شفاعته أربعين ثم ثلاثة صفوف وإن قل عددهم فأخبر به ويحتمل أيضاً أن يقال هذا مفهوم عدد ولا يحتج به جماهير الأصوليين فلا يلزم من الإخبار عن قبول شفاعته مائة منع قبول ما

١ - أخرجه أحمد (٧٩/٤)، رقم (١٦٧٧٠)، وأبو داود (٣/٢٠٢)، رقم (٣١٦٦)، والطبراني (١٩/٢٩٩)، رقم (٦٦٥).

٢ - أخرجه البيهقي (٤/٣٠)، رقم (٦٦٩٦).

دون ذلك وكذا في الأربعين مع ثلاثة صفوف وحينئذ كل الأحاديث معمول بها  
ويحصل الشفاعة بأقل الأمرين من ثلاثة صفوف وأربعين انتهى كلام النووي

وقال التوربشتي لا تضاد بين هذه الأحاديث لأن السبيل في أمثال هذا المقام أن  
يكون الأقل من العديدين متأخرا عن الأكثر لأن الله تعالى إذا وعد المغفرة لمعنى لم  
يكن من سنته النقصان من الفضل الموعود بعد ذلك بل يزيد تفضلا فيدل على زيادة  
فضل الله وكرمه على عباده انتهى (١)

قال الإمام الدهلوي - رحمه الله - وإنما شرعت الصلاة على الميت لأن اجتماع أمة  
من المؤمنين شافعين للميت له تأثير بليغ في نزول الرحمة عليه. (٢)

\* السر الثاني: أننا نظهر التضامن والإخاء: حتى في الموت مع المسلم والإخاء  
بتلك الرابطة التي ربط بها محمد صلى الله عليه وسلم بيننا، فماذا كنا قبل الإسلام؟!  
وكيف كان تأخينا وتعاوننا قبل هذا الدين؟! قال تعالى: {وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ  
أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ  
حَكِيمٌ} (٣).

عن أبي هريرة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «حق المسلم على  
المسلم ست». قيل: ما هي يا رسول الله؟ قال: «إذا لقيته فسلم عليه وإذا دعاك  
فأجبه وإذا استنصحك فانصح له وإذا عطس فحمد الله فشمته وإذا مرض فعده  
وإذا مات فاتبعه». (٤)

١ - تحفة الأحمدي (٤ / ٩٨)

٢ - حجة الله [الأنفال: ٦٣] لبالغة (ص: ٤٩١)

٣ - [الأنفال: ٦٣]

٤ - أخرجه أحمد (٢ / ٣٧٢، رقم ٨٨٣٢)، والبخاري في الأدب المفرد (١ / ٣١٩، رقم ٩٢٥)، ومسلم  
(٤ / ١٧٠٥، رقم ٢١٦٢). وأخرجه أيضًا: ابن حبان (١ / ٤٧٧، رقم ٢٤٢).

قال الشوكاني - رحمه الله - والحديث دليل على أن هذه حقوق المسلم على المسلم والمراد بالحق ما لا ينبغي تركه ويكون فعله إما واجبا أو مندوبا ندبا مؤكدا شبيها بالواجب الذي لا ينبغي تركه ويكون استعماله في المعنيين من باب استعمال المشترك في معنييه فإن الحق يستعمل في معنى الواجب كذا ذكره ابن الأعرابي (١)

**السر الثالث: المسامحة والمعافة:** اعلم باك الله تعالى فيك أن من أسرار صلاة الجنائز التسامح والتغافر: فكم من مسلم يكون بينه وبين أخيه المسلم فذالت مات فانك تجد هذا المتشاحن يذهب إلى بيت أخيه المسلم ليقف بجوار أهله ثم اذا صلى عليه صلاة الجنائز دعا له بالرحمة والمغفرة

ولذلك ذكر أهل السير أن علياً رضي الله عنه لما جرى بينه وبين الصحابة ما يجري بين البشر في معركة الجمل، وقتل طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام، وهما من العشرة المبشرين بالجنة، فقال علي: "بشر قاتل الزبير بالنار، وبشر قاتل طلحة بالنار" ثم نزل علي إلى طلحة فمسح التراب عن وجهه، وقال: يعز علي يا أبا محمد! أن أراك مجندلاً على التراب، ولكن أسأل الله أن يجعلني وإياك ممن قال الله فيهم: { وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ } [الحجر: ٤٧].

**\* السر الرابع العظة والعبرة والصحوة من سكرة الغفلة:** أن نتذكر بالصلاة عليه قدومنا عليه سبحانه وتعالى، ورجوعنا إليه سبحانه وتعالى.

هو الموت ما منه ملاذ ومهرب \*\*\* متى حط ذا عن نعشه ذاك يركب

نؤمل آمالاً ونرجو نتائجها \*\*\* وعَلَّ الردى مما نرجيه أقرب

نشاهد ذا عين اليقين حقيقة \*\*\* عليه مضى طفل وكهل وأشيب

فهذا من أعظم الواعظ، عن هاني، مولى عثمان قال: كان عثمان إذا وقف على قبر

بكى حتى يبيل لحيته، فيقال له: قد تذكر عندك الجنة، والنار فلا تبكي وتبكي من هذا؟ فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: إن «القبر أول منازل الآخرة، فإن نجي منه، فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه» (١)

للموت فاعمل بجد أيها الرجل \*\*\* واعلم بأنك من دنياك مرتحلٌ  
إلى متى أنت في هو ولعب \*\*\* تمني وتصبح في اللذات مشتغلٌ  
كأن بك يا ذا الشيب في كرب \*\*\* بين الأحبة قد أودى بك الأجلُ  
لما رأوك صريعاً بينهم جزعوا \*\*\* وودعوك وقالوا قد مضى الرجلُ  
فاعمل لنفسك يا مسكين في مهل \*\*\* مادام ينفعك التذكار والعملُ  
إنّ التقيّ جنّات الخلد مسكنه \*\*\* ينال حوراً عليها التاج والحللُ  
والمجرمين بنارٍ لا خمود لها \*\*\* في كل وقت من الأوقات تشتعلُ

عن عبد الله بن العيزار قال: لابن آدم بيتان: بيت على ظهر الأرض وبيت في بطن الأرض فعمد للذي على ظهر الأرض فزخرفه وزينه وجعل فيه أبواباً للشمال: وأبواباً للجنوب وصنع فيه ما يصلحه لشتائه وصيفه ثم عمد إلى الذي في بطن الأرض فأخبره فأتى عليه آت فقال: رأيت هذا الذي أراك قد أصلحته كم تقيم فيه؟ قال: لا أدري قال: فالذي قد أخربته كم تقيم فيه؟ قال: فيه مقامي قال: تقرر بهذا على نفسك وأنت رجل يعقل!؟

وعن الحسن قال: يومان وليلتان لم تسمع الخلائق بمثلهن قط:

ليلة تبيت مع أهل القبور ولم تبت ليلة قبله وليلة صبيحتها يوم القيامة ويوم

١ - مسند أحمد ط الرسالة (١/ ٥٠٣) أخرجه ابن ماجه (٤٢٦٧)، والترمذي (٢٣٠٨)، والحاكم ٤ /

٣٣٠ - ٣٣١) وقال الألباني]: حسن

يأتيك البشير من الله تعالى إما بالجنة أو النار ويوم تعطى كتابك إما يمينك وإما بشمالك

وعن عمر بن ذر أنه كان يقول في مواعظه: لو علم أهل العافية ما تضمنته القبور من الأجساد البالية لجدوا واجتهدوا في أيامهم الخالية خوفا من يوم تتقلب في القلوب والأبصار

وعن مطرف بن عبد الله بن الشخير قال: القبر منزل بين الدنيا والآخرة فمن نزله بزاد وارتحل به إلى الآخرة إن خيرا فخير وإن شرا فشر

وعن الحسن قال: أودنوا بالرحيل وجلس أولهم على آخرهم وهم يلعبون وقال رجل لبعض السلف: أوصني قال: عسكر الموتى ينتظرونك

وكان أبو عمران الجوني يقول: لا يغرنكم من ربكم طول النسبية وحسن الطلب فإن أخذه أليم شديد حتى تبقى وجوه أولياء الله بين أطباق التراب إنها هم محبوسون لبقية آجالكم حتى يبعثهم الله إلى جنته وثوابه

وعن محمد بن واسع قال: كل يوم ينتقل منا إلى المقابر ثلاثة وكأنك بهذا الأمر قد عم أحزاننا حتى يلحق منا ولنا

شهد الحسن جنازة فاجتمع عليه الناس فقال: اعملوا مثل هذا اليوم -رحمكم الله- فإنما هم إخوانكم يقدمونكم وأنتم بالأثر أيها المخلف بعد أخيه إنك الميت غدا والباقي بعد والميت في أثرك أولا بأول حتى توافوا جميعا قد عمكم الموت واستويتم جميعا في كربة وغصصه ثم تخلّيتم إلى القبور ثم تنشرون جميعا ثم تعرضون على ربكم -عز وجل

وقال صفوان بن عمرو: ذكروا النعيم فسموا أناسا فقال رجل: أنعم الناس أجسادا في التراب قد أميت وبقى ينتظر الثواب

وقال مسروق: ما من بيت خير للمؤمن من لحده قد استراح من أمر الدنيا أو من عذاب الله

وقال بشر بن الحارث: نعم المنزل القبر لمن أطاع الله

وقال الفضل بن غسان: مر رجل بقبر محفور فقال: المقيبل للمؤمن هذا أقول هذا القول، وأستغفر الله العظيم الكريم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب؛ فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

### الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما.

### أما بعد:

وقال: ونظر رجل إلى القبر فقال: أصبح هؤلاء زاهدين فيما نحن فيه راغبون. وعن عقبة البزار قال: رأى أعرابي جنازة فأقبل يقول: هنيئا يا صاحبها. فقلت: علام تهنته؟

قال: كيف لا أهنت من يذهب له إلى حبس جواد كريم نزله عظيم عفوه جسيم قال: كأني لم أسمع القول إلا تلك الساعة

قال ابن أبي الدنيا: ثنا أبو مالك البجلي عن أبي معاوية قال: ما لقيني مالك بن مغول إلا قال لي: لا تغرنك الحياة واحذر القبر إن للقبر شأننا (١)

عن خالد بن أحمد بن أسد قال: أخذت بيدي علي بن جبلة يوما فأتينا أبا

---

١ - أهوال القبور (ص: ٢٤٤)

العتاهية فوجدناه في الحرم فانتظرناه فلم يلبث أن جاء فدخل عليه إبراهيم بن مقاتل  
بن سهل: - وكان جميلا فتأمله أبو العتاهية وقال متمثلا

يا حسان الوجوه سوف تموتون ... وتبلى الوجوه تحت التراب

فأقبل علي بن جبلة فقال:

اكتب يا مربي شبابه للتراب ... سوف يأكل البلى بعض الشباب

يا ذوي الوجوه الحسان المصونات ... وأجسامها الغضاض الرطاب

أكثروا من نعيمها أو أقلوا ... سوف تهدونها لعفر التراب

قد نعتك الأيام نعيلا صحيحا ... تفارق الإخوان والأصحاب

فقال أبو العتاهية: قل يا خالد قلت: معك ومع أبي الحسن قال: نعم فقلت:

يا مقيمين رحلوا للذهاب ... أشفير القبور وخطوا الركاب

نعموا الأوجه الحسان ... فما صونكموها إلا بعفر التراب

والبسوا ناعم الثياب ... ففي الحفر تعرفون من جميع الثياب

قد ترون الشباب كيف يموتون ... إذا استضروا بباء الشباب (١)

---

١ - أهوال القبور (ص: ٢٤٤)

## (٢١) آداب الجنائز

### الخطبة الأولى

الحمد لله منشئ الموجودات، وباعث الأموات، وسامع الأصوات، ومجيب الدعوات، وكاشف الكربات، عالم الأسرار، وغافر الأوزار، ومنجي الأبرار، ومهلك الفجار، ورافع الدرجات، الذي علم وألهم، وأنعم وأكرم، وحكم وأحكم، وأوجب وألزم (وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات).

واشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو علي كل شيء قدير.

يا من له علم الغيوب ووصفه    ستر العيوب وكل ذاك سماح  
أخفيت ذنب العبد عن كل    الورى كرما فليس عليه ثم جناح  
فلك التفضل والتكرم والرضا    أنت الكريم الواهب الفتاح  
وأشهد أن سيدنا وحيينا وشفيعنا محمد عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه  
وحييه

وعلى اله وأصحابه ومن سار على نهجه وتمسك بسنته واقتدى بهديه واتبعهم  
ياحسان إلى يوم الدين ونحن معهم يا أرحم الراحمين

أحباب رسول الله ﷺ ما أحوجنا إلى أن نتعلم الآداب الشرعية السنن المرعية  
للجنائز حيث أننا نرى كثيرا من تلك المخالفات التي لا تتوافق مع مشهد من أعظم  
المشاهد أثرا على النفس ولكن لما انشغل الناس بالدنيا وصدق فيهم قول الله تعالى  
{لَهُكُمْ التَّكَاثُرُ (١) حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ} [التكاثر: ١، ٢] قل الخوف وقل التأدب مع  
المشهد



لذا فأنا أضع بين يدي كل مسلم الآداب التي ينبغي علينا أن نتحلى بها وهما:

بيانها:

### أولاً: الدعاء وقول الخير

عن أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " إذا حضرتم المريض أو الميت فقولوا خيراً؛ فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون " (١) .

### رسول الله ﷺ وشهوده للمحتضرين:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: " لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم - أي المدينة - كنا نؤذنه لمن حضر من موتانا؛ فيأتيه قبل أن يموت فيحضره ويستغفر له ويبتدر موتته، فكان ذلك ربها حبسه الحبس الطويل فشق عليه فقلنا: أرفق برسول الله ألا نؤذنه بالميت حتى يموت؛ فكلنا إذا مات منا الميت آذناه به، فجاء في أهله فاستغفر له وصلى عليه، ثم إن بدا له أن يشهده انتظر شهوده، وإن بدا له أن ينصرف انصرف، فكلنا على ذلك طبقة أخرى، فقلنا: أرفق برسول الله صلى الله عليه وسلم أن نحمل موتانا إلى بيته ولا نشخصه ولا نعينه - أي ولا نخرجه ولا نتعبه - ففعلنا ذلك " (٢) .

### تعجيل قضاء الدين عن الميت:

ومما يجب على أهل الميت أن يقوموا بتعجيل قضاء دينه قبل دفنه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: ((نفسُ المؤمن معلقةٌ بدينه

---

١ - أخرجه أحمد (٣٢٢/٦، رقم ٢٦٧٨٢)، ومسلم (٦٣٣/٢، رقم ٩١٩)، وأبو داود (٣/١٩٠، رقم ٣١١٥).

٢ - رواه الإمام أحمد في ج ٣ / ص ٦٦ حديث رقم: ١١٦٤٦ [صححه العلامة الألباني في أحكام الجنائز برقم: (٤٥)، ووثقه الإمام الهيثمي في المجمع،

حتى يُقضى عنه)) (١)

وهذا يدل على حرص الشارع الحكيم على حفظ الحقوق بين الناس، حتى بعد المات، وعدم ضرر الحي بسبب موت المدين، فيبغضه ويكرهه بتأذيته منه، ويبدو منه مدى حرص الشارع على حفظ المودة والمحبة حتى بعد الوفاة.

قال ابنُ الأمير الصنعاني - رحمه الله تعالى - : "وقد وردَ التشديدُ في الدَّينِ حتى ترك - صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم - الصلاةَ على مَنْ مات وعليه دين، حتى تحمَّله عنه بعض الصحابة، وأخبر - صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم - «يغفر للشهيد كل ذنب إلا الدين» (٢)

وهذا الحديث من الدلائل على أنه لا يزال الميت مشغولاً بدينه بعد موته، ففيه حثٌّ على التخلُّص عنه قبل الموت، وأنه أهمُّ الحقوق، وإذا كان هذا في الدَّين المأخوذ برضا صاحبه، فكيف بما أخذ غصباً ونهباً وسلباً؟! (٣)

### ثانياً: الرفق بنعش الميت.

وإن من الملاحظ في بعض الجنازات وخاصة إذا كان الميت شاباً فإننا نجدهم يزدحمون عليه و يقومون بزلزلته وربما سقط المحمل في بعض الجنازات قال عطاء: حضرنا مع ابن عباس جنازة ميمونة بسرف. فقال ابن عباس: هذه زوجة النبي - صلى الله عليه وسلم - فإذا رفعت نعشها فلا تززعوها ولا تزلزلوها وارفقوا (٤).

### ثالثاً: الإسراع بالجنازة.

١ - أخرجه الشافعي (١/ ٣٦١)، وأحمد (٢/ ٥٠٨، رقم ١٠٦٠٧)، والترمذي (٣/ ٣٨٩، رقم ١٠٧٨،

(١٠٧٩)

٢ - أخرجه أحمد (٢/ ٢٢٠، رقم ٧٠٥١)، ومسلم (٣/ ١٥٠٢، رقم ١٨٨٦).

٣ - سبل السلام (١/ ٤٦٩)

٤ - مسند أحمد ط الرسالة (٣/ ٤٨٢) وأخرجه البخاري في "صحيحه" (٣٢١٨) و (٤٧٣١) و

(٧٤٥٥)، وفي "خلق أفعال العباد" (٥٧٤)،



ومن الأمور المسنونة الإسراع بالجنائز فإن كانت صالحة فخيرا تقدمونها إليه وإن كانت غير ذلك فشرأ تضعونه عن رقابكم ففي جامع الترمذي عن أبي هريرة يبلغ به النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "أسرعوا بالجنائز، فإن يكن خيرا تقدموها إليه، وإن يكن شرًا تضعوه عن رقابكم" (١)

عبيدة بن عبد الرحمن -رحمه الله- قال: حدثني أبي، قال: شهدت جنازة عبد الرحمن بن سمرة، وخرج زياد يمشي بين يدي السرير، فجعل رجال من أهل عبد الرحمن ومواليهم يستقبلون السرير، ويمشون على أعقابهم، ويقولون: رويدا رويدا، بارك الله فيكم، فكانوا يدبون ديبيا، حتى إذا كنا ببعض طريق المبرد لحقنا أبو بكر على بغلة، فلما رأى الذي يصنعون، حمل عليهم ببغلتة، وأهوى إليهم بالسوط، وقال: خلوا، فوالذي أكرم وجه أبي القاسم -صلى الله عليه وسلم-، لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ، وإنا لنكاد نرمل بها رملا، فانبسط القوم. (٢).

وفي رواية أبي داود: «أنه كان يمشي في جنازة عثمان بن أبي العاص، وكنا نمشي مشيا خفيفا، فلحقنا أبو بكر، فرفع سوطه فقال: لقد رأيتنا مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- نرمل رملا». (٣).

والمراد بالإسراع: الزيادة على المشي المعتاد، لكن بحيث لا ينتهي إلى شدة يخاف معها حدوث مفسدة للميت أو مشقة على الحامل أو المشيع.

#### رابعاً: السير حيث شاء للماشي والراكب خلفها.

قال في "شرح المقنع": أكثر أهل العلم يرون الفضيلة للماشي أن يكون أمام الجنائز،

١ - أخرجه الترمذي ١٠١٥ [قال الألباني]: صحيح  
٢ - أخرجه أحمد (٣٦/٥). وأبو داود (٣١٨٢). والنسائي (٤٢/٤)  
٣ - أخرجه أحمد (٣٦/٥) وأبو داود (٣١٨٢). والنسائي (٤٢/٤) [قال الألباني]: صحيح لكن قوله عثمان ابن أبي العاص شاذ والمحموظ عبد الرحمن بن سمرة

وروي ذلك عن أبي بكر، وعمر، وعثمان، وابن عمر، وأبي هريرة، والحسن بن علي، وابن الزبير، وأبي قتادة، وغيرهم من الصحابة -رضوان الله عليهم (١).

وروى الإمام أحمد، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وغيرهم، من حديث ابن عمر -رضي الله عنهما-: أنه رأى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وأبا بكر، وعمر يمشون أمام الجنازة (٢).

وروى الطبراني، عن سالم: أن ابن عمر كان يمشي بين يدي الجنازة، وقد كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأبو بكر وعمر يمشون أمامها (٣).

قال ابن المنذر: ثبت أن النبي -صلى الله عليه وسلم- وأبا بكر وعمر كانوا يمشون أمام الجنازة.

وقال أبو صالح: كان أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يمشون أمام الجنازة، ولأنهم شفعاء له بدليل قوله -عليه السلام-: "ما من ميت يصلي عليه أمة من المسلمين يبلغون مئة، كلهم يشفعون له، إلا شفَعوا فيه" رواه مسلم (٤)، والشفيع يتقدم المشفوع له (٥).

وقال الأوزاعي، وأصحاب الرأي: المشي خلفها أفضل؛ لما روى ابن مسعود، عن النبي -صلى الله عليه وسلم-: أنه قال: "الجنازة متبوعة، ولا تتبع، ليس منا من تقدمها" رواه الإمام أحمد (٦)، وفي سنده يحيى الجابر، قال يحيى بن معين فيه: لا شيء، وقال مرة: ضعيف. وقال ابن حبان: يروي المناكير، لا يجوز الاحتجاج به

١ - رواه الإمام أحمد في "المسند" (٨ / ٢)، وأبو داود (٣١٧٩).

٢ - رواه الطبراني في "المعجم الكبير" (١٣١٣٣)، وكذا الإمام أحمد في "المسند" (٣٧ / ٢).

٣ - رواه الطبراني في "المعجم الكبير" (١٣١٣٣)، وكذا الإمام أحمد في "المسند" (٣٧ / ٢).

٤ - رواه مسلم (٩٤٧)، كتاب: الجنائز، باب: من صلى عليه مئة شفَعوا فيه.

٥ - "شرح المقنع" لابن أبي عمر (٣٦٢ / ٢).

٦ - رواه الإمام أحمد في "المسند" (١ / ٣٩٤).

بحال.

وفيه أبو ماجد، وهو تابعي، قال الدار قطني: مجهول.

قال الحافظ ابن عبد الهادي في "تنقيح التحقيق": حديث أبي ماجد عن ابن مسعود، رواه أبو داود، وابن ماجه، والترمذي، وقال: غريب، وسمعت محمد بن إسماعيل يضعف حديث أبي ماجد هذا (١).

وقال البيهقي: هو حديث يحيى بن عبد الله الجابر، ضعيف، وأبو ماجدة، وقيل: أبو ماجد مجهول، وقال الدار قطني: مجهول متروك.

وقال البخاري: قال الحميدي، عن ابن عيينة، قلت ليحيى الجابر: من أبو ماجد؟ قال: طار طير علينا، فحدثنا، وهو منكر الحديث، وقال الترمذي: أبو ماجد رجل مجهول (٢).

واحتجوا بقول علي - رضي الله عنه -: فضل الماشي خلف الجنازة، على الماشي قدامها، كفضل المكتوبة على التطوع، سمعته من رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، رواه الإمام أحمد (٣)، من غير سنده إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وقال: إنه رأي للإمام علي، لا رواية.

وأما رفعه لرسول الله ﷺ: فرواه ابن شاهين، عن أبي سعيد، عن علي، فقال له أبو سعيد: قلت: برأيك تقول؟ قال: بل سمعته من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - غير مرة، ولا مرتين، حتى بلغ سبع مرات (٤).

قال ابن الجوزي في "تحقيق التعليق": حديث باطل، في إسناده جماعة متروكون

١ - رواه أبو داود (٣١٨٤)، كتاب: الجنائز، باب: الإسراع بالجنازة، والترمذي

٢ - انظر: "تنقيح التحقيق" لابن عبد الهادي (١٤١ / ٢).

٣ - رواه الإمام أحمد في "المسند" (٩٧ / ١).

٤ - ورواه عبد الرزاق في "المصنف" (٦٢٦٧).

(١)

الخلاصة: أن السنة التي كان عليها النبي - صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر  
وعثمان = رضي الله عنهم أجمعين المشي أمامها.

أقول هذا القول، وأستغفر الله العظيم الكريم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل  
ذنب؛ فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

### الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله،

صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما.

أما بعد:

### خامسا: نهى النساء عن اتباع الجنائز:

اعلم -بارك الله فيك: هذا الفضل -المتقدم- في اتباع الجنائز إنما هو للرجال

دون النساء، لنهي النبي صلى الله عليه وسلم لهن عن اتباعها: فعن أم عطية قالت:

«نُهينا عن اتباع الجنائز ولم يُعزم علينا»<sup>(٢)</sup>.

وقد حمل جمهور العلماء هذا النهي على الكراهة لا على التحريم<sup>(٣)</sup> لقولها: «ولم

يُعزم علينا».

لكن... قال شيخ الإسلام: «قد يكون مرادها: لم يؤكد النهي، وهذا لا ينفي

التحريم، وقد تكون هي ظنت أنه ليس بنهي تحريم، والحجة في قول النبي صلى الله

١ - انظر: "التحقيق في أحاديث الخلاف" لابن الجوزي (٢/ ١٣).

٢ - أخرجه البخاري (١٢٧٨)، ومسلم (٩٣٨).

٣ - «المجموع» (٥/ ٢٧٧)، و«فتح الباري» (٢/ ٥٩٩)، و«ابن عابدين» (١/ ٢٠٨).

عليه وسلم لا في ظنِّ غيره» اهـ. (١)

### ما يؤخذ من الحديث:

١- نهى النساء عن اتباع الجنائز، وهو عام في اتباعها إلى حيث تجهيز ويصلى عليها وإلى المقبرة حيث تدفن.

٢- علة النهي أن النساء لا يطقن مثل هذه المشاهد المحزنة والمواقف المؤثرة، فربما ظهر منهن من التسخط والجزع ما ينافي الصبر الواجب.

٣- الأصل في النهي التحريم إلا أن أم عطية فهمت من قرينة الحال أن نهيهن عن اتباع الجنائز ليس جازما مؤكداً.

٤- لكن قال ابن دقيق العيد: قد وردت أحاديث أدل على التشديد في اتباع الجنائز أكثر مما يدل عليه هذا الحديث. (٢)

### سادساً: عدم اللغو وإيثار الصمت.

واعلم -زادني الله وإياك علماً-: أن من الآداب المفقودة في جنازتنا اليوم الصمت، فأصبحنا نرى من يتشاغلون بالدنيا واللهث وراءها حتى في مشهد الجنازة وآخر ينشغل بالهاتف وهذا إن دل فإنما يدل على مرض القلوب فالمشهد مشهد عظة وعبرة

عن قيس بن عباد قال: «كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يكرهون رفع الصوت عند الجنائز» (٣).

ولا يجوز رفع الصوت بالذكر ولا بقراءة القرآن لان هذه الأشياء من التشبه بالنصارى فإنهم يرفعون أصواتهم بشيء من أناجيلهم وأذكارهم مع التمطيط

١- «الفتاوى» (٢٤ / ٣٥٥)

٢- تيسير العلام شرح عمدة الحكام- للباسام (١ / ٢٦١)

٣- أخرجه البيهقي (٤ / ٧٤) بسند رجاله ثقات.

والتلحين والتحرزين.

قال النووي: «واعلم أن الصواب المختار، وما كان عليه السلف رضي الله عنهم السكوت في حال السير مع الجنازة، فلا يُرفع صوتٌ بقراءة ولا ذكر ولا غير ذلك، والحكمة فيه ظاهرة، وهي انه أسكنُ لخاطره، وأجم (١)

ومن الطوام أن يتشه المسلمون بالغرب في جنازتهم وتشيعها بالمعازف والطبول

قال الألباني -رحمه الله-: «وأقبح من ذلك تشييعها بالعزف على الآلات الموسيقية أمامها عزفًا

حزينًا كما يفعل في بعض البلاد الإسلامية تقليدًا للكفار، والله المستعان» اهـ. (٢)

قال ابن قدامة الحنبلي في المغنى: يستحب لمتبع الجنازة أن يكون متخشعًا، متفكرًا في مآله، متعظًا بالموت، وبها يصير إليه الميت، ولا يتحدث بأحاديث الدنيا، ولا يضحك.

رأى بعض السلف رجلًا يضحك في جنازة فقال: أتضحك وأنت تتبع الجنازة؟! لا كلمتك أبدًا. (٣)

قال سعد بن معاذ: «ما تبعت جنازة فحدثت نفسي بغير ما هو مفعول بها» (٤)

**سابعًا: يستحب القيام للجنازة إذا مرت بالمسلم**

عن عامر بن ربيعة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا رأيتم الجنازة فقوموا

١ - الأذكار» (ص: ٢٠٣)

٢ - أحكام الجنائز» (ص: ٩٢)

٣ - المغني - ابن قدامة (٢ / ٣٥٤)

٤ - انظر: "شرح المقنع" لابن أبي عمر (٢ / ٣٦٠ - ٣٦١).



حتى تخلفكم [أو توضع]» (١)

وفي لفظ عن سهل بن حنيف وقيس بن سعد: «أليست نفساً؟» (٢)

لكن ذهب أكثر أهل العلم من الأئمة الأربعة وغيرهم إلى أن القيام للجنابة منسوخ بحديث علي بن أبي طالب قال: «قام رسول الله صلى الله عليه وسلم للجنابة فقمنا، ثم جلس فجلسنا» (٣).

وفي لفظ: «... ثم جلس بعد ذلك، وأمرنا بالجلوس» (٤).

ذهب ابن حزم وابن حبيب وابن الماجشون من المالكية وبعض الشافعية - واختاره النووي - إلى أن فعوده صلى الله عليه وسلم بعد أمره بالقيام لبيان الجواز وأن الأمر كان للندب، وأن النسخ لا يُصار إليه إلا إذا تعذر الجمع وهو هنا ممكن. والذي أراه أن دعوى النسخ غير مستقيمة لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - بين لأُمَّته العلة من القيام في ثلاثة مواقف

#### العلة الأولى: أنها نفس ومن إكرام النفس القيام لها

عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: "كان سهل بن حنيف وقيس بن سعد قاعدين بالقادسية، فمروا عليهما بجنابة فقاما، فقبل لهما: إنها من أهل الأرض - أي: من أهل الذمة - فقالا: إن النبي - صلى الله عليه وسلم - مرت به جنابة فقام فقبل له: إنها جنابة يهودي. فقال: أليست نفساً؟!". (٥)

١ - (أخرجه البخاري (١٣٠٧)، ومسلم (٩٥٨)).

٢ - أخرجه أحمد (٦/٦). والبخاري (١٠٧/٢). ومسلم (٥٨/٣). والنسائي (٤٥/٤)

٣ - مسند أحمد ط الرسالة (٢/٣٣٣)

وأخرجه ابن أبي شيبة ٣/٣٥٩، وابن ماجه (١٥٤٤)

٤ - أخرجه أحمد (١/٨٢)، رقم (٦٢٣)، وأبو يعلى (١/٢٦١)، رقم (٣٠٨)، وابن حبان (٧/٣٢٦)، رقم (٣٠٥٦).

٥ - أخرجه أحمد (٦/٦). والبخاري (١٠٧/٢). ومسلم (٥٨/٣). والنسائي (٤٥/٤)

## العلّة الثانیة أن الموت أمر فزع تفرع من القلوب: لذا شرع القیام للجنّازة لیتنبه الغافل

عن جابر قال كنا مع النبی -صلى الله علیه وسلم- إذ مرّت بنا جنّازة فقام لها فلما ذهبنا لنحمل إذا هي جنّازة یهودی فقلنا یا رسول الله إنما هي جنّازة یهودی. فقال «إن الموت فزع فإذا رأیتم جنّازة فقوموا». (١)

قال القرطبی: معناه أن الموت یفزع منه إشارة إلى استعظامه. ومقصود الحديث أن لا یستمر الإنسان على الغفلة بعد رؤية الموت لما یشعر ذلك من التساهل بأمر الموت، فمن ثم استوی فیهِ كون المیت مسلماً أو غیر مسلم. وقال غیره: جعل نفس الموت فزعاً مبالغة، كما یقال رجل عدل. قال البیضاوی: هو مصدر جرى مجرى الوصف للمبالغة، أو فیهِ تقدیر الموت ذو فزع -انتهى (٢)

## العلّة الثالثة من علل القیام أن القیام للملائكة الذین مع الجنّازة

عن أنس، أن جنّازة مرّت برسول الله صلى الله علیه وسلم فقام، فقیل: إنها جنّازة یهودی، فقال: «إنما قمنا للملائكة» (٣)

قال محمد بن علی -رحمه الله- أي لاحترامهم، حیث قاموا بأمر عظیم، وهو قبض الروح، ولا تعارض بینہ وبين ما تقدم من التعلیل بكونها نفساً، وبأن للموت فزعاً، إذ یجوز تعدد الأغراض والعلل، فیكون القیام مطلوباً لكونها نفساً، ولكون الموت فزعاً، ولاحترام الملائكة، وقد تقدم فی الحديث الذی قبله أنه كان الأولى للمصنف إیراده فی الباب الذی قبله، إذ هو المناسب له. والله تعالى أعلم بالصواب،

١ - أخرجه أحمد (٣/٣١٩، رقم ١٤٤٦٧)، ومسلم (٢/٦٦٠، رقم ٩٦٠)، وأبو داود (٣/٢٠٤، رقم ٣١٧٤)

٢ - مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٥/٣٦٦)

٣ - أخرجه الطبراني في الأوسط (٨/٣٠٧، رقم ٧٨١٢) قال الهيثمي (٧/٢١١): فيه عبد الله بن صالح، وثقه عبد الملك بن شعيب، وضعفه غيره. وأخرجه أيضاً: ابن أبي عاصم (١/١٠٣، رقم ٢٢٩)

وإليه المرجع والمآب. (١)

قال الزرقاني - رحمه الله - ولأحمد وابن حبان والحاكم عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً: "إنما قمنا إعظاماً للذي يقبض النفوس" ولفظ ابن حبان: "الله الذي يقبض الأرواح" ولا منافاة بين هذه التعاليل؛ لأن القيام للفرع من الموت فيه تعظيم لأمر الله وتعظيم للقائمين بأمره في ذلك وهم الملائكة، ومقصود الحديث أن لا يستمر الإنسان على الغفلة بعد رؤية الميت لإشعاره بالتساهل بأمر الموت ولذا استوى كون الميت مسلماً أو غير مسلم. (٢)

ومن خلال تلك العلل يتبين للقارئ قوة رأي من قال أن القيام للجنائز غير

منسوخ

الدعاء.....

---

١ - ذخيرة العقبى في شرح المجتبى (١٩ / ١٠٩)

٢ - شرح الزرقاني على الموطأ (٢ / ١٠٠)

## (٢٢) آداب القبور

### الخطبة الأولى

الحمد لله الذي وفق العاملين لطاعته فوجدو سعيهم مشكورا، وحقق آمال  
الأمليين برحمة فمنحهم عطاء موفورا، وبسط بساط كرمه للتائبين فأصبح وزرهم  
مغفورا، وأسبل من نعمه على الطالبين وابلا غزيرا، سبحانه فتح الباب للطلبين،  
وأظهر غناه للراغبين، وأطلق للسؤال ألسنة القاصدين، وقال في كتابه المبين  
((ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم  
داخرين))

واشهد أن لا اله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو علي كل

شيء قدير

يا من يجيب دعاء المضطر في الظلم      يا كاشفا الضر والبلوى مع السقم  
قد نام الوفد حول البيت وانتبهوا      وأنت عيناك يا قيوم لم تنم  
هب لنا بجودك فضل العفو عن      يا من إليه أشار الخلق في الحرم  
إن كان عفوك لا يدركه ذو سرف      فمن يجود على العاصين بالكرم  
وأشهد أن سيدنا وحيينا وشفيعنا محمد عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه  
وحيب الذي سبح نفسه بها أولاه من وده، فقال جل وعلى ((سبحان الذي أسرى  
بعبه))

يا سيدي يا رسول الله:

أنت الذي تستوجب التفضيلا      فصلوا عليه بكرة وأصيلا  
ملئت بنبوته الوجود فأظهرا      بحسامه الدين الصحيح فأسفرا  
ومن لم يصل على غيره كان بخيلا      فصلوا عليه وسلموا تسليلا  
وعلى اله وأصحابه ومن سار على نهجه وتمسك بسنته واقتدى بهديه واتبعهم

بإحسان إلى يوم الدين ونحن معهم يا أرحم الراحمين

## ثم أما بعد آداب القبور

اعلم علمني الله تعالى إياك: أنك إذا وصلت إلى المقابر فعليك أن تتأدب بآدابها  
فأنت في معسكر الأموات ومن تلك الآداب:

١- السلام على أهلها المؤمنين، والدعاء لهم، فعن بريدة قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر، فكان قائلهم يقول: "السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم للاحقون، أسأل الله لنا ولكم العافية" (١)

قال الصنعاني - رحمه الله - وسؤاله العافية دليل على أنها من أهم ما يطلب وأشرف ما يسأل والعافية للميت بسلامته من العذاب ومناقشة الحساب. (٢)

## ٢- عدم الجلوس إلا بعد أن توضع الجنازة عن الأعناق

عن أبي سعيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا رأيتم الجنازة فقوموا، فمن تبعها فلا يقعد حتى توضع» (٣)

والمراد حتى توضع على الأرض عن الأعناق، وقيل: حتى توضع في اللحد.

وقد قال باستحباب القيام حتى توضع الجنازة، أكثر الصحابة والتابعين - كما نقله ابن المنذر، وهو قول الأوزاعي وأحمد وإسحاق ومحمد بن الحسن وهو المختار عند الشافعية. (٤)

١ - أخرجه أحمد (٣٥٣/٥) ومسلم (٦٤/٣) وابن ماجه (١٥٤٧)

٢ - سبل السلام (١/٥٠٩)

٣ - أخرجه البخاري (١٣١٠)، ومسلم (٩٥٩).

٤ - «فتح الباري» (٣/٢١٣)، و«المجموع» (٥/٢٨٠)، و«الاعتبار» للحازمي (ص: ١٣٨).

٣- عدم الجلوس عليها، فعن عُقْبَةَ بن عامر -رضي الله عنه- قال: قال رسولُ الله -صلى الله عليه وسلّم-: ((لأنَّ أمشيَّ على جمرَةٍ أو سيفٍ، أو أخصف نعلي برجلي، أحبُّ إليَّ من أن أمشيَّ على قبرٍ مسلمٍ)) (١)

وعن أبي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلّم- قال: ((لأنَّ يجلسَ أحدكم على جمرَةٍ فتحرق ثيابه فتخلص إلى جلده، خير له من أن يجلس على قبرٍ)) (٢).

قال النووي رحمه الله -وفي هذا الحديث كراهة تجصيص القبر والبناء عليه وتحريم القعود، والمراد بالقعود الجلوس عليه. هذا مذهب الشافعي وجمهور العلماء، وقال مالك في الموطأ: المراد بالقعود الجلوس، ومما يوضحه الرواية المذكورة بعد هذا: (لا تجلسوا على القبور). وفي الرواية الأخرى: (لأنَّ يجلس أحدكم على جمرَةٍ فتحرق ثيابه فتخلص إلى جلده خير له من أن يجلس على قبر) قال أصحابنا: تجصيص القبر مكروه، والقعود عليه حرام، وكذا الاستناد إليه والاتكاء عليه.

وأما البناء عليه فإن كان في ملك الباني فمكروه، وإن كان في مقبرة مسبلة فحرام. نص عليه الشافعي والأصحاب. قال الشافعي في الأم: ورأيت الأئمة بمكة يأمرون بهدم ما يبني، ويؤيد الهدم قوله: (ولا قبرا مشرفا إلا سويته). (٣)

وعن أبي مرثد الغنوي أن النبي -صلى الله عليه وسلّم- قال: ((لا تُصلُّوا إلى القبور، ولا تجلسوا عليها)) (٤)

١ - أخرجه ابن ماجه (١/٤٩٩، رقم ١٥٦٧).، وصحيح ابن ماجه (١/٢٦١) (صحيح) الإرواء ٦٣ : الأحكام ٤٠٩ .

٢ - أخرجه أحمد (٢/٣١١، رقم ٨٠٩٣)، ومسلم (٢/٦٦٧، رقم ٩٧١).

٣ - شرح النووي على مسلم (٣/٣٩١)

٤ - مسند أحمد ط الرسالة (٢٨/٤٥٠)

وأخرجه مسلم (٩٧٢) (٩٧)، والترمذي (١٠٥١)، والنسائي في "المجتبى" ٦٧/٢، وفي "الكبرى"

قال المناوي - رحمه الله تعالى - : "قال الطَّيِّبِي: جعل الجلوس على القبر وسريان ضرره إلى قلبه، وهو لا يشعر بمنزلة سراية النَّارِ من الثوب إلى الجلد ثم إلى داخله" (١).

وقال ابنُ عثيمين - رحمه الله تعالى - عند شرحه لحديث: ((لأن يجلس أحدكم على جمرة)) وهذا يدلُّ على التحريم، وأنه لا يجوز للإنسان أن يجلس على قبر المسلم، وإذا أراد أن يجلس فليجلس من وراء القبر يجعل القبر خلف ظهره أو عن يمينه أو عن شماله، وأمَّا أن يجلس عليه فهذا حرام، ومثل ذلك الغلو في القبر؛ ولهذا نهى النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أن يخصَّص القبر، وأن يُبنى عليه، وأن يُكتب عليه؛ لأنَّ تجصيصه، يعني تفخيمه، وتعظيمه يؤدِّي إلى الشُّرك به، وكذلك البناء عليه، فالتجصيص حرام، والبناء أشدُّ حرمةً، والكتابة عليه فيها تفصيل: الكتابة التي لا يُراد بها إلا إثبات الاسم للدلالة على القبر، فهذه لا بأس بها، وأمَّا الكتابة التي تشبه ما كانوا يفعلونه في الجاهلية يكتب اسم الشخص، ويكتب الثناء عليه، وأنه فعل كذا وكذا، وغيره من المديح، أو تُكتب الأبيات، فهذا حرام، ومن هذا ما يفعله بعض الجهَّال أنه يكتب على الحجر الموضوع على القبر سورة الفاتحة مثلاً، أو غيرها من الآيات، فكلُّ هذا حرام" (٢).

٤- أن لا يمشي بينها بنعال سبتية، وهي المدبوغة بالقرظ سميت بذلك لأن شعرها قد سبت عنها، أي حلق وأزيل

فعن بشير بن الخصاصية أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً يمشي بين القبور في نعليه، فقال: "يا صاحب السبتيتين ألقهما" (٣)

(١)، (٨٣٦)، وابن خزيمة (٧٩٣)، والطبراني في "الكبير" ١٩ / (٤٣٣)

١ - فيض القدير " ٥ / ٢٥٨ .

٢ - شرح رياض الصالحين " (٦ / ٥٢١-٥٢٢) .

٣ - مسند أحمد ط الرسالة (٣٤ / ٣٨٠) أخرجه ابن أبي شيبة ٣ / ٣٩٦، وابن أبي عاصم في "الآحاد

يقول بدر الدين العيني - رحمه الله - و"السَّبْتِيَّة" بكسر السين وسكون الباء الموحدة نسبة إلى السَّبْت، وهو جلود البقر المدبوغة بالقرظ تتخذ منها النعال سميت بذلك؛ لأن شعرها قد سبت عنها أي حلق وأزيل، وقيل: لأنها انسبت بالدباغ أي لانت، وإنما أطلق - عليه السلام - على النعل المتخذ من السبت سَبْتِيًّا بالنسبة، وقد جاء في بعض الروايات بدون النسبة: "يا صاحب السَّبْتين" فهذا من قِبَل قولهم: فلان يلبس الصوف والإبريسم وأراد به الثياب المتخذة منها، وهذا على طريق الاتساع والمجاز.

ص: قال أبو جعفر - رحمه الله -: فذهب قوم إلى هذا الحديث، فكرهوا المشي بالنعال بين القبور.

ش: أراد بالقوم هؤلاء: يزيد بن زريع وأحمد بن حنبل وأهل الظاهر؛ فإنهم كرهوا المشي بالنعال بين القبور.

وقال ابن حزم في "المحلى": ولا يحل لأحد أن يمشي بين القبور بنعلين سبتيتين، وهما اللذان لا شعر فيهما، فإن كان فيهما شعر جاز ذلك، فإن كانت إحداهما بشعر والأخرى بلا شعر جاز المشي فيهما.

وفي "المغني": وتخلع النعال إذا دخل المقابر هذا مستحب، ثم روى الحديث المذكور.

ص: وخالفهم في ذلك آخرون، فقالوا: قد يجوز أن يكون النبي - عليه السلام - أمر ذلك الرجل بخلع النعلين لا لأنه كره المشي بين القبور بالنعال، لكن لمعنى آخر من قدر رأه فيهما يقدر القبور، وقد رأينا رسول الله - عليه السلام - صلى وعليه نعله، ثم أمر بخلعها فخلعها وهو يصلي، فلم يكن ذلك على كراهة الصلاة

---

والثاني" (١٦٥١)، وابن ماجه (١٥٦٨)، والنسائي ٩٦/٤، والطحاوي ١/٥١٠، والحاكم

في النعلين، ولكنه للقذر الذي فيها.

ش: أي خالف القوم المذكورين جماعة آخرون، وأراد بهم: الحسن البصري ومحمد بن سيرين والنخعي والثوري وأبا حنيفة ومالكاً والشافعي وجماهير الفقهاء من التابعين ومن بعدهم؛ فإنهم أباحوا المشي بين القبور في النعال إذا كانت طاهرة، وقال ابن قدامة: وأكثر أهل العلم لا يرون بذلك بأساً.

قوله: "فقالوا" أي هؤلاء الآخرون، وأراد به الجواب عن الحديث المذكور، بيانه: أنه قد يجوز أن يكون النبي -عليه السلام- أمر صاحب السَّبْتَيْنِ بالخلع لا لكون المشي بين القبور بالنعال مكروهاً، ولكن لما رأى -عليه السلام- قذراً فيهما يقدر القبور فلذلك أمر بخلعهما.

وقال ابن الأثير: إنما اعترض عليه بالخلع احتراماً للمقابر لأنه كان يمشي بينها، أو لاختياله في مشيه، ومنه حديث ابن عمر: "إنك تلبس النعال السَّبْتِيَّة" إنما اعترض عليه لأنها نعال أهل النعمة والسعة.

وقال الخطابي: يشبه أن يكون إنما كره ذلك لما فيه من الخيلاء؛ لأنها من لباس أهل السرف والتنعيم، فأحب أن يكون دخوله المقبرة على زي التواضع والخشوع.

وقال ابن الجوزي: هذا تكلف من الخطابي؛ لأن ابن عمر -رضي الله عنهما- كان يلبس النعال السبتيّة ويتوخى التشبه بسيدنا رسول الله -عليه السلام- في نعاله؛ لأن نعاله كانت سبتيّة، أو لأن السبتيّة كانت تشبهها، وما كان ابن عمر يقصد التنعيم بل يقصد السنة، وليس في هذا الحديث سوى الحكاية عمن يدخل المقابر، وذلك لا يقتضي إباحة ولا تحريمًا، ويدل على أنه أمره بخلعهما احتراماً للقبور؛ لأنه نهي عن الاستناد إلى القبر والجلوس عليه. انتهى.

وفيه ذهول عما ورد في بعض الأحاديث: أن صاحب القبر كان يُسأل، فلما سمع صرير السبتيّين أصغى إليه فكاد يهلك لعدم جواب الملكين، فقال له النبي -عليه

السلام - : "ألقيها لئلا تؤذي صاحب القبر". ذكره أبو عبد الله الترمذي. (١)  
أقول هذا القول، وأستغفر الله العظيم الكريم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل  
ذنب؛ فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

### الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين.  
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله،  
صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما.

أما بعد:

### وعظ الناس وتذكيرهم بعد الدفن:

وعلى كل حال فلو وعظ خفيفا فأرجو ألا يكون به بأس فلقد صنف الإمام  
البخاري (باب مَوْعِظَةِ الْمُحَدِّثِ عِنْدَ الْقَبْرِ وَقُعُودِ أَصْحَابِهِ حَوْلَهُ)

ثم ساق حديث عن علي - رضي الله عنه - قال: كنا في جنازة في بقيع الغرقد،  
فأتانا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقعده، وقعدنا حوله، ومعه مَخْضَرَةٌ، فنكَّس،  
وجعل يَنْكُتُ بِمَخْضَرَتِهِ، ثم قال: ((ما منكم من أحد إلا وقد كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ  
النار، ومقعه من الجنة، فقالوا: يا رسول الله، أفلا نتكلم على كتابنا؟ فقال: اعملوا؛  
فكلُّ ميسرٍ لما خُلِقَ له)). (٢)

قال ابن القيم في بيان هدي النبي صلى الله عليه وسلم: (وكان إذا فرغ من دفن  
الميت قام على قبره هو وأصحابه وسأل له التثيت، وأمرهم أن يسألوا له التثيت).

---

١ - نخب الأفكار في تنقيح مباني الأخبار في شرح معاني الآثار (٧/ ٤٣٤-٤٣٥)  
٢ - أخرجه البخاري (١٣٦٢)، ومسلم (٢٦٤٧)، وابن ماجه (٧٨)، والترمذي (٢٢٧٠)، والنسائي في  
"الكبرى" (١١٦١٥)

انتهى (١)

الحافظ ابن حجر رحمه الله - قال على تبويب البخاري: كأنه يشير إلى التفصيل بين أحوال القعود، فإن كان لمصلحة تتعلق بالحي أو الميت لم يكره، ويحمل النهي الوارد عن ذلك على ما يخالف ذلك. إ.هـ. (١)

وقال ابن عثيمين - رحمه الله - القبر والموعظة هي تذكير الناس بما يلي قلوبهم إما بترغيب في خير وإما بترهيب من شر هذه هي الموعظة وأعظم واعظ وأفضله وأصلحه للقلب هو القرآن الكريم كما قال الله تعالى يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين فالقرآن لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد هو أعظم واعظ لكن قلوب أكثر

الناس لا تتعظ بالقرآن لأنها فيها قسوة وقد قال الله تعالى فيمن إذا تتلى عليه الآيات {قال أساطير الأولين} والعياذ بالله قال الله تعالى {كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون} يعني ختم عليها ما كانوا يكسبون من الأعمال السيئة حتى لا يشعروا بالقرآن كما يشعر به المتقون الذين من الله عليهم نسأل الله أن يمن علينا وعليكم ولكن مع ذلك قد يأتي إنسان أعطاه الله بيانا وفصاحة وعلما فيعظ الناس ويذكرهم ويلين من قلوبهم ما لا تلين به إذا تلى عليها القرآن وهذا شيء مشاهد مجرب كنا في جنازة بقيق الغرقد المعروف الآن بالمدينة والغرقد نوع من الشجر معروف وسمي بقيق الغرقد لكثرة وجود هذا النوع من الشجر به وكان مدفن أهل المدينة وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر لأهل بقيق الغرقد قالها ثلاثا فكانوا في جنازة فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فقعده وقعد الناس حوله لأن كل الناس يحبون أن يكونوا جلساء للنبي صلى الله عليه وسلم جلسوا حوله وفي يده

١ - زاد المعاد في هدي خير العباد (١/ ٥٢٢)

٢ - الفتح [ج ٣/ ص ٢٦٧]

محصرة ..... (١)

كيفية الموعظة : قال ابن عثيمين - رحمه الله - أما أن يقوم القائم عند القبر يتكلم كأنه يخطب فهذا لم يكن من هدي الرسول صلى الله عليه وسلم ليس من هدي الرسول صلى الله عليه وسلم أن الإنسان يقف بين الناس يتكلم كأنه يخطب هذا ليس من السنة، السنة أن تفعل كما فعل الرسول صلى الله عليه وسلم فقط إذا كان الناس جلوسا ولم يدفن الميت فاجلس في انتظار دفنه وتحدث حديث المجالس حديثا عاديا بعض الناس أخذ من هذه الترجمة ترجمة النووي رحمه الله وقد ترجم بمثلها قبله البخاري في صحيحة باب الموعظة عند القبر أخذ من هذا أن يكون خطيبا في الناس يخطب الناس برفع صوت ويا عباد الله وما أشبه ذلك من الكلمات التي تقال في الخطب وهذا فهم خاطئ غير صحيح (٢)

قال رحمه الله - الذي أرى في الوعظ عند القبور أنه أمر لا يشرع، ولا ينبغي أن يتخذ هذا سنة دائمة، فإن وجد له سبب فقد يشرع، مثل أن يرى أناسا في المقبرة عند الدفن يضحكون ويلعبون ويتمازحون فهنا لا شك أن الموعظة حسنة وطيبة، لأنه لها سبب يقتضيها، أما مجرد أن يقوم الإنسان خطيبا عند الناس وهم يدفنون الميت فهذا لا أصل له في هدي النبي صلى الله عليه وسلم، ولا ينبغي أن يفعل (٣).

ومن خلال كلام العلماء نستطيع أن نخرج بثلاثة ضوابط للموعظة

الضابط الأول: أن لا تكون الموعظة ثابتة في كل جنازة

الضابط الثاني: أن تكون عن جلوس لا عن قيام

الضابط الثالث: أن لا تكون كالخطبة بل تكون كلاما عاديا

١ - شرح رياض الصالحين (٤ / ٥٥٥)

٢ - شرح رياض الصالحين (٤ / ٥٥٩)

٣ - فتاوى العقيدة [ص / ٤٧٨]

### خامسا: المكث قليلاً بعد الدفن.

قال عمرو بن العاص في وصيته التي تقدم بعضها: فإذا دفنتموني فشنوا علي التراب شنأ ثم أقيموا حول قبري قدر ما تنحر جزور ويقسم لحمها؛ حتى أستأنس بكم، وأنظر ماذا أراجع به رسل ربي. (١)

يقول ابن عثيمين - رحمه الله - هذا أوصى به عمرو بن العاص رضي الله عنه فقال: أَقِيمُوا حَوْلَ قَبْرِي قَدْرَ مَا تُنْحَرُ جَزُورٌ وَيُقَسَّمُ لَحْمُهَا، لَكِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَرشِدْ إِلَيْهِ الْأُمَّةُ، وَلَمْ يَفْعَلْهُ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فِيمَا نَعْلَمُ؛ بَلْ إِنْ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا فَرَّغَ مِنْ دَفْنِ الْمَيِّتِ وَقَفَ عَلَيْهِ وَقَالَ: اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ، وَاسْأَلُوا لَهُ التَّثْبِيثَ، فَإِنَّهُ الْآنَ يُسْأَلُ، فَتَقِفُ عَلَى الْقَبْرِ وَتَقُولُ: اللَّهُمَّ ثَبِّتْهُ، اللَّهُمَّ ثَبِّتْهُ، اللَّهُمَّ ثَبِّتْهُ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ. ثُمَّ تَنْصَرِفُ، أَمَّا الْمَكْثُ عِنْدَهُ فَلَيْسَ بِمَشْرُوعٍ. (٢)

### سابعاً: الاستغفار للميت

أمرنا الرسول - صلى الله عليه وسلم - بالاستغفار للميت المسلم وسؤال التثبيت له بعد دفنه مباشرة، وعَلَّلَ ذلك بأن هذا الوقت وقت سؤال الملكين له، فهو بحاجة للدعاء له بالتثبيت وطلب المغفرة، ولم يرد في الحديث أنهم جهروا بالدعاء والاستغفار

عن هانئ مولى عثمان بن عفان قال كان النبي - صلى الله عليه وسلم - إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال «استغفروا لأخيكم وسلوا له التثبيت فإنه الآن يسأل». (٣)

١ - أخرجه مسلم ١٩٢ - (١٢١)، (وأحمد) ١٧٨١٥

٢ - مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (١٧ / ٢١٨)

٣ - أخرجه أبو داود (٣ / ٢١٥)، رقم (٣٢٢١)، والبيهقي (٤ / ٥٦)، رقم (٦٨٥٦)، والحاكم (١ / ٥٢٦)،

رقم (١٣٧٢)

"طلبوا له من الله تعالى أن يثبت لسانه وجنانه بجوابه الملكين. (لأنه الآن يسأل) عن إيمانه ونبيه، قال المظهر: فيه دليل على أن الدعاء نافع للميت وليس فيه دلالة على التلقين عند الدفن كما هو العادة، قال النووي: قال الشافعي والأصحاب: يسن عقيب دفنه أن يقرأ عنده شيء من القرآن فإن ختموا القرآن كله فهو حسن، قال ويندب أن يقرأ على القبر بعد الدفن أول البقرة وخاتمتها ويحسن أن يدعوا بقوله: اللهم هذا عبدك وأنت أعلم به منا ولا نعلم منه إلا خيراً وقد أجلسته لتسأله فثبته بالقول الثابت في الآخرة كما ثبته في الدنيا اللهم ارحمه وألحقه بنبيه ولا تضلنا بعده ولا تحرمنا أجره. (١)

ومعلوم أن الإسرار بالدعاء والاستغفار أفضل من الجهر لأنه أقرب إلى الإخلاص، ولأن الله سبحانه يسمع الدعاء سرّاً كان أو جهراً، فلا يشرع الجهر إلا بدليل، علاوة على أن الجهر يحصل به تشويش على الآخرين، ولم يعرف - فيما أعلم - أن السلف كانوا يجهرون بالدعاء عند القبر بعد دفنه أو يدعون بصوت جماعي، وقد روى أبو داود النهي عن اتباع الميت بصوت أو نار

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله - " قال قيس بن عبّاد - وهو من كبار التابعين من أصحاب علي بن أبي طالب رضي الله عنه - : كانوا يستحبون خفض الصوت عند الجنائز وعند الذكر وعند القتال، وقد اتفق أهل العلم بالحديث والآثار أن هذا لم يكن على عهد القرون الثلاثة المفضلة انتهى . (٢)

وهذا يدل على أنهم لم يكونوا يرفعون الأصوات بالدعاء للميت لا مع الجنائز ولا بعد الدفن عند القبر وهم أعلم الناس بالسنة، فيكون رفع الصوت بذلك بدعة . . والله أعلم.

١ - التنوير شرح الجامع الصغير (٨ / ٤٢٩)

٢ - مجموع الفتاوى " (٢٤ / ٢٩٤)

.....الدعاء

## (٢٣) أمنيات الأموات

### الخطبة الأولى

الحمد لك يا الله جعلت الفردوس لعبادك المؤمنين نُزُلًا؛ فلك الحمد أولاً وآخراً  
وظاهراً وباطناً، الحمد لله الذي يَسَّرَها لنا، وَيَسَّرَ الأعمال الصالحة لنا؛ فلم يتخذ  
السالكون إلى الله سواها شغلاً، وسهل لهم سبلها فلم يسلكوا سواها سبلاً، خلقها  
قبل أن يخلقهم، وأسكنهم إياها قبل أن يوجد لهم، وحقَّها بالمكاره ليلوهم أيهم  
أحسن عملاً، وأودعها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر،  
وفوق ذلك: { خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا } [الكهف: ١٠٨].

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل  
شيء قدير، شهادة أدخرها لي ولكم إلى يوم المصير، شهادة عبده وابن عبده وابن  
أمتيه، ومن لا غنى به طرفة عين عن رحمته وفضله ومنه وكرمه، ولا مطمع له في  
الفوز بالجنة والنجاة من النار إلا بمنه وكرمه ورحمته.

وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله، أرسله الله رحمة للعالمين، وقدوة للعاملين،  
ومحجة للسالكين، وحجة على العباد أجمعين، شرح الله به الصدور، وأنار به العقول،  
وفتح به أعيناً عمياً واذاناً صماً وقلوباً غلغلاً:

قَدْ كَانَ هَذَا الْكُونُ قَبْلَ وُصُولِهِ      شُؤْمًا لظالميه وللمظلوم  
لَمَّا أَطَّلَ مُحَمَّدٌ زَكَاةَ الرَّبِّ      واخضراً في البُستانِ كُلُّ هَشِيمٍ

صلى الله عليه وعلى آله وصحبه والتابعين، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

نقف في هذا المشهد المهيب الذي يذكرنا بالحيل من هذه الدار إلى دار القرار مع  
أمنيات الأموات، لو سألت الجالسين الآن ما هي أمنياتكم لكانت الإجابة مختلفة  
باختلاف الأحوال

فالفقير يتمنى الغني  
والكبير يتمنى أن يرد شابا مرة ثانية  
والسقيم يتمنى الشفاء  
والضعيف يتمنى القوة  
صغيرٌ يَطْلُبُ الكبرَ وشيخٌ ودُّ لو صَغُرُ  
وخالٍ يشتهي عملاً وذو عملٍ به ضَجِرَ  
وربُّ المالِ في تعبٍ وفي تعبٍ من افتقرَ  
ويشقى المرءُ منهزماً ولا يرتاحُ مُنتصرا  
ويبغي المجدَ في هَفٍ فَإِنْ يظْفُرَ به فَتَرَ  
وذو الأولادِ مهمومٌ وطالبُهُم قد انْفَطَرَ  
ومن فقدَ الجمالَ شكا وقد يشكو الذي بُهرَ  
شُكَاةٌ ما لها حَـكَمٌ سوى الخصمين إن حضرا  
فإذا كانت هذه هي أمنيات الأحياء فيا ترى ما هي أمنيات الأموات؟  
ماذا يتمنى من عاين السكرات وقد التفت الساق بالساق؟  
هيا أيها الآباء لنرى ونعاين تلك الأمنيات

#### الأمنية الأولى: يتمنى الرجعة إلى الدنيا ليعمل صالحا:

حقا الذي فرط في جنب الله رأى الدنيا قد ولت عنه مدبرة واصحاب هو من  
أهل الآخرة رأى متاع الدنيا { كَسْرَابٍ بَقِيْعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ  
يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ } [النور: ٣٩]



وجد الدنيا كأحلام نوم أو كظلم زائل أضحكته وها هي اليوم أبكته عندها  
يتمنى لو يرجع إلى الدنيا لعله يعمل صالحا

يرجع لعله يستدرك ما فاته من طاعات ومن قربات {حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ  
المُوتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا  
وَمَنْ وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ} [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠]

قال إبراهيم بن يزيد العبدى رحمه الله تعالى: أتاني رياح القيسي فقال: يا أبا  
إسحاق انطلق بنا إلى أهل الآخرة نُحدثُ بقرهم عهدا، فانطلقت معه فأتى المقابر،  
فجلسنا إلى بعض تلك القبور، فقال: يا أبا إسحاق ما ترى هذا متمنيا لو مُنِّ؟ (أي  
لو قيل له تمنى) قلت: أن يُردَّ -والله- إلى الدنيا، فيستمتع من طاعة الله ويُصلح،  
قال: ها نحن في الدنيا، فلنطع الله ولنصلح، ثم نهض فجَدَّ واجتهد، فلم يلبث إلا  
يسيرا حتى مات رحمه الله تعالى<sup>(١)</sup>.

فإذا زرت المقبرة، قف أمام قبر مفتوح، وتأمل هذا اللحد الضيق، وتخيل أنك  
بداخله، وقد أغلق عليك الباب، وانهاك عليك التراب، وفارقك الأهل والأولاد،  
وقد أحاطك القبر بظلمته ووحشته، فلا ترى إلا عملك، فماذا تتمنى يا ترى في هذه  
اللحظة الحرجة؟

ألا تتمنى الرجوع إلى الدنيا لتعمل صالحا؟ لتركع ركعة؟ لتسبح تسيحة؟  
لتذكر الله تعالى ولو مرة؟ ها أنت ذا على ظهر الأرض حيا معافي، فاعمل صالحا قبل  
أن تعضَّ على أصابع الندم، وتصبح في عداد الموتى، تتمنى ولا يجب لك.

فإذا وسدت في قبرك فلا أنت إلى دنياك عائد، ولا في حسناتك زائد، إلا إذا  
قدمت عملا صالحا يجري ثوابه بعد مماتك، فاعمل ليوم القيامة قبل الحسرة

(١) إيقاظ أولي الهمم العالية إلى اغتنام الأيام الخالية لعبد العزيز السلطان (صفحة ٣٥٧).

والندامة.

قال إبراهيم التيمي رحمه الله تعالى: مثلتُ نفسي في النار، أكل من زقومها، وأشرب من صديدها، وأعالج سلاسلها وأغلاها، فقلت لنفسي: أي شيء تريدان؟ قالت: أريد أن أُرَدَّ إلى الدنيا فأعمل صالحا، قال: فقلت: أنتِ في الأمانة فاعلمي<sup>(١)</sup>.

فيا عبد الله نحن في دار العمل، والآخرة دار الجزاء، فمن لم يعمل هنا ندم هناك، وكل يوم تعيشه هو غنيمة، فإياك والتهاون فيه، فإن غاية أمنية الموتى في قبورهم؛ حياة ساعة، يستدركون فيها ما فاتهم من عمل صالح، ولا سبيل لهم إلى ذلك البتة، لانتهاؤ فرصتهم في الحياة.

فيا أُخَيَّ: إذا زرت المقبرة، أو شيعت جنازة، لا تكن عندها من الغافلين، ولا تكثر الحديث مع أحد، وإنما تذكر أمنيات هؤلاء الأموات الذين من حولك، المرتهنين بأعمالهم، واغتنم فرصتك في الحياة، لتذكر الله عز وجل كثيرا، لئلا تكون غدا مع الموتى، فتصبح تتمنى كما بعضهم يتمنى.

إذا هممت بمعصية تذكر أمانى الموتى، تذكر أنهم يتمنون لو عاشوا ليطيعوا الله تعالى، فكيف أنت تعصي الله عز وجل؟

إذا رأيت نفسك فارغا فتذكر أمنية الموتى ....

إذا فترت عن طاعة الله تعالى فاذا ذكر أمنية الموتى ....

وكان الربيع بين خيثم قد حفر في داره قبرا فكان إذا وجد في قلبه قساوة دخل فيه فاضطجع فيه ومكث ساعة ثم قال رب ارجعون لعلني أعمل صالحا فيما تركت ثم يقول يا ربيع قد أرجعت فاعمل الآن قبل أن لا ترجع وقال ميمون بن مهران خرجت مع عمر بن عبد العزيز إلى المقبرة فلما نظر إلى القبور بكى وقال يا ميمون

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم (٢١١/٤).

هذه قبور آبائي بني أمية كأنهم لم يشاركوا أهل الدنيا في لذاتهم أما تراهم صرعى قد خلت بهم المثلات وأصاب الهوام من أبدانهم ثم بكى وقال والله ما أعلم أحدا أنعم ممن صار إلى هذه القبور وقد أمن من عذاب الله (١)

### الأمنية الثانية: يتمنى الموتى أن يصلوا لله تعالى ركعتين:

آه أيها الآباء من هذه الأمنية فكم من المسلمين من لا يصلي ومن لا يدخل المسجد إلا في المناسبات عندما توضع في قبرك أن كنت صالحا أو غير صالح ستتمنى أن ترجع إلى الدنيا لتصلي لله تعالى ركعتين

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبر دفن حديثا، فقال: ركعتان خفيفتان مما تحقرون وتنفلون، يزيدهما هذا في عمله، أحب إليه من بقية دنياكم" (٢)

### لماذا الصلاة عباد الله؟

لأن الصلاة خير موضوع ولأن الصلاة ميزان الأعمال ولأن الصلاة عمود الدين فإن صلحت الصلاة صلح سائر العمل وإن فسدت الصلاة فسد سائر العمل عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلَاتُهُ فَإِنْ صَلَحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ ، فَإِنْ انْتَقَصَ مِنْ فَرِيضَتِهِ شَيْءٌ قَالَ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ : انظُرُوا هَلْ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ فَيُكَمَّلَ بِهَا مَا انْتَقَصَ مِنَ الْفَرِيضَةِ ؟ ثُمَّ يَكُونُ سَائِرُ عَمَلِهِ عَلَى ذَلِكَ) (٣)

١ - إحياء علوم الدين ومعه تخريج الحافظ العراقي (٣/ ١٣١)

٢ - أخرجه ابن المبارك في الزهد (١/ ١٠، رقم ٣١)، صحيح الجامع: ٣٥١٨، الصحيحة: ١٣٨٨

٣ - أخرجه الترمذي (٢/ ٢٦٩، رقم ٤١٣) وقال: حسن غريب، والنسائي (١/ ٢٣٢، رقم ٤٦٥)

صحيح الجامع: ٢٥٧٤

وكأني بك يا تارك الصلاة أراك ملعونا في الزبور والتوراة والإنجيل والقرآن.  
وكأني بك من المنافقين في الدرك الأسفل من النار  
يا تارك الصلاة وكأني أسمع نداء قادمًا من الزمن الغابر السحيق يصرخ ينادي  
البحر كل يوم يا رب دعني أغرق ولد آدم، لأنه أكل رزقك وترك فرضك.  
وتنادي السماء يا رب دعني انطبق على ابن آدم، لأنه أكل وترك فرضك.  
وتنادي الأرض يا رب دعني أحرق ولد آدم، لأنه أكل رزقك وترك فرضك.  
وتنادي الأرض يا رب دعني أخسف بابن آدم، لأنه أكل رزقك وترك فرضك.  
فينادي مناد من بعيد ألا وإن تارك الصلاة ممقوت، وعلى غير الإسلام يموت،  
الجحيم مأواه، الهاوية متقلبه ومثواه، وهو ملعون عند الله، مطرود في أرضه وسماه.  
يا تارك الصلاة هل فكرت يوماً أن تارك الصلاة عامداً متعمداً ومات على  
ذلك فهو كافر هل فكرت يوماً أن أول ما تحاسب عليه من عملك يوم القيامة هو  
"الصلاة" فان صلحت، فقد أفلحت ونجحت، وإن فسدت فقد خبت وخسرت.  
يا تارك الصلاة طأ الأرض بقدمك واسجد عليها، فإنها عما قريب ستصبح  
قبرك.

يا تارك الصلاة هل فكرت في صوت القبر يناديك وأنت محمول إليه، وحينما  
يغلق عليك -القبر- يناديك وأنت تصرخ فيه ابن آدم،  
أقول هذا القول، وأستغفر الله العظيم الكريم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل  
ذنوب؛ فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

### الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله،  
صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما.

أما بعد:

الأمنية الثالثة: يتمنى الشهداء الرجوع إلى الدنيا لينالوا شرف الشهادة في سبيل

الله تعالى مرة بعد مرة

لقد رأى الشهداء ما أعدده لهم رب الأرض و السماء لقد نالوا وعد الله تعالى بعلو  
المنزلة و بالحياة الطيبة فهم يتمنون على الله تعالى أن يردهم إلى ساحات القتال ليقتلوا  
مرة ثانية لينالوا شرف الشهادة و لينالوا علو المنزلة و المكانة عن أنس -رضي الله  
عنه - : أن النبي -صلى الله عليه وسلم - ، قال : (( ما أحد يدخل الجنة يحب أن  
يرجع إلى الدنيا وله ما على الأرض من شيء إلا الشهيد ، يتمنى أن يرجع إلى الدنيا ،  
فيقتل عشر مرات ؛ لما يرى من الكرامة ))(١)

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: لما قتل عبد الله بن عمرو بن حرام يوم أحد، لقيني  
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «يا جابر، ألا أخبرك ما قال الله لأبيك؟»  
وقال: يحيى في حديثه، فقال: «يا جابر، ما لي أراك منكسرا؟» قال: قلت: يا رسول  
الله، استشهد أبي، وترك عيالا ودينا"، قال: «أفلا أبشرك، بما لقي الله به أباك؟»،  
قال: بلى: يا رسول الله، قال: " ما كلم الله أحدا قط إلا من وراء حجاب، وكلم أباك  
كفاحا، فقال: يا عبدي، تمن علي أعطك، قال: يا رب تحييني، فأقتل فيك ثانية، فقال  
الرب سبحانه: إنه سبق مني أنهم إليها لا يرجعون، قال: يا رب، فأبلغ من ورائي،  
قال: فأنزل الله تعالى: {ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند  
ربهم يرزقون} [آل عمران: ١٦٩]"(٢)

١ - أخرجه: البخاري ٤/٢٦ (٢٨١٧)، ومسلم ٦/٣٥ (١٨٧٧) (١٠٨) و(١٠٩).

٢ - أخرجه الترمذي (٣٢٥٦) صحيح الترغيب والترهيب: ١٣٦١

يقول ابن بطال - رحمه الله - هذا الحديث أجل ما جاء في فضل الشهادة والحض عليها والترغيب فيها، وإنما يتمنى أن يقتل عشر مرات والله أعلم لعلمه بأن ذلك مما يرضى الله ويقرب منه؛ لأن من بذل نفسه ودمه في إعزاز دين الله ونصرة دينه ونبيه، فلم تبق غاية وراء ذلك وليس في أعمال البر ما تبذل فيه النفس غير الجهاد، فلذلك عظم الثواب عليه، والله أعلم. (١)

عن المقدم بن معدي كرب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لشاهد عند الله ست خصال: يغفر له في أول دفعة من دمه - أو يرى مقعده من الجنة - ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منها خير من الدنيا وما فيها، ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، يشفع في سبعين من أقاربه) (٢) أخرجه أحمد

#### أنس بن النضر (رضي الله عنه).

عن أنس بن مالك قال: غاب عمي أنس بن النضر، عن قتال بدر فقال: يا رسول الله غبت عن أول قتال قاتلت المشركين: لئن الله أشهدني قتال المشركين ليرين الله ما أصنع، فلما كان يوم أحد أنكشف المسلمون، قال: اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء يعني أصحابه وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء يعني المشركين ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ فقال: يا سعد بن معاذ الجنة ورب النضر إني أجد ريجها من دون أحد، قال: سعد فما استطعت يا رسول الله ما صنع، قال أنس: فوجدنا بضعا وثمانين ضربه بالسيف أو طعنه بالرمح أو رمية بسهم، ووجدناه قد قتل، ومثل به المشركون فما عرفه أحد إلا أخته بينانه (أخرجه البخاري)

وعن أنس (أن أم حارثة أتت النبي) فقالت: يا رسول الله ألا تحدثني عن

١ - شرح صحيح البخاري لابن بطال (٥ / ٣٠)

٢ - أخرجه أحمد (٤ / ١٣١)، رقم (١٧٢٢١)، والترمذي (٤ / ١٨٧)، رقم (١٦٦٣)، وقال: حسن

صحيح غريب.

حارثة، وكان قتل يوم بدر، أصابه سهم، فإن كان في الجنة صبرت، وإن كان غير ذلك اجتهدت عليه بالبكاء، فقال رسول الله: يا أم حارثة، إنها جنان في الجنة وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى (١).

الأمنية الرابعة: الصدقة: ومما يتمنا الميت عند موته أن يرد إلى الدنيا ليتصدق على الفقراء و المساكين و المحتاجين يتمنى أن يرد ليفق ذلك المال الذي جمعه من حله أو من الحرام لينفقه في وجوه الخير قال الله تعالى { وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠) } وَلَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ { [المنافقون: ١٠، ١١]

### فيا أرباب الأموال أين صدقاتكم أين إخراج زكاتكم؟

روى أبو حاتم في صحيحه عن أبي هريرة عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "إِنَّ الْمَيْتَ لَيَسْمَعُ خَفَقَ نَعَالِهِمْ حِينَ يُؤْتُونَ عَنْهُ، فَإِنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَانَتِ الصَّلَاةُ عِنْدَ رَأْسِهِ، وَكَانَ الصِّيَامُ عَنْ يَمِينِهِ، وَكَانَتِ الزَّكَاةُ عَنْ يَسَارِهِ، وَكَانَ فِعْلُ الْخَيْرَاتِ مِنَ الصَّدَقَةِ، وَالصَّلَاةِ، وَالْمَعْرُوفِ، وَالْإِحْسَانِ إِلَى النَّاسِ عِنْدَ رِجْلَيْهِ، فَيُؤْتَى مِنْ عِنْدِ رَأْسِهِ فَتَقُولُ الصَّلَاةُ: مَا قَبِلِي مَدْخُلٌ. ثُمَّ يُؤْتَى عَنْ يَمِينِهِ فَيَقُولُ الصِّيَامُ: مَا قَبِلِي مَدْخُلٌ. ثُمَّ يُؤْتَى عَنْ يَسَارِهِ فَتَقُولُ الزَّكَاةُ: مَا قَبِلِي مَدْخُلٌ. ثُمَّ يُؤْتَى مِنْ رِجْلَيْهِ فَيَقُولُ فِعْلُ الْخَيْرَاتِ مِنَ الصَّدَقَةِ، وَالصَّلَاةِ، وَالْمَعْرُوفِ، وَالْإِحْسَانِ إِلَى النَّاسِ: مَا قَبِلِي مَدْخُلٌ. فَيَقَالُ: اجْلِسْ، فَيَجْلِسُ؛ قَدْ مُثِّلَتْ لَهُ الشَّمْسُ وَقَدْ دَنَتْ لِلْغُرُوبِ، فَيَقَالُ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ فِيكُمْ؟ مَا تَقُولُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ: دَعَوَنِي حَتَّى أَصْلِي. فَيَقُولُونَ: إِنَّكَ سَتَفْعَلُ، أَخْبَرْنَا عَمَّا نَسَأَلُكَ عَنْهُ. فَقَالَ: عَمَّ تَسْأَلُونِي؟ فَيَقُولُونَ: مَا تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي كَانَ فِيكُمْ؟ مَا تَشْهَدُ بِهِ؟ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ،

١ - أخرجه أحمد (٢٦٤ / ٣) قال: حدثنا سليمان بن داود. والبخاري (١٤٥ / ٨)

وأَنَّهُ جَاءَ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ. فَيَقَالُ: عَلَى ذَلِكَ حَيِّتَ، وَعَلَى ذَلِكَ مَتَّ، وَعَلَى ذَلِكَ تُبْعَثُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، فَيَقَالُ لَهُ: ذَلِكَ مَقْعَدُكَ مِنْهَا، وَمَا أَعَدَّ اللَّهُ لَكَ فِيهَا، فَيَزِدَادُ غِبْطَةً وَسُرُورًا. ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ النَّارِ، فَيَقَالُ: ذَلِكَ مَقْعَدُكَ مِنْهَا، وَمَا أَعَدَّ اللَّهُ لَكَ فِيهَا [لَوْ عَصَيْتَ اللَّهَ]، فَيَزِدَادُ غِبْطَةً وَسُرُورًا. ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا، وَيُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ، وَيُعَادُ جَسَدُهُ كَمَا بُدِيَ، وَتُجْعَلُ نَسَمَتُهُ فِي نَسَمِ الطَّيِّبِ، وَهِيَ طَيْرٌ تَعَلَّقُ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ". (١)

وَمَا يَنْجِي الْعَبْدَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الصَّدَقَةَ وَالصَّدَقَةَ عِبَادَ اللَّهِ مِنَ الْأَعْمَالِ الْجَلِيلَةِ الَّتِي رُبَّمَا يَسْتَهِينُ بِهَا الْعَبْدُ فِي مَعْتَرِكِ هَذِهِ الْحَيَاةِ فَكَمْ مَرَّةً مِنَ الْمَرَاتِ دَعِيَتْ إِلَى الْإِنْفَاقِ لَكِنَّا بَخَلْنَا بِمَا مَنَحَنَا اللَّهُ مِنْ عَطَاءٍ هَلْ تَذَكَّرْتَ ظِلْمَةَ الْقُبُورِ؟ هَلَّا تَذَكَّرْنَا مِنْكَ وَمِنْكَ وَنَكِيرًا؟

بكم تشتري نعيم القبر؟ بكم تفك أسرك من ضمة القبر؟

ها أنت يا صاح ما زلت تملك مالك فهل لك من أوبة وهل لك من بذل وعطاء؟

اسمع عبد الله بعد أن تصلي على من صلى عليه الاله - صلى الله عليه وسلم -

عن عقبه بن عامر رضي الله عنه: عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «إِنَّ الصَّدَقَةَ لِتَطْفِئَ عَنْ أَهْلِهَا حَرَّ الْقُبُورِ، وَإِنَّمَا يَسْتَظِلُّ الْمُؤْمِنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ». (٢)

١ - صحيح ابن حبان - محققا (٣٨٢ / ٧) وأخرجه عبد الرزاق "٦٧٠٣"، وابن أبي شيبة "٣ / ٣٨٣ - ٣٨٤"، قال الشيخ الألباني: حسن - (التعليق الرغيب) (٤ / ١٨٨ - ١٨٩)، ((أحكام الجنائز)) (١٩٨ - ٢٠٢).

٢ - أخرجه الطبراني (١٧ / ٢٨٦، رقم ٧٨٨) سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فوائدها (٧ / ١٤١٢)

## ٢٤- آثارك بعد موتك ؟!

### الخطبة الأولى

الحمد لله الذي تفرد بجلال ملكوته، وتوحد بجمال جبروته وتعزز بعلو أحديته، وتقدس بسمو صمديته، وتكبر في ذاته عن مضارعة كل نظير، وتنزه في صفائه عن كل تناه وقصور، له الصفات المختصة بحقه، والآيات الناطقة بأنه غير مشبه بخلقه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو على كل شيء قدير، شهادة موقن بتوحيده، مستجير بحسن تأييده

يا واحد في ملكه أنت الأحد      ولقد علمت بأنك الفرد الصمد  
لا أنت مولود ولست بوالد      كلا ولا لك في الورى كفوا أحد  
وأشهد أن سيدنا وحبينا وشفيعنا محمد عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه  
وحيبيه

هذا النبى محمد خير الورى      ونبيهم وبه تشرف آدم  
وله البها وله الحياء بوجهه      كل الغنى من نوره يتقسم  
يا فوز من صلى عليه فانه      فى جنة المأوى غدا يتنعم  
صلى عليه الله جل جلاله      ما راح حاد باسمه يترنم  
وعلى اله وأصحابه ومن سار على نهجه وتمسك بسنته واقتدى بهديه واتبعهم  
ياحسان إلى يوم الدين ونحن معهم يا أرحم الراحمين

### ثم أما بعد:

فالعبد منا أخرجته الله تعالى لهذه الحياة القصيرة لينجي نفسه من نار حرها شديد وقعرها بعيد ومقامها من حديد وأجري الله تعالى على العبد ما قدمه لنفسه في الدنيا من حسنات أو سيئات ولا يظلم ربك أحدا وحديثنا اليوم عن آثار العبد بعد

وفاته فأعيروني القلوب و الأسعاف فان هذا الأمر من الأهمية بمكان

### العنصر الأول: أنت مسافر منذ أخرجت من بطن أمك

أخي السلم أنت منذ ولدتك أمك مسافر من دار الغرور إلى الدار الآخرة فالدنيا مفازة يقطعها ابن ادم ليصل بعدها إلى الدار الآخرة فليس لك الراحة في هذه الدار حتى يتسقر بك القرار في جنة تجري من تحتها الأنهار

يقول ابن القيم رحمه الله: (لم يزل الناس مذ خلقوا مسافرين، وليس لهم حظ لرحالهم إلا في الجنة دار النعيم أو في النار دار الجحيم، والعاقل يعلم أن السفر بطبعه مبني على المشقة والأخطار بل هو قطعة من العذاب واللاواء، ومن المحال أن يطلب في السفر عادة النعيم والراحة واللذة والهناء، فكل وطأة قدم أو أنة من أناة المسافر بحساب، وكل لحظة ووقت من أوقات السفر غير واقفة والمسافر غير واقف. فإذا ما نزل المسافر أو نام أو استراح فهو على قدم الاستعداد للسير في قطع المفاوز والقفار. وقد انعقد المضمار وخفي السابق، والناس في هذا المضمار بين فارس وبين راجل وبين أصحاب حمر معقرة.

وفاز بالسبق من قد جد وانقشعت عن أفقه ظلمات الليل والسحب

هلكى هذا السفر كثير وكثير، والناجون فيه قليل، الناجي فيه واحد من ألف وكفى، لا تعجب لهالك كيف هلك ولكن أعجب لناج كيف نجا، الرواحل قليلة والبعض في هذا السفر كإبل سائبة لا تكاد تجد فيها راحلة، والبعض الآخر كإبل نجبية صابرة نادرة وأنعم بها من راحلة، النجائب في المقدمة وحاملات الزاد في المؤخرة.

رفعت لنا في السير أعلام.....السعادة والهدى يا ذلة الحيران

فتسابق الأبطال وابتدروا لها.....كتسابق الفرسان يوم رهان



وأخو الهويني في الديار مخلف..... مع شكله يا خيبة الكسلان  
إلى كم ذا التخلف والتواني..... وكم هذا التهادي في التهادي  
وشغل النفس عن طلب المعالي..... ببيع الشعر في سوق الكساد

**العنصر الثاني في ظلال قول تعالى { إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا  
وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ } [يس: ١٢]**

أخي المسلم أثارك بعد موتك هي تلکم البصة التي يتركها الإنسان في هذه  
الحياة من خير أو من شر فيكتب له أجرها إن كانت عملا صالحا ويكتب عليه  
وزرها إن كانت عملا سيئا

يقول السعدي - رحمه الله - في قوله : { وَآثَارَهُمْ } وهي آثار الخير وآثار الشر،  
التي كانوا هم السبب في إيجادها في حال حياتهم وبعد وفاتهم، وتلك الأعمال التي  
نشأت من أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم، فكل خير عمل به أحد من الناس، بسبب  
علم العبد وتعليمه ونصحه، أو أمره بالمعروف، أو نهيهِ عن المنكر، أو علم أودعه  
عند المتعلمين، أو في كتب ينتفع بها في حياته وبعد موته، أو عمل خيرا، من صلاة أو  
زكاة أو صدقة أو إحسان، فاقتدى به غيره، أو عمل مسجدا، أو محلا من المحال  
التي يرتفق بها الناس، وما أشبه ذلك، فإنها من آثاره التي تكتب له، وكذلك عمل  
الشر.

ولهذا: { من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، ومن  
سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة } وهذا الموضع، يبين  
لك علو مرتبة الدعوة إلى الله والهداية إلى سبيله بكل وسيلة وطريق موصل إلى  
ذلك، ونزول درجة الداعي إلى الشر الإمام فيه، وأنه أسفل الخليقة، وأشدهم  
جرما، وأعظمهم إثما.



{وَكُلُّ شَيْءٍ} من الأعمال والنيات وغيرها {أَخَصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ} أي: كتاب هو أم الكتب وإليه مرجع الكتب، التي تكون بأيدي الملائكة، وهو اللوح المحفوظ. (١)

مات قوم وما ماتت مكارمهم وعاش قوم وهم في الناس أموات  
وتأملوا في دعاء خليل الرحمن - عليه الصلاة والسلام - {رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا  
وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ \* وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ} الشعراء ٨٣-٨٤  
يقول الطبري في تفسيرها: "واجعل لي في الناس ذكراً جميلاً، وثناءً حسناً،  
باقياً فيمن يجيء من القرون بعدي".  
وها هو النبي ﷺ يكده هذه الحقيقة

عن جرير بن عبد الله قال: قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((مَنْ سَنَّ فِي  
الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمَلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ  
أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرٌ وَوِزْرُ مَنْ عَمَلَ بِهَا  
مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُوزَارِهِمْ شَيْءٌ)) (٢) .

### العنصر الثالث: أثارك بعد موتك

رصيك من الحسنات الجارية هي أثارك بعد موتك من أعمال صالحات قدمتها  
بين يديك يجري عليك أجرها ويدخر لك ذخرها ولقد بينها لنا النبي - صلى الله  
عليه وسلم -

وقد ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم أموراً سبعة يجري ثوابها على الإنسان في  
قبره بعد ما يموت ، وذلك فيما رواه البزار في مسنده من حديث أنس بن مالك

١ - تفسير السعدي (ص: ٦٩٢)  
٢ - أخرجه الطيالسي (ص ٩٢ ، رقم ٦٧٠) ، وأحمد (٤/٣٥٧ ، رقم ١٩١٧٩) ، ومسلم (٤/٢٠٥٩ ،  
رقم ١٠١٧)

رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (( سِعُّ يَجْرِي لِلْعَبْدِ أَجْرَهُنَّ وَهُوَ فِي قَبْرِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ : مَنْ عَلَّمَ عِلْمًا ، أَوْ أَجْرَى نَهْرًا ، أَوْ حَفَرَ بئرًا ، أَوْ غَرَسَ نَخْلًا ، أَوْ بَنَى مَسْجِدًا ، أَوْ وَرَّثَ مَصْحَفًا ، أَوْ تَرَكَ وَلَدًا يَسْتَغْفِرُ لَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ )) (١)

وروى ابن ماجه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (( إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علماً علمه ونشره ، وولداً صالحاً تركه ، ومصحفاً ورثه أو مسجداً بناه ، أو بيتاً لابن السبيل بناه ، أو نهراً أجراه ، أو صدقةً أخرجها من ماله في صحته وحياته تلحقه من بعد موته )) (٢)

### وإليكم بيان ذلك بحول الله وطوله:

#### ١- علم علمه ونشره:

فمن الآثار الطيبة التي يتركها العبد بعد وفاته أن يترك علماً بأن ألف كتاباً وتركه يتعلم منه الأجيال فهذا من أفضل الأعمال لذا قالوا علم الرجل ولده المخلد أو علم الناس القرآن و السنن فكل من علم بالقران و من عمل بالسنن فهو في ميزان حسناته بعد وفاته إلى أن يرث الله الأرض و من عليها

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُوزَارِهِمْ شَيْئًا»

قال ابن مسعود وعكرمة وعطاء وغيرهم في قوله تعالى {عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ} [الانفطار: ٥] أي: ما قدمت من خير يعمل به بعدها وما أخرت من شر

١ - حسنه الألباني رحمه الله في صحيح الجامع برقم ٣٥٩٦:

٢ - حسنه الألباني رحمه الله في صحيح ابن ماجه برقم ١٩٨

يعمل به بعدها (١)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ أَشْيَاءٍ مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ» (٢).

(إلا من ثلاثة) فإن ثوابها يدوم للعامل بعد موته، وذلك لدوام أثره فدام ثوابه، وأثبت التاء إما لأن المعدود مذكر، أي: ثلاثة أعمال، أو لحذفه، أي: ثلاث خصال، والأول أقرب (صدقة جارية) هي الوقف (أو علم ينتفع به) هو التعليم والتصنيف، والثاني أقوى؛ لطول بقائه على ممر الزمان قاله القاضي تاج الدين السبكي (٣)

## ٢- ولد صالح تركه:

وهذا الإطلاق يفيد انتفاع الوالد بولده الصالح سواء دعا له أم لا. كمن غرس شجرة فأكل منها الناس، فإنه يحصل له بنفس الأكل ثواب، سواء دعا له من أكل أم لم يدع. فالوالد ينتفع بصلاح ولده مطلقاً، وكل عمل صالح يعمله الولد فلا يوبه من الأجر مثل أجره، من غير أن ينقص من أجره شيء، لأن الولد من سعي أبيه وكسبه عن عائشة قالت

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ أَطْيَبَ مَا أَكَلَ الرَّجُلُ مِنْ كَسْبِهِ وَإِنْ وَلَدَ الرَّجُلُ مِنْ كَسْبِهِ (٤)

والله عز وجل يقول: {وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى} النجم: ٣٩.

١ - شرح الزرقاني (٢/ ٦٢)

٢ - أخرجه أحمد (٢/ ٣٧٢، رقم ٨٨٣١)، والبخاري في الأدب المفرد (١/ ٢٨، رقم ٣٨)، ومسلم

(٣/ ١٢٥٥، رقم ١٦٣١)

٣ - دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين (٧/ ١٧٧)

٤ - أخرجه أحمد (٦/ ٣١، رقم ٢٤٠٧٨)

وهذا يوجب على الآباء أن يجتهدوا في تربية أبنائهم، وإصلاح أحوالهم، حتى ينتفعوا بصلاحتهم، وإلا فمجرد وجود الولد بعد الوالد لا ينفعه في آخرته، فإن لم يكن الولد صالحاً لم ينفع أباه ولم يضره، لأنه لا تزر وازرة وزر أخرى، لكن إن صلح انتفع أبوه بصلاحة، وذلك فضل الله، والأول عدله.

لذا كان دعاء الأنبياء والصالحين أن يرزقه الله تعالى أبناء صالحين

### ٣- مصحفٌ ورثته:

فمن اشترى مصحفاً ووضع في البيت ليقرأ فيه أولاده أو وضعه في المسجد ووقفه لله تعالى، فإنه يأتيه من ثواب ذلك المصحف بعد موته ويلحق بالمصحف كتب العلم الشرعي، ككتب العقيدة الصحيحة، والتفسير، والحديث، والفقه، ونحوه ذلك من العلوم الشرعية، فإذا اشترى الرجل كتاباً منها ووضعها في بيته ليقرأ فيها أولاده، أو وضعها في المسجد ووقفها لله تعالى، فإنه لا يزال يأتيه من ثواب هذه الكتب إلى يوم القيامة.

فاحرصوا - رحمكم الله - على إنشاء مكتبات في بيوتكم وفي مساجدكم، وساهموا فيها بشراء المصاحف والكتب، فإنها مما ينفعكم بعد موتكم.

### ٤- مسجدٌ بناه: إن الله تعالى اتخذ في الأرض بيوتاً لعبادته:

{ يَسْبَحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رَجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ } النور: ٣٦-

٣٧

ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يرغب في بناء المساجد فيقول: ((من بنى مسجداً يبتغي به وجه الله بنى الله له مثله في الجنة)). (١)

١ - البخاري: في الصلاة، باب من بنى مسجداً ٦٤٨ / ١.

فجودوا - رحمكم الله - على بيوت الله ولا تبخلوا، فما تضعونه في بيوت الله من أموالكم يأتيكم ثوابه بعد موتكم، وتجدون بره وثوابه يوم الدين. ويلحق بالمساجد المدارس ونحوها مما يعود نفعه على المسلمين.

٥- بيت لابن السبيل بناه: فمن بنى بيتاً ووقفه على ابن السبيل يأوي إليه وينزل فيه في سفره فإنه يأتيه من ثواب ذلك بعد موته.

ومعنى ذلك أن الإسلام يُرغَّب في بناء بيوت المسافرين - التي تُعرف بالفنادق - تطوعاً، لينزل فيها المسافرون مجاناً، لأن الغالب على المسافرين الحاجة وقلة المال، ولذا كثر في القرآن الكريم الوصية بابن السبيل.

#### ٦- نهر أجراه:

إن أهمية الماء في الحياة لا تخفى على أحد، فقد جعل الله من الماء كل شيء حي. والإسلام يُرغَّب في العمل على توفير الماء للمحتاجين، وسقاء العطشى، فمن أجرى نهراً يشرب منه الناس ويستقوا، فإن له الجنة،

عن عثمان - رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " مَنْ حَفَرَ بِئْرَ رُومَةٍ فَلَهُ الْجَنَّةُ " (١)

عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ بَشِيرٍ الْأَسْلَمِيِّ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : لَمَّا قَدِمَ الْمُهَاجِرُونَ الْمَدِينَةَ اسْتَنْكُرُوا الْمَاءَ ، وَكَانَتْ لِرَجُلٍ مِنْ بَنِي غِفَارٍ عَيْنٌ يُقَالُ لَهَا : رُومَةٌ ، وَكَانَ يَبِيعُ مِنْهَا الْقُرْبَةَ بِمُدٍّ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : بَعْئِهَا بَعِيْنٍ فِي الْجَنَّةِ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْسَ لِي ، وَلَا لِعِيَالِي غَيْرَهَا ، لَا أَسْتَطِيعُ ذَلِكَ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ فَاشْتَرَاهَا بِخَمْسَةِ وَثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، ثُمَّ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَجْعَلُ لِي مِثْلَ الَّذِي جَعَلْتَهُ لَهُ عَيْنًا فِي الْجَنَّةِ إِنْ اشْتَرَيْتُهَا ؟ قَالَ :

١ - أخرجه البخاري ( ١٥ / ٤ )

نَعَمْ، قَالَ: قَدْ اشْتَرَيْتُهَا، وَجَعَلْتُهَا لِلْمُسْلِمِينَ. (١).

٧- صدقة أخرجها من ماله: حالة كونه يخشى الفقر ويأمل الغنى، فإن هذه الصدقة يأتيه من ثوابها بعد موته ما شاء الله.

صدقة جارية ومنها المشاريع الاقتصادية التي ينفع الله بها الأمة.  
فالبدار البدار..... والمسارة إلى أن تدخر لك أخي الكريم عند الله ما ينفعك  
غداً

{يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ} الشعراء ٨٩-٨٨

نسير إلى الآجال في كل لحظة وأعمارنا تطوى وهن مراحل

ترحل من الدنيا بزداد من التقى فعمرك أيام وهن قلائل

فالأيام تطحن الأعمار طحن القمح في الرحى. ثم تدرى الأعمال أدراج الرياح؛  
ولا يبقى إلا ما رضىه الله سبحانه، وأحبه من الأقوال والأفعال.

إننا لنفرح بالأيام نقطعها وكل يوم مضى يديني من الأجل

فاعمل لنفسك قبل الموت مجتهداً فإنما الربح والخسران في العمل

أخي الحبيب:

بادر الأيام بالعمل الصالح، وأملاً خزائنها بالفرائض والنوافل قبل أن تبادرك

هي بموتٍ أو عجز، وقبل أن تجدها فارغة خاوية تقول:

{يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ حَيَاتِي} الفجر ٢٤

أخي الكريم:

خذ لك زادين من سيرة ومن عملٍ صالحٍ يُدّخر

١ - البخاري: في الصلاة، باب من بنى مسجداً ٦٤٨ / ١.

وكن في الطريق عفيف الخطأ شريف السماع كريم النظر  
وكن رجلاً إن أتوا بعده يقولون مرّ وهذا الأثر

## (٢٥) لماذا يختار الميت الصدقة لورجع للدنيا؟

### الخطبة الأولى

الحمد لله الواحد القهار. العزيز الغفار. مقدر الأقدار. مصرف الأمور مكور الليل على النهار. تبصرة لأولى القلوب والأبصار. الذي أيقظ من خلقه من اصطفاه فأدخله في جملة الأخيار وفق من اختار من عبيده فجعله من الأبرار. وبصر من أحبه للحقائق فرهدوا في هذه الدار. فاجتهدوا في مرضاته والتأهب لدار القرار. واجتناب ما يسخطه والحذر من عذاب النار.

وأشهد أن لا إله إلا الله إقرارا بوحدانيته، واعترافا بما يجب على الخلق كافة من الإذعان لربوبيته.

يا رب إن ذنوبي في الورى كثرت  
وقد أتيتك بالتوحيد يصحبه  
وليس لى عمل فى الحشر ينجيني  
حب النبى وذاك القدر يكفينى  
وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وصفيه من خلقه وحببيه

المصطفى من خليقته، وأكرم الأولين والآخرين من بريته، أكرم الخلق وأزكاهم وأكملهم، وأعرفهم بالله تعالى وأخشاهم وأعلمهم، واتقاهم وأشدهم اجتهادا وعبادة وخشية وزهادة، وأعظمهم خلقا، وأبلغهم بالمؤمنين تلطفا ورحما أرسله بحق شرعه وشرع حقيقه، وأخذ بنور برهانه لهب الباطل وأزهقه، ودمغ بسيف تحقيقه دماغ البهتان فأزال بخسه ورهقه

وعلى اله وأصحابه ومن سار على نهجه وتمسك بسنته واقتدى بهديه واتبعهم بإحسان إلى يوم الدين ونحن معهم يا أرحم الراحمين

ثم أما بعد

العنصر الأول: تمنى الميت الرجوع ليتصدق و يعمل صالحا

أمة الحبيب المصطفى - صلى الله عليه وسلم - نعيش في ذلك الموقف الذي  
 يذكرنا دائماً وأبداً بالرحيل إلى الدار الآخرة مع سؤال يتبادر إلى ذهن المؤمن عندما  
 يقرأ قول الله تعالى {يَلَيْلِيَّاهُ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ  
 وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٩) وَأَنْفَقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ  
 أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ  
 (١٠) وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} [المنافقون: ٩ -  
 [١١]

لماذا خص واختار الميت الصدقة بالذكر وتمنى الرجوع إلى الدنيا ليكون من  
 المتصدقين؟

### أعيروني القلوب والأسماع

قال أهل العلم: ما ذكر الميت الصدقة إلا لعظيم ما رأى من أثرها فأكثرها من  
 الصدقة فإن المؤمن في ظل صدقة يوم القيامة وتصدقوا عن موتاكم فإن موتاكم  
 يتمنون الرجوع للدنيا ليتصدقوا ويعملوا صالحاً فحققوا لهم أمنيتهم

عن ابن عباس قال: من كان له مالٌ يبلغه حج بيت ربّه، أو يجب عليه فيه زكاة،  
 فلم يفعل، يسأل الرجعة عند الموت، فقال رجلٌ: يا ابن عباس، اتق الله، فإنها يسأل  
 الرجعة الكفار؟ فقال: سأتلو عليك بذلك قرأنا: {يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم  
 أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون (٩)  
 وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجلٍ  
 قريبٍ فأصّدق}،

### العنصر الثاني: لماذا يتمنى الميت الصدقة

لقد كشف للميت الغطاء ورأى عظم الجزاء رأى ثمرات تورث صاحبها جنة  
 تجري من تحتها الأنهار هيا لنرى ما رأى

أولاً: أنها تطفى غضب الله سبحانه وتعالى: كما في عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "الصدقة تطفى غضب الرب، وتدفع ميتة السوء" (١)

ثانياً: أنها تمحو الخطيئة، وتذهب نارها كما في قوله عن جابر عن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يا كعب أعيذك بالله من إمارة السفهاء إنها ستكون أمراء من دخل عليهم فأعانهم على ظلمهم وصدقهم بكذبهم فليس مني ولست منه ولكن يرد علي الحوض ومن لم يدخل عليهم ولم يعنهم على ظلمهم ولم يصدقهم بكذبهم فهو مني وأنا منه وسيرد علي الحوض يا كعب بن عجرة الصلاة قربان والصورم جنة والصدقة تطفى الخطيئة كما يطفى الماء النار والناس غاديان فمبتاع نفسه فمعتق رقبته أو موبقها يا كعب بن عجرة إنه لا يدخل الجنة لحم نبت من سحت" (٢)

ثالثاً: أنها وقاية من النار: عن عدي بن حاتم، قال: ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم النار فأعرض وأشاح وقال: «تقوا النار ولو بشق تمرّة، فإن لم تجد فبكيلمة طيبة» (٣)

رابعاً: أن المتصدق في ظل صدقته يوم القيامة عقبه بن عامر قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: "كل امرئ في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس". قال يزيد: فكان أبو الخير مرثداً لا يحطئه يوم إلا تصدق فيه - بشيء، ولو كعكة، أو بصلة" (٤)

١ - (أخرجه الترمذي "٦٦٤ صحيح بمجموع طرقه وشواهده).

٢ - أخرجه أحمد (٣/٣٢١، رقم ١٤٤٨١)

٣ - أخرجه البخاري (٦٥٣٩)، ومسلم (١٠١٦)

٤ - أخرجه أبو يعلى ٣/٣٠٠ - ٣٠١

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَادِلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ فِي خَلَاءٍ فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ، وَرَجُلٌ كَانَ قَلْبُهُ مُعَلَّقًا فِي الْمَسْجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ إِلَى نَفْسِهَا فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِئْلَهُ مَا صَنَعَتْ يَمِينُهُ". (١)

خامساً: أن في الصدقة دواء للأمراض البدنية عن أبي أمامة الباهلي - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: " دَاوُوا مَرَضَكُمْ بِالصَّدَقَةِ " (٢)

يقول ابن شقيق: (سمعت ابن المبارك وسأله رجل: عن قرحة خرجت في ركبته منذ سبع سنين، وقد عالجتها بأنواع العلاج، وسأل الأطباء فلم ينتفع به، فقال: اذهب فأحفر بئراً في مكان حاجة إلى الماء، فإني أرجو أن ينبع هناك عين ويمسك عنك الدم، ففعل الرجل فبرأ) (٣).

سادساً: أن الله يضاعف للمتصدق أجره كما في قوله عز وجل: إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُّضَاعَفُ لَهُمْ وَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ [الحديد: ١٨]. وقوله سبحانه: مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ [البقرة: ٢٤٥].

سابعاً: أن صاحبها يدعى من باب خاص من أبواب الجنة يقال له باب الصدقة عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: " مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، نُودِيَ فِي الْجَنَّةِ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، هَذَا خَيْرٌ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ

١ - أخرجه: البخاري ١٣٨/٢ (١٤٢٣)، ومسلم ٩٣/٣ (١٠٣١) (٩١).

٢ - صحيح الجامع: ٥٨، صحيح الترمذي: ٧٤٤، غيب الترهيب: ٧٤٤.

٣ - السير للذهبي (٤٠٧/٨).

الصَّلَاةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرِّيَّانِ".

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا عَلَى مَنْ دُعِيَ مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ، فَهَلْ يُدْعَى أَحَدٌ مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ كُلِّهَا؟ قَالَ: (عَمَّ، وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ). هَذَا حَدِيثٌ مُتَّفَقٌ عَلَى صِحَّتِهِ،

ثامناً: أن العبد إنما يصل حقيقة البر بالصدقة كما جاء في قوله تعالى: لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ [آل عمران: ٩٢].

تاسعاً: أنه لا يبقى لصاحب المال من ماله إلا ما تصدق به كما في قوله تعالى: وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَأَنْفُسِكُمْ [البقرة: ٢٧٢]. عَنْ عَائِشَةَ أُمَّهُمُ ذَبَحُوا شَاءً، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا بَقِيَ مِنْهَا؟»، قَالَتْ: مَا بَقِيَ مِنْهَا إِلَّا كَتِفُهَا، قَالَ: «بَقِيَ كُلُّهَا غَيْرَ كَتِفِهَا» (١)

عاشراً: أن الله يدفع بالصدقة أنواعاً من البلاء كما في وصية يحيى عليه السلام لبني إسرائيل: الْحَارِثُ الْأَشْعَرِيُّ، حَدَّثَهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ أَمَرَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ يَعْمَلَ بِهَا وَيَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهَا - وَذَكَرَ مِنْهَا - وَأَمَرَكُمْ بِالصَّدَقَةِ فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَسْرَهُ الْعَدُوُّ، فَأَوْثَقُوا يَدَهُ إِلَى عُنُقِهِ وَقَدَّمُوهُ لِيَضْرِبُوا عُنُقَهُ، فَقَالَ: أَنَا أَفْدِيهِ مِنْكُمْ بِالْقَلِيلِ وَالكَثِيرِ، فَفَدَى نَفْسَهُ مِنْهُمْ، (٢)

فالصدقة لها تأثير عجيب في دفع أنواع البلاء ولو كانت من فاجرٍ أو ظالمٍ بل من كافرٍ فإن الله تعالى يدفع بها أنواعاً من البلاء، وهذا أمر معلوم عند الناس خاصتهم وعامتهم وأهل الأرض مقرون به لأنهم قد جربوه.

١ - أخرجه الترمذي (٤/٦٤٤، رقم ٢٤٧٠) انظر الصَّحِيحَةَ: ٢٥٤٤

٢ - صَّحِيحُ الْجَامِعِ: ١٧٢٤، صَّحِيحُ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ: ٥٥٢

الحادي عشر: أن المنفق يدعو له الملك كل يوم بخلاف المسك وفي ذلك يقول  
عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: " مَا مِنْ  
صَبَاحٍ إِلَّا وَمَلَكَانِ يُنَادِيَانِ، يَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلْفًا، وَيَقُولُ الْآخَرُ:  
اللَّهُمَّ أَعْطِ مُسْكًا تَلْفًا، [في الصحيحين].

الثاني عشر: أن صاحب الصدقة يبارك له في ماله كما أخبر النبي عن ذلك بقوله:  
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: " مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ  
مَالٍ، وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ ". (١)

الثالث عشر: أنها متى ما اجتمعت مع الصيام واتباع الجنازة وعبادة المريض في  
يوم واحد إلا أوجب ذلك لصاحبه الجنة عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى  
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ صَائِمًا؟ » قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا، قَالَ: « فَمَنْ تَبِعَ  
مِنْكُمْ الْيَوْمَ جَنَازَةً؟ » قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا، قَالَ: « فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مَسْكِينًا؟ » قَالَ  
أَبُو بَكْرٍ: أَنَا، قَالَ: « فَمَنْ عَادَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مَرِيضًا؟ » قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « مَا اجْتَمَعَنَ فِي امْرِئٍ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ » (٢)

### العنصر الثالث: مجالات الصدقة

١ - سقي الماء وحفر الآبار؛ لقوله عَنْ سَعْدِ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّ أُمَّي  
مَاتَتْ أَفَأَتَصَدَّقُ عَنْهَا؟ فَقَالَ: "نَعَمْ". فَقُلْتُ: أَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: "إِسْقَاءُ  
الْمَاءِ".

عَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: "سَقِي  
الْمَاءِ" (٣).

١ - أخرجه: مسلم ٢١/٨ (٢٥٨٨) (٦٩)

٢ - أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٥١٥) ومسلم (٩٢/٣) و (١١٠/٧)

٣ - («صحيح أبي داود» (١٤٧٤).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ بِطَرِيقٍ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ فَوَجَدَ بئْرًا فَنَزَلَ فِيهَا فَشَرِبَ، ثُمَّ خَرَجَ، فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبُ مِنَ الْعَطَشِ مِثْلَ الَّذِي كَانَ بَلَغَ مِنِّي، فَنَزَلَ الْبئْرَ فَمَلَأَ خُفَّهُ مَاءً». (١)

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "بيننا كلبٌ يطيفُ بركبته قد كاد يقتله العطش، إذ رأته بغيٌّ من بغايا بني إسرائيل، فنزعت موفها فاستقت له فسقته إياه، فغفر لها به". (٢)

٣ - بناء المساجد؛ لقوله عثمان بن عفان حين بنى مسجداً لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إنكم قد أكثرتم وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (من بنى مسجداً قال بكميرٌ حسبت أنه قال يتغي به وجه الله بنى الله بيتاً في الجنة) (٣) وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حفر بئر ماء لم يشرب منه كبد حرى من جن ولا إنس ولا طائر إلا أجره الله يوم القيامة ومن بنى لله مسجداً كمفحص قطاة أو أصغر بنى الله له بيتاً في الجنة (٤)

رواه ابن خزيمة في صحيحه وروى ابن ماجه منه ذكر المسجد فقط بإسناد

صحيح

٤ - الإنفاق على نشر العلم، وتوزيع المصاحف، وبناء البيوت لابن السبيل، ومن كان في حكمه كاليتيم والأرملة ونحوهما عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : "إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته: علماً

١ - أخرجه البخاري (٢٣٦٣)، ومسلم (٢٢٤٤).

٢ - أخرجه البخاري (٣٧٦ / ٢) ومسلم (٤٥ / ٧) وأحمد (٥٠٧ / ٢)

٣ - أخرجه مسلم ٤٣ - (٥٣٣)

٤ - أخرجه ابن خزيمة (٢٤٩٠)، ومن طريقه البيهقي في "الشعب" (٣٤٤٨) ع



نَشْرُهُ (، وَوَلَدًا صَالِحًا تَرَكَهُ، وَمُضْحَفًا وَرَثَهُ، أَوْ مَسْجِدًا بَنَاهُ، أَوْ بَيْتًا لِابْنِ السَّبِيلِ بَنَاهُ، أَوْ نَهْرًا أَجْرَاهُ، أَوْ صَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِهِ فِي صِحَّتِهِ وَحَيَاتِهِ، تَلَحُّقُهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ" (١)

الرابع عشر: أن فيها انشراح الصدر، وراحة القلب وطمأنينته، فإن النبي ضرب مثل البخيل والمنفق كمثلي رجلين عليهما جبتان من حديد من ثدييهما إلى تراقيهما فأما المنفق فلا ينفق إلا اتسعت أو فرت على جلده حتى يخفى أثره، وأما البخيل فلا يريد أن ينفق شيئاً إلا لزقت كل حلقة مكانها فهو يوسعها ولا تتسع [في الصحيحين] ( فالتصدق كلما تصدق بصدقة انشرح لها قلبه، وانفسح بها صدره، فهو بمنزلة اتساع تلك الجبة عليه، فكلماً تصدَّق اتسع وانفسح وانشرح، وقوي فرحه، وعظم سروره، ولو لم يكن في الصَّدَقَةِ إلا هذه الفائدة وحدها لكان العبدُ حقيقياً بالاستكثار منها والمبادرة إليها وقد قال تعالى: وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ [الحشر: ٩].

الخامس عشر: أنَّ المنفق إذا كان من العلماء فهو بأفضل المنازل عند الله كما في قوله: { إِنَّمَا الدُّنْيَا لِأَرْبَعَةِ نَفَرٍ: عَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ مَالاً وَعِلْماً فهو يتقي فيه ربه ويصل فيه رحمه، ويعلم الله فيه حقاً فهذا بأفضل المنازل.. } الحديث.

السادس عشر: أنَّ النَّبِيَّ جعل الغنى مع الإنفاق بمنزلة القرآن مع القيام به، وذلك في قوله: { لا حسد إلا في اثنين: رجلٌ آتاه اللهُ القرآن فهو يقوم به آناء الليل والنهار، ورجل آتاه اللهُ مَالاً فهو ينفقه آناء الليل والنهار }، فكيف إذا وفق اللهُ عبده إلى الجمع بين ذلك كله؟ نسأل الله الكريم من فضله.

السابع عشر: أنَّ العبد موفٍ بالعهد الذي بينه وبين الله ومتممٌ للصفقة التي عقدها معه متى ما بذل نفسه وماله في سبيل الله يشير إلى ذلك قوله جل وعلا: إِنَّ

١ - أخرجه ابن ماجه (١/٨٨، رقم ٢٤٢) قال المنذرى (١/٥٥): إسناده حسن

اللّٰهُ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ فَيَقْتُلُونَ  
وَيُقْتَلُونَ وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّٰهِ  
فَأَسْتَبْشِرُوا بِيَعِّكُمْ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ [التوبة: ١١١].  
الثامن عشر: أنّ الصدقة دليلٌ على صدق العبد وإيمانه كما في قوله: { والصدقة  
برهان } [رواه مسلم].

التاسع عشر: أنّ الصدقة مطهرة للمال، تخلصه من الدّخن الذي يصيبه من  
جاء اللغو، والحلف، والكذب، والغفلة فقد كان النبي يوصي التّجار بقوله: { يا  
معشر التّجار، إنّ هذا البيع يحضره اللغو والحلف فشوبوه بالصدقة } (١)

---

١ - مسند أحمد ط الرسالة (٢٦ / ٥٩) وأخرجه ابن أبي شيبة ٧ / ٢١،



## (٢٦) العقد الفريد في بيان منزلة الشهيد وأحكام

### الخطبة الأولى

الحمد لله الحي الباقي... الذى أضاء نوره الآفاق... وورزق المؤمنين حسن الأخلاق... وتجلت رحمته بهم إذا بلغت أرواحهم التراق... نحمده تبارك وتعالى ونستعينه على الصعاب والمشاق... ونعوذ بنور وجهه الكريم من ظلمات الشرك والشقاق... ونسأله السلامة من النفاق وسوء الأخلاق...

وأشهد أن لا إله إلا الله القوى الرزاق... الحكم العدل يوم التلاق... خلق الخلق فهم في ملكه أسرى مشدودو الوثاق... أنذر الكافرين بصيحة واحدة ما لها من فواق... وبشر الطائعين بسلام الملائكة عليهم إذا التفت الساق بالساق... أرسل الرسل وأنزل الكتب ليعلم الناس أن إليه يومئذ المساق...

وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله المتمم لمكارم الأخلاق... لم يكن لعانا ولا سبابا ولا صخابا في الأسواق...

خير من صلى وصام ولبى وركب البراق... وأول الساجدين تحت العرش يوم يكشف عن ساق... جاهد في سبيل الله منصورا معصوما من الإخفاق... وترك فينا ما إن تمسكنا به علمنا أن ما عندنا ينفد وما عند الله باق...

اللهم صل وسلم وبارك عليه ما تعقب العشى الإشراق... وما دام القمر منتقلا في منازل من التمام إلى المحاق...

### أما بعد

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته مرة ثانية وثالثة .

إن السلام وإن أهدها مرسله \*\*\* وزاده رونقا منه وتحسيناً

لم يبلغ العشر من قول يبلغه \*\*\* أذن الأحبة أفواه المحبينا

أيها الأحباب لقد علم الرعيل الأول من صفوة المسلمين أن في الجهاد فضلاً لا يضاهي وخيراً لا يتناهى ، وأيقنوا أن الجنة تحت ظلال السيوف وأن الري الأعظم في شرب كؤوس الختوف فشمروا للجهاد عن ساق الاجتهاد ، ونفروا إلى ذوي الكفر والعناد من شتى أصناف العباد ، وجهزوا الجيوش والسرايا وبذلوا في سبيل الله العطايا وأقرضوا الأموال ولمن يضعفها ويزكيها ، ودفعوا سلع النفوس من غير ملاحظة لمشتريها ، وضربوا الكافرين فوق الأعناق واستعذبوا من المنية مر المذاق ، وباعوا الحياة الفانية بالعيش الباق ، ونشروا أعلام الإسلام في الأفاق ... "

فهيا لنشرف الأسماع بألحان الخلود الباقية التي عزف عليها هؤلاء الشهداء الأبرار الذين صدقوا الله فصدقهم الله تعالى المجاهدون في سبيل الله وهم جند الله الذين يقيم بهم دينه ويدفع بهم بأس أعدائه ويحفظ بهم بيضة الإسلام ، ويحمي بهم حوزة الدين ، وهم الذين يقاتلون أعداء الله ليكون الدين كله لله ، وتكون كلمة الله هي العليا قد بذلوا أنفسهم في محبة الله ونصر دينه وإعلاء كلمته ودفع أعدائه وهم شركاء لكل من يحمونه بسيوفهم في أعمالهم التي يعملونها ، وإن باتوا في ديارهم ، ولهم مثل أجور من عبد الله بسبب جهادهم وفتوحهم فإنهم كانوا هم السبب فيه ، والشارع قد نزل المتسبب منزلة الفاعل التام في الأجر والوزر ولهذا كان الداعي إلى الهدى ، والداعي إلى الضلال لكل منهما بتسببه مثل أجر من تبعه ، وقد تظاهرت آيات الكتاب وتواترت نصوص السنة على الترغيب في الجهاد والحض عليه ومدح أهله والإخبار عما لهم عند الله ربهم من أنواع الكرامات والعطايا الجزيلات ، ويكفي في ذلك قوله تعالى { يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم } (الصف ١٠)

فشوقت النفوس إلى هذه التجارة الرباحة التي دل عليها رب العالمين العليم الحكيم فقال { تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم } (الصف ١١) فكان النفوس ضنت بحياتها وبقائها فقال { ذلكم خير لكم إن كنتم

تعلمون} يعني أن الجهاد خير لكم من قعودكم للحياة والسلامة فكأنها قالت: فما لنا في الجهاد من الحظ؟ فقال {يغفر لكم ذنوبكم} (الصف ١٢) مع المغفرة {ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم} فكأنها قالت هذا في الآخرة فما لنا في الدنيا؟ فقال {وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين} (الصف ١٣) فله ما أحلى هذه الألفاظ وما ألصقها بالقلوب وما أعظمها جذباً لها وتسييراً إلى ربها وما ألطف موقعها من قلب كل محب، وما أعظم غنى القلب وأطيب عيشة حين تباشره معانيها فنسأل الله من فضله إنه جواد كريم " (١) أ.هـ

ويقول العزيز الحميد وهو يقرر فضل المجاهدين في سبيله وما أعد لهم في دار كرامته {إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم} (التوبة ١١١)

### العنصر الأول: لماذا سمي الشهيد بذلك

وَالشَّهِيدُ الْمُقْتُولُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالْجَمْعُ شُهَدَاءٌ. قَالَ ابْنُ الْأَثَرِيِّ سُمِّيَ الشَّهِيدُ شَهِيداً لِأَنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ شَهِدُوا لَهُ بِالْجَنَّةِ.

وَقِيلَ: لِأَنَّهُ يَكُونُ شَهِيداً عَلَى النَّاسِ بِأَعْمَالِهِمْ.

وَالشَّهِيدُ فِي اصْطِلَاحِ الْفُقَهَاءِ: مَنْ مَاتَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي قِتَالِ الْكُفَّارِ وَبِسَبَبِهِ.

وَيُلْحَقُ بِهِ فِي أُمُورِ الْآخِرَةِ أَنْوَاعٌ يَأْتِي بَيَانُهَا.

قال الإمام السهيلي - رحمه الله - «وأولى هذه الوجوه كلها بالصحة: أن يكون فعياً بمعنى مفعول، ويكون معناه: مشهوداً له بالجنة، أو يشهد عليه النبي عليه

١ - طريق المهجرتين وباب السعادتين ٤٣٨ - ٤٣٩

السلام، كما قال: «هؤلاء أنا شهيد عليهم»، أي: قِيم عليهم بالشهادة لهم، وإذا حشروا تحت لوائه، فهو وال عليهم، وإن كان شاهداً لهم، فمن ههنا اتصل الفعل بعلى، فتقوى هذا الوجه من جهة الخبر،

فدل على أن الشهيد مشهود له، ومشهود عليه، وهذا استقراء من اللغة صحيح، واستنباط من الحديث بديع، فقف عليه" (١)

### العنصر الثاني: أنواع الشهادة

اعلموا عباد الله أنه اصطلح العلماء على تقسيم الشهداء إلى ثلاثة أقسام:

#### القسم الأول: شهيد الدنيا والآخرة:

ومقصودهم بشهيد الدنيا: أنه يأخذ أحكاماً خاصة في الدنيا تميزه عن سائر الموتى، كعدم الغسل عند أكثر العلماء، والتكفين في ثيابه، وغير ذلك مما سيأتي تفصيله - إن شاء الله تعالى -.

ومقصودهم بشهيد الآخرة: أن له ثواباً موعوداً خصه الله به سبحانه وتعالى، وقد تقدم ذكر بعضها في مبحث فضائل الشهادة.

#### القسم الثاني: شهيد الدنيا:

أي دون الآخرة، وهو من قتل في حرب الكفار، وقام به مانع من موانع الشهادة، كالرياء، والسمعة، والغلول من الغنيمة فهذا له حكم الشهداء في الدنيا دون الآخرة، وهذا تجري عليه الأحكام الخاصة بالشهيد، وما يترتب عليه، وهؤلاء ليس لهم الثواب الكامل الموعود به الشهيد في الآخرة

وحيث أطلق الفقهاء مصطلح "الشهيد" انصرف لهذا القسم والذي قبله،

وحكمهما واحد في أحكام الدنيا

#### القسم الثالث: شهيد الآخرة:

وهم جميع من عدتهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الشهداء وورد  
تسميتهم بذلك كالمطعون، والغريق، والحريق، وغيرهم

عقبة بن عامر - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: " **حَسُّ مَنْ قُبِضَ فِي شَيْءٍ مِنْهُمْ فَهُوَ شَهِيدٌ: الْقَتِيلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ شَهِيدٌ، وَالْغَرِيقُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ شَهِيدٌ، وَالْمُطْعُونُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ شَهِيدٌ، وَالْمَبْطُونُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ شَهِيدٌ، وَالنُّفْسَاءُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ شَهِيدٌ**" (١)

والمراد أنهم شهداء في ثواب الآخرة، وإلا فهم كغيرهم من الموتى، ليس لهم أحكام خاصة، فيغسلون ويصلى عليهم، فهم شهداء بشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم - وإن لم يظهر لهم حكم شهادتهم في الدنيا.

### الثالث: ثمرات الشهادة في سبيل الله

أحباب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إن سألتهم ما هي الثمرات التي يهبها الله تعالى للشهداء في سبيله

فإن الله كرمه وأعلى شأنه \* \* \* وله الخلودُ بجنةِ الرضوانِ

إن الشهيدَ مقامه في أوجها \* \* \* كالنجمِ يَسمو فوقَ كلِّ مكانِ

حيُّ وكلُّ الناسِ في أجدانهم \* \* \* فالروحُ في الروضاتِ والأفنانِ

١- الشهيد يغفر له في أول دفعة من دمه

يقول جل في علاه - {يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم \* تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون \* يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم } ( فصلت ١٠ - ١٣ )

١ - أخرجه النسائي (٣٧/٦)، رقم (٣١٦٣)، والطبراني (١٧/٣٢٦)، رقم (٩٠٠)

(

عن المقدم بن معدي كرب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( للشهيد عند الله ست خصال: يغفر له في أول دفعة من دمه - أو يرى مقعده من الجنة - ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفرع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منها خير من الدنيا وما فيها، ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، يشفع في سبعين من أقاربه (١)

## ٢- شفاعتة الشهيد في سبعين من أهله

إخوة الإيمان ومن فيض جوده سبحانه وتعالى - أن الشهيد تعم بركته على أهله وأحبابه في الآخرة حيث يغفر الله تعالى لسبعين من أهل بيته، فلك أن تتصور كيف حال الشهيد مع أهل بيته في عرصات القيامة، فيختار منهم سبعين يطلب لهم الشفاعة ويشفعه الله فيهم، فهل سيقدم على والديه أحداً؟ هل سيقدم على زوجته وأولاده أحداً؟ الجواب لا.

لكن سينتقل أيضاً إلى الآخرين، ولك أن تتأمل حالك -يا عبد الله- وأحد أقربائك من الشهداء وأنت في هول فظيع، وهو صاحب لك في الدنيا يعرفك، أراك ستقبل عليه تريه وجهك لعله يتذكرك فيعدك من السبعين الذين يطلب الشفاعة لهم، يقول رسول الله -صلى الله عليه وسلم- (يشفع في سبعين من أقاربه)

عن نمران بن عتبة الذمري قال: دخلنا على أم الدرداء - ونحن أيتام صغار - فمسحت رؤوسنا وقالت: أبشروا يا بني فإني أرجو أن تكونوا في شفاعتة أبيكم فإني سمعت أبا الدرداء يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (الشهيد يشفع في سبعين من أهل بيته) (٢)

١ - أخرجه أحمد (٤/ ١٣١)، رقم (١٧٢٢١)، والترمذي (٤/ ١٨٧)، رقم (١٦٦٣)

٢ - صحيح ابن حبان (١٠/ ٥١٧) "صحيح أبي داود" (٢٢٧٧)، "الصحيح" (٣٢١٣).



### ٣- عرس الشهيد

أيها الأحباب: ومن تكريم الله تعالى للشهداء الذين ضحوا بأنفسهم وتركوا زوجاتهم أن يزوجهم الله تعالى من الحور العين اللاتي ذكرهن الله تعالى في كتابه فقال في شأنهن { فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ (٥٦) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٧) كَأْتِيَهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ } [الرحمن: ٥٦ - ٥٨]

اسمعوا إلى تلك البشارة قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- (ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين)

عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " {الشهداء على بارق نهر باب الجنة في قبة خضراء، يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشية} (١)

عبد الله بن عبيد بن عمير قال " إذا التقى الصفان أهبط الله الحور العين إلى السماء الدنيا فإذا رأى الرجل يرضين قدمه قلن: اللهم ثبته، وإن فر احتجب منهنه فإن هو قتل نزلنا إليه فمسحتنا التراب عن وجهه وقالت: اللهم عفر من عفرة وترب من تربة [٢]

### والجزاء من جنس العمل.

\* قصة -وعن أنس -رضي الله عنه-: أن رجلاً أسود أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له: يا رسول الله: إني رجل أسود منتن الريح منتن الريح، قبيح الوجه، لا مال لي فإننا أنا قاتلت هؤلاء حتى أقتل فأين أنا؟ قال " في الجنة " فقاتل حتى قتل فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم فقال: " قد بيض الله وجهك، وطيب ريحك، وأكثر مالك وقال: لهذا أو لغيره " لقد رأيت زوجته من الحور العين نازعته

١ - أخرجه أحمد (١/٢٦٦، رقم ٢٣٩٠) قال الهيثمي (٥/٢٩٤): رجاله ثقات

٢ - مصنف عبد الرزاق (٥/٢٥٨)

جبة له من صوف تدخل بينه وبين جبته" (١)

#### ٤- الشهيد يأمن من فتنة القبر ويجار من عذابه

ومن كرامات الشهيد عند الله انه في أمان من فتنة القبر والمقصود بفتنة القبر سؤاله، ويكون لكل ميت سواء قبر أو لم يقبر، وكذلك العذاب؛ لأن القبر اسم لما بعد الموت، سواء دفن الميت في الأرض، أو ألقى في البحر، أو أكلته السباع، أو احترق بنار، أو ترك على وجه الأرض أو غير ذلك، فلا بد من السؤال، وبعد السؤال لا بد من العذاب أو النعيم.

وهذا شيء عام، إلا أن الأحاديث جاءت باستثناء بعض عباد الله، مثل الذي يموت مرابطاً في سبيل الله، ومثل الشهيد الذي يموت شهيداً في المعركة، ونحوهما مما جاءت الأخبار به؛ فإنه قد صحت الأخبار بأنه يأمن من فتنة القبر.

وأما الفتنة فإن الناس يفتنون في قبورهم، ومعنى الفتنة الاختبار، فيقال للرجل: من ربك؟ وما دينك؟ وما نبيك؟ والمقصود بالرجل كل ميت من ذكر أو أنثى فبين الرسول -صلى الله عليه وسلم- أن الشهيد يجار من عذاب وفتنة القبر فقال (. ويجار من عذاب القبر)

#### ٥- الشهيد يأمن من الفرع الأكبر

لقوله ﷺ (ويأمن من الفرع الأكبر).

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "رِبَاطُ شَهْرٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ دَهْرٍ وَمَنْ مَاتَ مُرَابِطًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمِنَ مِنَ الْفَرْعِ الْأَكْبَرِ وَغُدِي عَلَيْهِ بِرِزْقِهِ وَرِيحٍ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيَجْرِي عَلَيْهِ أَجْرُ الْمُجَاهِدِ حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ-". (٢)

#### ٦- الشهيد لا يجد ألم القتل

١ - أخرجه الحاكم (١٠٣/٢)، رقم (٢٤٦٣) انظر صحيح الترغيب والترهيب: ١٣٨١

٢ - أخرجه الطبراني كما في مجمع الزوائد (٢٩٠/٥) قال الهيثمي: رجاله ثقات .

رغم ما يره الإنسان من هول الفاجعة و من تمزق الأشلء و من احترق للأبدان  
في الشهيد لا يجد لذلك ألما إلا كما يجد الإنسان مس القرصة عن أبي هريرة رضي الله  
عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما يجد الشهيد من مس القتل إلا كما  
يجد أحدكم من مس القرصة) (١)

#### ٧- تمنى الشهيد أن يرجع إلى الدنيا لقتل عشر مرات

الجنة هي أمنية الموحدين و من أجلها خلق الله الخلق و شرع الشرائع فإذا دخلها  
الإنسان فقد حقق أمنيته، و لكن هناك صنف من الناس إذا دخلها يتمنى العودة إلى  
الدنيا، دارا الشقاء و العناء دار الفتن و المحن، هل يريد أن يعود إليها ليعيش في  
قصورها أو ليأكل من أشجارها و ثمار أو ليعافس أزواجها؟!

كلا بل يريد ذلك الصنف أن يعود ليقاتل في سبيل الله حتى ينال وسام الشهادة  
مرة ثانية عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ما أحد يدخل  
الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وله ما على الأرض من شيء إلا الشهيد يتمنى أن  
يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة. " (٢)

#### ٨- الشهيد في الجنة في الفردوس الأعلى

تألقي يا جنان الخلد كم بطلٍ ... إليك في زهوة الأشواق قد نفرا  
مُضمخًا بزكي الطيب ينشره ... مجللًا بهدى الإحسان مؤتزرا  
يُحْفُهُ في جلالٍ من شهادته ... نُورٌ ويُلقى عليه سُندسًا خَضرا  
خَفَّت إليه طيوف من منائرها ... عينٌ كواعبٌ تجلو الحُسنَ والحورا  
ما كان يُخطو خطأً إلا يهزُّ بها ... داراً من الظلم أو يرمي بها جُدرا

١ - أخرجه أحمد (٢/٢٩٧، رقم ٧٩٤٠)، والترمذي (٤/١٩٠، رقم ١٦٦٨)

٢ - أخرجه البخاري (٣/١٠٢٩، رقم ٢٦٤٢)، ومسلم (٣/١٤٩٨، رقم ١٨٧٧)

وما خطا للهدى إلا أنار به ... دَرْباً وَشَقَّ سَبِيلاً أَوْ جَلا ظَفِراً

قصة: عن أنس (أن أم حارثة أتت النبي (فقلت: يا رسول الله ألا تحدثني عن حارثة، وكان قتل يوم بدر، أصابه سهم، فإن كان في الجنة صبرت، وإن كان غير ذلك اجتهدت عليه بالبكاء، فقال رسول الله: يا أم حارثة، إنها جنان في الجنة وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى<sup>(١)</sup>)

#### ٩- الشهيد خير الناس منزلاً

عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ألا أخبركم بخير الناس منزلاً قلنا بلى يا رسول الله قال رجل آخذ برأس فرسه في سبيل الله عز وجل حتى يموت أو يقتل وأخبركم بالذي يليه قلنا نعم يا رسول الله قال رجل معتزل في شعب يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويعتزل شرور الناس وأخبركم بشر الناس قلنا نعم يا رسول الله قال الذي يسأل بالله عز وجل ولا يعطي به<sup>(٢)</sup>

#### ١٠- أين أرواح الشهداء

عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في جوف طير خضر ترد أنهار الجنة تأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا من يبلغ إخواننا عنا أنا أحياء في الجنة نرزق لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا عند الحرب فقال الله سبحانه أنا أبلغهم عنكم قال فأنزل الله ( ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله ) إلى آخر الآية<sup>(٣)</sup>

أقول هذا القول، وأستغفر الله العظيم الكريم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل

١ - أخرجه أحمد (٣/٢٦٤) قال: حدثنا سليمان بن داود. والبخاري (٨/١٤٥) والنسائي في فضائل الصحابة (١٢٧).

٢ - أخرجه أحمد (١/٣٢٢، رقم ٢٩٦١)، والترمذي (٤/١٨٢، رقم ١٦٥٢)،

٣ - أخرجه أحمد (١/٢٦٥، رقم ٢٣٨٨)، وأبو داود (٣/١٥، رقم ٢٥٢٠)



ذنب؛ فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

### الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله،

صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما.

أما بعد:

#### ١١- الشهيد يجري عليه عمله حتى يبعث

عن فضالة بن عبيد. أن رسول الله (قال) كل ميت يُحْتَم على عمله إلا المرابط في

سبيل الله، فإنه يُنَمَى له عمله إلى يوم القيامة، ويؤمن فتنة القبر (١)

#### ١٢- جراح الشهداء

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ وَالَّذِي نَفْسِي  
بِيَدِهِ لَا يَكَلِّمُ أَحَدٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يَكَلِّمُ فِي سَبِيلِهِ إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ  
وَاللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِّ وَالرَّيْحُ رِيحُ الْمَسْكِ" (٢)

#### ١٣- الشهداء أحياء

قال تعالى ( ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم

يرزقون )

#### ١٤- الشهيد لا يفضلُه النبيون إلا بدرجة واحدة

صفوان بن عمرو أن أبا المثني المليكي حدثه أنه سمع عتبة بن عبد السلمي -

وكان من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم - يحدث أن رسول الله صلى الله عليه

وسلم قال : ( القتلى ثلاثة : رجل مؤمن جاهد بنفسه وماله في سبيل الله حتى إذا

١ - أخرجه أبو داود (٩/٣، رقم ٢٥٠٠)، والترمذي (٤/١٦٥، رقم ١٦٢١)

٢ - البخاري (٣/١٠٣٢، رقم ٢٦٤٩)، ومسلم (٣/١٤٩٦، رقم ١٨٧٦)

لقي العدو قاتلهم حتى يقتل فذلك الشهيد الممتحن في خيمة الله تحت عرشه ولا يفضله النبيون إلا بفضل درجة النبوة ورجل مؤمن قرف على نفسه من الذنوب والخطايا جاهد بنفسه وماله في سبيل الله حتى إذا لقي العدو قاتل حتى قتل فتلك مصمصة تحت ذنوبه وخطاياها إن السيف محاء للخطايا وأدخل من أي أبواب الجنة شاء فإن لها ثمانية أبواب ولجهنم سبعة أبواب وبعضها أفضل من بعض ورجل منافق جاهد بنفسه وماله في سبيل الله حتى إذا لقي العدو قاتل حتى قتل فذلك في النار إن السيف لا يمحو النفاق (١)

#### العنصر الرابع: موت الشهيد حياة للأمة

إِنَّ الشَّهِيدَ حَيَاةً النَّاسِ كُلَّهُمْ ... .. فِيهِ وَكُلُّ رُؤَاةِ الْأَرْضِ مِنْهُ جَرَى  
يُعَلِّمُ النَّاسَ قَوْلَ الْحَقِّ أَيْنَ مَضُوا ... .. وَيَجْتَلِي فِي مِيَادِينِ التَّقَى الْخَبْرَا  
لَوْلَاهُ لَمْ يَبْقَ لِلْإِحْسَانِ مَنْزِلَةٌ ... .. فِي النَّاسِ أَوْ صَادِقٌ يَقْفُو لَهُ أَثْرَا  
هِيَ الشَّهَادَةُ أَعْرَاسٌ يُزْفُّ لَهَا ... .. رَجَالُهَا وَمَعَالِي الْمَجْدِ حَيْثُ تَرَى

وكما أن موت الشهيد حياة له، كما نطق القرآن قال تعالى: { بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَزَّقُونَ } [آل عمران: ١٦٩] فكذلك موت الشهيد حياة للأمة من بعده، فأولئك الأبطال العظماء الذين استرخصوا الحياة واستهانوها في سبيل الله تعالى، هم الذين بنوا الأمجاد، وسطروا صفحات التاريخ، قال أبو بكر رضي الله عنه لجنود المؤمنين: اطلبوا الموت توهب لكم الحياة

وقال لـ مسيلمة ومن معه: لأحاربنكم بقوم يحبون الموت كما تحبون أنتم الحياة وإذا انكفأ الدنيويون والماديون اليوم على اللذة والشهوة والجنس والكرسي، تسامى هؤلاء إلى العلا، واستنشقوا عبير الجنة، كما قال أنس بن النضر: الجنة ورب

١ - صحيح ابن حبان (١٠ / ٥١٩)

أنس بن النضر ، إني لأجد ريحها من دون أحد (١)

ثم صاح صائحهم:

فيا ربَّ إن حانت وفاي فلا تكُن \*\*\* على شرّجٍ يُعلَى بخُضِرِ المطارفِ  
ولكن أحن يومى سعيداً بعصبيةٍ \*\*\* يصابون في فجٍ من الأرض خائفِ  
عصائبٍ من شيطان أَلْفٍ بينهم \*\*\* تُقى الله نزالون عند التزاحفِ  
إذا فارقوا دنياهم فارقوا الأذى \*\*\* وصاروا إلى موعودٍ ما في المصاحفِ

..... الدعاء

---

١ - الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم (٢/ ٤٥٧)

## (٢٧) القول السديد في بيان صفات الشهيد

### الخطبة الأولى

الحمد لله منشئ الموجودات، وباعث الأموات، وسامع الأصوات، ومجيب الدعوات، وكاشف الكربات، عالم الأسرار، وغافر الأوزار، ومنجي الأبرار، ومهلك الفجار، ورافع الدرجات، الذي علم وألهم، وأنعم وأكرم، وحكم وأحكم، وأوجب وألزم (وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات).

وأشهد إن لا اله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو علي كل

شيء قدير.

يا من له علم الغيوب ووصفه      ستر العيوب وكل ذاك سماح  
أخفيت ذنب العبد عن كل      الوري كرما فليس عليه ثم جناح  
فلك التفضل والتكرم والرضا      أنت الكريم الواهب الفتاح

وأشهد أن سيدنا وحبينا وشفيعنا محمد عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحببيه وعلى اله وأصحابه ومن سار على نهجه وتمسك بسنته واقتدى بهديه واتبعهم بإحسان إلى يوم الدين ونحن معهم يا أرحم الراحمين

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته مرة ثانية وثالثة.

إن السلام وإن أهدها مرسله      وزاده رونقاً منه وتحسيناً

لم يبلغ العشر من قول يبلغه      أذن الأحبة أفواه المحبين

إخوة الإسلام ما بين الفينة والأخرى نعود شهداء قد جادوا بأرواحهم فداء لدينهم ثم لأوطانهم قد نالت منهم يد الغدر والظلم والطغيان والإرهاب..... رحلوا عن أجسادهم ولكنهم بقوا بذكراهم وتضحياتهم

حديثنا عن صفات الشهداء الذين اختصهم الله تعالى بفضله وبكرمة كما في

حديث المقدم بن معدي كرب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( للشهيد عند الله ست خصال: يغفر له في أول دفعة من دمه - أو يرى مقعده من الجنة - ويجار من عذاب القبر ، ويأمن من الفزع الأكبر ، ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منها خير من الدنيا وما فيها ، ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ، يشفع في سبعين من أقاربه (١) أخرجه أحمد

### العنصر الأول: صفات الشهيد

أمة الإسلام إن الشهادة منزلة عالية ومكانة سامية كما ذكرنا أنفا وللشهادة في سبيل الله مؤهلات وصفات فليس كل أحد ينال تلك المنزلة ولا يصل إلى هذه المكانة وإليكم عباد الله بعض هذه الصفات

### الصفة الأولى: الإيمان والصدق العميق

الإيمان الذي هو المحرك للمشاعر والأعضاء الذي يدفع المرء إلى بذل مهجته في سبيل إعلاء كلمة الحق  
إيمان بأنه على الحق  
إيمان بأن واجبه نصره ذلك الحق  
إيمان بما وعد الحق جل جلاله

عن أبي موسى قال سئل النبي {صلى الله عليه وسلم} عن الرجل يقاتل شجاعةً ويقاتل حميةً ويقاتل رياءً أي ذلك في سبيل الله فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا في حديث ابن المنى لتكون كلمة الله أعلى فهو في سبيل الله (٢)

١- سبق تخريجه

٢- أخرجه البخاري في: ٥٦ كتاب الجهاد والسير: ١٥

## الواقع التطبيقي لهذه الصفة

وتأملوا عباد الله إلى الإيمان العميق كيف يسمو بصاحبه إلى درجة الشهادة:

عن شداد بن الهاد - رضي الله عنه - قال: جاء رجل من الأعراب إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فأمن به واتبعه ، ثم قال: أهاجر معك ، " فأوصى به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعض أصحابه ، فلما كانت غزوة ، " غنم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سبيا ، فقسم ، وقسم له ، فأعطى أصحابه ما قسم له " ، وكان يرعى ظهرهم فلما جاء دفعوه إليه ، فقال: ما هذا؟ ، قالوا: قسم قسمه لك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأخذه فجاء به إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: ما هذا؟ ، قال: " قسمته لك " ، فقال: ما على هذا اتبعتك ، ولكنني اتبعتك على أن أرمى بسهم هاهنا - وأشار إلى حلقه - فأموت فأدخل الجنة فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: " إن تصدق الله يصدقك " ، فلبثوا قليلا ، ثم نهضوا في قتال العدو ، فأتي به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يحمل ، قد أصابه سهم حيث أشار ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: " أهو هو؟ " ، قالوا: نعم ، قال: " صدق الله فصدقه ، ثم كفته رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في جيبه ، ثم قدمه فصلى عليه ، فكان فيما ظهر من صلاته: اللهم هذا عبدك ، خرج مهاجرا في سبيلك ، فقتل شهيدا ، أنا شهيد على ذلك)(<sup>١</sup>)

### أنس بن النضر (رضي الله عنه).

عن أنس بن مالك قال : غاب عمي أنس بن النضر ، عن قتال بدر فقال : يا رسول الله غبت عن أول قتال قاتلت المشركين : لئن الله أشهدني قتال المشركين ليرين الله ما أصنع ، فلما كان يوم أحد أنكشف المسلمون ، قال : اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء يعني أصحابه وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء يعني المشركين ثم

١ - أخرجه النسائي (٤/ ٦٠) وصحيح الترغيب والترهيب: ١٣٣٦

تقدم فاستقبله سعد بن معاذ فقال : يا سعد بن معاذ الجنة ورب النضر إني أجد ريجها من دون أحد ، قال : سعد فما استطعت يا رسول الله ما صنع ، قال أنس : فوجدنا بضعا وثمانين ضربه بالسيف أو طعنه بالرمح أو رمية بسهم ، ووجدناه قد قتل ، ومثل به المشركون فما عرفه أحد إلا أخته بينانه (١)

### الصفة الثانية: الثبات والإقدام

ومن صفات الشهداء أنهم يثبتون في ميدان المعركة ولا يولون الأدبار لإيمانهم بقول العزيز الجبار { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } [ الأنفال: ٤٥ ]

يقول الشيخ محمد رشيد رضا- رحمه الله- والمعنى : يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة من أعدائكم الكفار ، وكذا البغاة في القتال فاثبتوا لهم ، ولا تفروا من أمامهم - ولم يصف الفئة للعلم بوصفها من قرينة الحال ، وهي أن المؤمنين لا يقاتلون إلا الكفار أو البغاة - فإن الثبات قوة معنوية طالما كانت هي السبب الأخير للنصر والغلب بين الأفراد أو الجيوش : يتصارع الرجلان الجلدان فيعيا كل منهما ، وتضعف منته ، ويتوقع في كل لحظة أن يقع صريعا فيخطر له أن خصمه ربما وقع قبله فيثبت ، حتى يكون بثبات الدقيقة الأخيرة هو الصرعة الظافر (٢)

### الواقع التطبيقي لهذه الصفة

وهيا لنرى الترجمة الحرفية الفورية لتلك الصفة من صفات الأبطال والكمأة

- «أنا النبي لا كذب. أنا ابن عبد المطلب

عن البراء بن عازب-رضي الله عنهما- أنه قال لرجل قال له: أكنتم وليتم يوم

حين يا أبا عمارة؟

١ - أخرجه البخاري (٤٠٤٨)

٢ - تفسير المنار (١٠ / ٢٠)

فقال: أشهد على نبي الله صلى الله عليه وسلم ما ولى ولكنه انطلق أخفاء من الناس، وحسر إلى هذا الحي من هوازن، وهم قوم رماة. فرموهم برشق من نبل. كأنها رجل من جراد. فانكشفوا. فأقبل القوم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأبو سفيان بن الحارث يقود به بغلته. فنزل ودعا واستنصر، وهو يقول: «أنا النبي لا كذب. أنا ابن عبد المطلب. اللهم نزل نصرك». قال البراء: كنا والله إذا احمر البأس نتقي به. وإن الشجاع منا للذي يحاذي به - يعني النبي صلى الله عليه وسلم (١)

### ثبات الشهداء بمعركة اليمامة

وتقدم خالد - رضي الله عنه - بالمسلمين حتى نزل بهم على كتيب يشرف على اليمامة فضرب به عسكره، واصطدم المسلمون والكفار فكانت جولة وانهمزت الأعراب حتى دخلت بنو حنيفة خيمة خالد بن الوليد، وهموا بقتل أم تميم حتى أجارها مجاعة، وقال: نعمت الحرة هذه، وقد قتل الرجال بن عنفة لعنه الله في هذه الجولة قتله زيد بن الخطاب، ثم تذامر الصحابة بينهم وقال ثابت بن قيس بن شماس: لبئس ما عودتم أقرانكم ونادوا من كل جانب: أخلصنا يا خالد، فخلصت ثلة من المهاجرين والأنصار وحمي وقاتلت بنو حنيفة قتالاً لم يعهد مثله، وجعلت الصحابة يتواصون بينهم ويقولون: يا أصحاب سورة البقرة بطل السحر اليوم، وحفر ثابت بن قيس لقدميه في الأرض إلى أنصاف ساقيه وهو حامل لواء الأنصار بعدما تحنط وتكفن، فلم يزل ثابتاً حتى قتل هناك.

وقال المهاجرون لسالم مولى أبي حذيفة: أتخشى أن تؤتى من قبلك؟

فقال: بئس حامل القرآن أنا إذاً.

١ - أخرجه أحمد (٤/٢٨٠، رقم ١٨٤٩١)، والبخاري (٣/١٠٥١، رقم ٢٧٠٩)، ومسلم

(٣/١٤٠١، رقم ١٧٧٦)

وقال زيد بن الخطاب: أيها الناس عضوا على أضراسكم واضربوا في عدوكم وامضوا قدمًا. وقال: والله لا أتكلم حتى يهزمهم الله أو ألقى الله فأكلمه بحجتي، فقتل شهيدًا - رضي الله عنه -.

وقال أبو حذيفة: يا أهل القرآن زينوا القرآن بالفعال، وحمل فيهم حتى أبعدهم، وأصيب - رضي الله عنه -، وحمل خالد بن الوليد حتى جاوزههم وسار لقتال مسيلمة وجعل يترب أن يصل إليه فيقتله، ثم رجع ثم وقف بين الصنفين ودعا البراز، وقال: أنا ابن الوليد العود، أنا ابن عامر وزيد، ثم نادى بشعار المسلمين وكان شعارهم يومئذ: يا محمداه، وجعل لا يبرز له أحد إلا قتله ولا يدنو منه شيء إلا أكله، وقد ميز خالد المهاجرين من الأنصار من الأعراب، وكل بنى أب على رايتهم يقاتلون تحتها حتى يعرف الناس من أين يؤتون، وصبر الصحابة في هذه المواطن صبرًا لم يعهد مثله، ولم يزالوا يتقدمون إلى نحور عدوهم حتى فتح الله عليهم وولى الكفار الأدبار واتبعوهم يقتلون في أقفائهم ويضعون السيوف في رقابهم حيث شاءوا، حتى ألبأوهم إلى حديقة الموت، وقد أشار عليهم محكم اليمامة - وهو محكم بن الطفيل لعنه الله - بدخولها فدخلوها وفيها عدو الله مسيلمة لعنه الله، وأدرك عبد الرحمن بن أبي بكر محكم بن الطفيل فرماه بسهم في عنقه وهو يخطب فقتله، وأغلقت بنو حنيفة الحديقة عليهم وأحاط بهم الصحابة. (١)

### الصفة الثالثة: الشجاعة

ومن صفات الشهداء أنهم لا يهابون ولا يخفون يخوضون معمة القتال ببسالة وشجاعة لا نظير لها حالهم كما قال قطري:

أَقُولُ لَهَا وَقَد طَارَتْ شَعَاعًا \*\*\* مِّنَ الْأَبْطَالِ وَيَحْكُ لَنْ تُرَاعِي  
فَإِنَّكَ لَوْ سَأَلْتَ بَقَاءَ يَوْمٍ \*\*\* عَلَى الْأَجْلِ الَّذِي لَكَ لَمْ تُطَاعِي

١ - البداية والنهاية ط الفكر (٦ / ٣٢٤)

فَصَبْرًا فِي مَجَالِ الْمَوْتِ صَبْرًا\*\*\*فَمَا نَيْلُ الْخُلُودِ بِمُسْتَطَاعِ  
وَلَا ثَوْبُ الْبَقَاءِ بِثَوْبِ عِزٍّ\*\*\*فَيَطْوِي عَنْ أَحْيِ الْخَنْعِ الْيُرَاعُ  
سَبِيلُ الْمَوْتِ غَايَةُ كُلِّ حَيٍّ\*\*\*فَدَاعِيَةٌ لِأَهْلِ الْأَرْضِ دَاعِي  
وَمَنْ لَا يُعْتَبَطُ يَسَامُ وَيَهْرَمُ\*\*\*وَتُسَلِمُهُ الْمَنُونُ إِلَى انْقِطَاعِ  
وَمَا لِلْمَرْءِ خَيْرٌ فِي حَيَاةٍ\*\*\*إِذَا مَا عُدَّ مِنْ سَقَطِ الْمَتَاعِ

عن البراء - رضي الله عنه - قال: "وكان إذا احمرَّ البأس، يُتَّقَى به - يعني: النبي -  
صلى الله عليه وسلم - وإنه الشجاع الذي يُجَادَى به" (١)

ويقول علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - وهو من أبطال الأمة وشجعانها:  
"لقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو أقربنا إلى  
العدو، وكان من أشد الناس يومئذ بأساً" (٢)

وقد حثَّ النبي - صلى الله عليه وسلم - أمته على الشجاعة، وجعلها مجلبة لحب  
الله ورضاه؛ يقول - صلى الله عليه وسلم -: ((ثلاثة يُحِبُّهم الله - عز وجل - وذَكَر  
منهم: ورجل كان في سرية، فلقوا العدو، فهزموا، فأقبل بصدرة؛ حتى يُقتل، أو  
يَفْتَحَ اللهُ له)) (٣)

ويقول النبي - صلى الله عليه وسلم -: ((سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب،  
ورجل قام إلى إمام جائر، فأمره ونهاه، فقتله))؛ مُسند أبي حنيفة (٤)

١ - الجهاد لابن أبي عاصم (٢/ ٥٩٨)

٢ - أخرجه ابن أبي شيبة (٦/ ٤٢٦، رقم ٣٢٦١٤)، وأحمد (١/ ٨٦، رقم ٦٥٤)

٣ - أخرجه الترمذي (٤/ ٦٩٨، رقم ٢٥٦٨)، والنسائي (٥/ ٨٤، رقم ٢٥٧٠) وابن خزيمة  
(٤/ ١٠٤، رقم ٢٤٥٦)

٤ - أخرجه الترمذي (٤/ ٦٩٨، رقم ٢٥٦٨)، والنسائي (٥/ ٨٤، رقم ٢٥٧٠) صحيح الجامع:  
٣٦٧٥، الصحيحة: ٣٧٤

## الواقع التطبيقي

الزبير يوم اليرموك.

يقول ابن كثير - رحمه الله -: (وقد كان فيمن شهد اليرموك الزبير بن العوام وهو أفضل من هناك من الصحابة وكان من فرسان الناس وشجعانهم فاجتمع إليه جماعة من الأبطال يومئذ فقالوا: ألا تحمل فنحمل معك، فقال: أنكم لا تثبتوا فقالوا: بلي فحمل وحملوا: فلما واجهوا صفوف الروم أحجموا وأقدم هو فاخترق صفوف الروم حتى خرج من الجانب الأخر وعاد إلى أصحابه ، ثم جاء إليه مرة ثانية ففعل كما فعل في الأولى وجرح يومئذ جرحين بين كتفيه وفي رواية جرح ، وقد روي البخاري معني ما ذكرناه في صحيحة . (١)

## الصفة الرابعة: أنهم رهبان ليل

ومن صفات الشهداء والمجاهدين أنهم رهبان ليل إذا جن عليهم الظلام يقومون بين يدي رب الأنام

عباد ليل إذا جنَّ الظلام بهم ... كم عابد دمعته في الخد أجراه

وأسدُّ غابٍ إذا نادى الجهاد بهم ... هبوا إلى الموت يستجدون لقياه

يا رب فابعث لنا من مثلهم نفراً ... يشيدون لنا مجداً أضعناه

قال يحيى بن يحيى الغساني يحدث عن رجلين من قومه قال : لما نزل المسلمون بناحية الأردن ، تحدثنا بيننا أن دمشق ستحاصر فذهبنا نتسوق منها قبل ذلك ، فبينما نحن فيها إذا أرسل إلينا بطريقها فجئناه ، فقال : أنتما من العرب ؛ قلنا نعم ؛ قال : وعلى النصرانية ؛ قلنا : نعم فقال : ليذهب أحدكما فليتجسس لنا عن هؤلاء القوم ورايهم ، وليثبت الأخر على متاع صاحبة ، ففعل ذلك أحدنا فلبث ملياً ثم جاء

١ - - البداية والنهاية ط الفكر (٧ / ١١)

فقال : جئتك من عند رجال دقاق يركبون خيولا عتاقا ، أما الليل فرهبان ، وأما النهار ففرسان يرشون النبل ويبرونها ، ويثقفون القنا ، لو حدثت جليساك حديثا ما فهمه عنك لما علا من أصواتهن بالقرآن والذكر ، قال فالتفت إلى أصحابه وقال أتاكم منهم ما لا طاقة لكم به (١)

### الواقع التطبيقي لهذه الصفة

\* عن جابر بن عبد الله الأنصاري، فيما يذكر من اجتهاد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في العبادة، قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ قال: عبد الله، قال: أبي وفي موضع آخر: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، في غزوة من نجد، فأصاب امرأة رجل من المشركين - إلى نجد، فغشينا دارا من دور المشركين، قال: فأصبنا امرأة رجل منهم، قال: ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا، وجاء صاحبها، وكان غائبا، فذكر له مصابها، فحلف لا يرجع حتى يهريق في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم دما، قال: فلما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض الطريق، نزل في شعب من الشعاب، وقال: «من رجلان يكلآنا في ليلتنا هذه من عدونا؟» قال: فقال رجل من المهاجرين، ورجل من الأنصار: نحن نكلؤك يا رسول الله، قال: فخرجا إلى فم الشعب دون العسكر، ثم قال الأنصاري للمهاجري: أتكفيني أول الليل، وأكفيك آخره، أم تكفيني آخره، وأكفيك أوله؟ قال: فقال المهاجري: بل اكفني أوله، وأكفيك آخره، فنام المهاجري، وقام الأنصاري يصلي، قال: فافتتح سورة من القرآن، فبينما هو فيها يقرأها إذ جاء زوج المرأة، قال: فلما رأى الرجل قائما عرف أنه ربيئة القوم، فيتزعم له بسهم فيضعه فيه، قال: فينزعها، فيضعه وهو قائم يقرأ في السورة التي هو فيها، ولم يتحرك كراهية أن يقطعها، قال: ثم عاد له زوج المرأة بسهم آخر، فوضعه فيه، فانتزعه، فوضعه وهو قائم يصلي، ولم يتحرك كراهية أن يقطعها، قال: ثم عاد له زوج المرأة الثالثة بسهم،

١ - البداية والنهاية ط الفكر (٧ / ١٦)

فوضعه فيه، فانتزعه، فوضعه ثم ركع فسجد، ثم قال لصاحبه: اقعد فقد أتيت، قال: فجلس المهاجري، فلما رأهما صاحب المرأة هرب، وعرف أنه قد نذره، قال: وإذا الأنصاري يموج دما من رميات صاحب المرأة، قال: فقال له أخوه المهاجري: يغفر الله لك، ألا كنت آذنتني أول ما رماك؟ قال: فقال: كنت في سورة من القرآن قد افتتحتها أصلي بها، فكرهت أن أقطعها، وإيم الله لولا أن أضيع ثغرا أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظه، لقطع نفسي قبل أن أقطعها (١)

وهذا عبد الله بن المبارك كان في غزوة من الغزوات فتلثم وغطى وجهه، ودعا داعي الروم: من يبارز؟ فخرج عبد الله بن المبارك في لثامه، فقتل فارس الروم، ثم قتل الثاني والثالث والرابع، فتعجب الناس من بطولته، فأتى إليه رجل ورفع لثامه فإذا هو عبد الله بن المبارك وما كانوا يظنون أنه عبد الله المبارك، فقال لمن رفع لثامه: وأنت ممن يشنع علينا يا أبا عمرو!

وكان محمد بن أعين رفيقاً لعبد الله بن المبارك في غزواته كلها، وكان كريماً عليه، قال محمد بن أعين: فذهب ليرني أنه ينام، قال: فوضعت رأسي على رمح، وذهبت أريه أي نائم، فلما ظن أي قد نمت قام فصلى إلى قبل طلوع الفجر، ثم أيقظني عند الفجر، فقلت له: إني لم أنم الليلة، فعرفت الغضب في وجهه، وما زال مجافياً لي إلى الممات.

أقول هذا القول، وأستغفر الله العظيم الكريم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب؛ فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

### الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين.

١ - زاد المعاد ٢ / ١١٢، وانظر لتفصيل مباحث هذه الغزوة ابن هشام ٢ / ٢٠٣، إلى ٢٠٩، زاد المعاد ٢ / ١١٠، ١١١، ١١٢، فتح الباري ٧ / ٤١٧ إلى ٤٢٨.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله،  
صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما.

أما بعد:

### الصفة الخامسة: التضحية والبذل

ومن صفات الشهداء التضحية و البذل اعني بذل النفس في سبيل الله فه قوم  
باعوا انفسهم لله تعالى و جعلوا ثمنها الجنة قال الله تعالى {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ  
أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ هُمْ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ  
حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي  
بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } [التوبة: ١١١]

يقول ابن القيم - رحمه الله -

فلما عرفوا عظمة المشتري وفضل الثمن وجماله من جرى على يديه عقد التبائع  
عرفوا قدر السلعة وأن لها شأنًا فرأوا من أعظم الغبن أن يبيعوها لغيره بثمن بخس  
فعقدوا معه بيعة الرضوان بالتراضي من غير ثبوت خيار وقالوا والله لا نقيلك ولا  
نستقيلك

فلما تم العقد وسلموا المبيع قيل له مذ صارت نفوسكم وأموالكم لنا رددناها  
عليكم أوفر ما كانت وأضعافها معا ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل  
أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضل (١)

### الواقع التطبيقي هذه الصفة

#### البراء وحديقة الموت

( يقول الذهبي - رحمه الله - : بلغنا أن البراء يوم حرب مسيلمة الكذاب أمر  
أصحابه أن يحملوه على ترس على أسنة رماحهم، ويلقوه في الحديقة فاقترحم

١ - مدارج السالكين (٣ / ٩)

إليهم وشد عليهم وقتلهم حتى فتح باب الحديقة فجرح يومئذ بضعة وثمانين  
جرحا، ولذلك أقام خالد بن الوليد عليه شهرا يداوي جراحه (١)

حاله

سقيناهموا كأسا سقونا بمثلها ولكننا كنا على الموت أصيرا.

### من يبايع على الموت؟

وعن سيف بن عمر عن أبي عثمان عن أبيه (رضي الله عنه) قال : قال عكرمة بن  
أبي جهل (رضي الله عنه) يوم اليرموك ، قاتلت رسول الله (صلي الله عليه وسلم) في  
مواطن وأفر منكم اليوم ، ثم نادي : من يبايع علي الموت ؛ فبايعه عمه الحارث بن  
هشام وضرار بن الأزور (رضي الله عنهما) في أربعمئة من وجوه المسلمين وفرسانهم  
قدام فسطاط خالد رضي الله عنه حتى أثبتوا جميعا جراحا وقتل منهم جراحه خلق  
منهم ضرار ابن الأزور - رضي الله عنه - قال الذهبي : قال أبو إسحاق السبيعي :  
نزل عكرمة يوم اليرموك فقاتل قتالا شديدا ، ثم استشهد فوجدوا به بضعا  
وسبعين من طعنة ورمية وضربة (٢)

ذكروا أنه كان للعرب فارس يقال له ابن فتحون، وكان أشجع العرب والعجم  
في زمانه.

وكان المستعين يكرمه ويعظمه ويجري له في كل عطية خمسمئة دينار. وكانت  
جيوش الكفار تهابه وتعرف منه الشجاعة، ونخشي لقاءه. فيحكى أن الرومي كان  
إذا سقى فرسه ولم يشرب يقول له: ويلك لم لا تشرب هل رأيت ابن فتحون في الماء،  
فحسده نظراؤه على كثرة العطاء ومنزلته من السلطان. فوشوا به عند المستعين  
فأبعده ومنعه من عطائه، ثم إن المستعين أنشأ غزوة إلى بلاد الروم فتقابل المسلمون

١ - سير أعلام النبلاء (١/ ١٩٦)

٢ - تاريخ الإسلام للإمام الذهبي (٣/ ١٠٠)

والمشركون صفوفا، ثم برز عالج إلى وسط الميدان ونادى وقال: هل من مبارز؟

فبرز إليه فارس من المسلمين فتجاولا ساعة فقتله الرومي، فصاح المشركون سرورا، وانكسرت نفوس المسلمين، وجعل الكلب الرومي يجول بين الصفيين وينادي: هل من اثنين لواحد؟ فخرج إليه فارس من المسلمين فقتله الرومي. فصاح الكفار سرورا، وانكسرت نفوس المسلمين، وجعل الكلب يجول بين الصفيين وينادي ويقول: ثلاثة لواحد، فلم يجترئ أحد من المسلمين أن يخرج إليه، وبقي الناس في حيرة، فقيل للسلطان: ما لها إلا أبو الوليد بن فتحون فدعاه وتلطف به، قال: الساعة أكفي المسلمين شره، فلبس قميص كتان واستوى على سرج فرسه بلا سلاح وأخذ بيده سوطا طويلا، وفي طرفه عقدة معقودة، ثم برز إليه فتعجب منه النصراني. ثم حمل كل واحد منهما على صاحبه فلم تخطأ طعنة النصراني سرج ابن فتحون. وإذا ابن فتحون متعلق برقبة الفرس، ونزل إلى الأرض لا شيء منه في السرج، ثم انقلب في سرجه وحمل على العليج، وضربه بالسوط فالتوى على عنقه فجذبه بيده من السرج فاقتلعه، وجاء به يجره حتى ألقاه بين يدي المستعين. فعلم المستعين أنه كان قد أخطأ في صنعه مع أبي الوليد بن فتحون فاعتذر إليه، وأكرمه، وأحسن إليه،

وبالغ في الإنعام عليه، وردّه إلى أحسن أحواله، وكان من أعز الناس إليه»\*

الدعاء .....

## (٢٨) ما نفعتهم قصورهم في قبورهم؟

### الخطبة الأولى

الحمد لله الذي أذل بالموت رقاب الجبابرة، وأنهى بالموت آمال القياصرة، فنقلهم الموت من القصور إلى القبور، ومن ضياء المهود إلى ظلمة اللحد، ومن ملاعبة الجواري والنساء والغلمان إلى مقاساة الهوام والديدان، ومن التنعم في ألوان الطعام والشراب إلى التمرغ في ألوان الوحل والتراب

أحمدك يا رب واستعينك وأستهديك، لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك جل ثناؤك وعظم جاهك، ولا اله غيرك، اشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له ينادي يوم القيامة بعد فناء خلقه، ويقول -أنا الملك لمن الملك اليوم، ثم يجيب على ذاته سبحانه = الله الواحد القهار سبحانه سبحانه سبحانه، ذو العزة والجبروت، سبحانه ذي الملك والملكوت، سبحانه الذي لا يموت سبحانه من كتب الفناء على الخلائق ولا يموت

وأشهد أن نبينا وحيينا محمدا نبيه ورسوله وصفيه من خلقه وخليفه، أدى الأمانة وبلغ الرسالة ونصح للامة فكشف الله به الغمة، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين، وعاش طوال أيامه ولياليه يمشي على شوك الأسي، ويخطو على جمر الكيد والعنت يلتمس الطريق لهادية الضالين وإرشاد الحائرين حتى علم الجاهل وقوم المعوج وامن الخائف وطمان القلب ونشر أضواء الحق والخير والتوحيد والإيمان كما تنشر الشمس أضواءها في سائر الأكوان

اللهم صل وسلم وزد وبارك عليه رفع الله له ذكره وشرح الله صدره ووضع الله عنه وزره وزكاه ربه على جميع الخلق ومع ذلك خاطبه إنك ميت وانهم ميتون [الزمر].

قال تعالى: ( أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ مَا أَغْنَى

عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمْتَعُونَ ) [ الشعراء: ٢٠٥ - ٢٠٧ ] هذه الآية صدعت قلب ميمون ابن مهران لما ذهب إلى الحسن البصري يلتبس منه الموعدة، فقال له: يا أبا سعيد إني أنست في قلبي غلظه فاستلن لي أي قل لي شيئاً يلينه فتلى عليه الحسن هذه الآيات من آخر سورة الشعراء ( أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ \* ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ \* مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمْتَعُونَ ) فلما سمعها ميمون أغشي عليه ، فلما أفاق وخرج مع ابنه عمرو قال عمرو لأبيه يا أبت أهدا هو الحسن ؟ لم يقل شيئاً ،

وكان عمرو يتصور أن الحسن سيلقى خطبه عصماء على ما هو مشهور من كلام الحسن البصري الذي قال فيه بعض أهل العلم أن كلامه يشبه كلام الأنبياء، قال عمرو: فضرب أبي صدري بيده وقال يا بني لقد تلا عليك آيات لو تدبرتها بقلبك ألفت لها كلوماً فيه وكلوماً" (١)

جمع كلم وهو الجرح أي هذه الآيات لو تدبرتها بقلبك لا تغادر سمعك إلا وقد جرحت هذا القلب لقوتها (أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ \* ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ \* مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمْتَعُونَ).

عن عبد العزيز بن مروان ، قال : وفدت إلى سليمان بن عبد الملك ، ومعنا عمر بن عبد العزيز ، فنزلت على ابنه عبد الملك بن عمر ، وهو عزب ، فكننت معه في بيت ، فصلينا العشاء ، وأوى كل رجل منا إلى فراشه ، ثم قام عبد الملك إلى الصباح فأطفأه ، وأنا أنظر إليه ، ثم قام يصلي حتى ذهب بي النوم ، فاستيقظت ، وإذا هو في هذه الآية أفرايت إن متعناهم سنين ، ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ، ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون فبكى ، ثم رجع إليها ، فإذا فرغ منها فعل مثل ذلك ، حتى قلت : سيقتله البكاء ، فلما رأيت ذلك قلت : لا إله إلا الله ، والحمد لله ، كالمستيقظ من

١ - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٤ / ٨٣)

النوم لأقطع ذلك عنه ، فلما سمعني ، سكت فلم أسمع له حسا (١)

وكان الربيع بن خثيم إذا وجد في قلبه قسوةً أتى منزل صديق له قدم مات في الليل، فنادى يا فلان بن فلان، يا فلان بن فلان. ثم يقول: ليت شعري ما فعلت، وما فعل بك، ثم يبكي حتى تسيل دموعه، فيعرف ذلك فيه إلى مثلها) (٢)

فأيها المحزون المكروب، المهموم المغموم، الخائف المبتلى، أبشر إن دخلت الجنة، فغمسة واحدة تكفي لغسل كل ما مضى من بلاء وشدة فما بالك بالخلود الأبدي، والنعيم السرمدي الذي لا ينقطع، ومجاورة الطيبين الكرام.

ويأيتها الظلوم الغشوم، القاتل السفاح، أبشر بما يسوءك -إن دخلت النار- فغمسة واحدة تكفي لتنسى لذات الدنيا، وشهوة السلطة، وسكرة الشهرة، وكنز الأموال، فضلا عن مكث لا يعلم مداه إلا الله مع عذاب مهين، وجوار خبيث، وأبواب موصدة، ونار موقدة.

عن أنس -رضي الله عنه -قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم -: ((يؤتى بأنعمة أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة، فيصبغ في النار صبغة)) (٣)، ثم يقال: يا ابن آدم، هل رأيت خيرا قط؟ هل مر بك نعيم قط؟ فيقول: لا والله يا رب، ويؤتى بأشد الناس بؤسا في الدنيا من أهل الجنة، فيصبغ صبغة في الجنة، فيقال له: يا ابن آدم، هل رأيت بؤسا قط؟ هل مر بك شدة قط؟ فيقول: لا والله، ما مر بي بؤس قط، ولا رأيت شدة قط)) (٤) رواه مسلم .

أين الذين كانوا في اللذات يتقبلون ويتجبرون على الخلق ولا يغلبون مزجت

١ - فضائل القرآن للقاسم بن سلام (٢/ ٢٧٠)

٢ - شعب الإيمان - البيهقي (٧/ ١٩)

٣ - أي: يغمس كما يغمس الثوب في الصبغ. النهاية ٣/ ١٠.

٤ - أخرجه: مسلم ٨/ ١٣٥ (٢٨٠٧) (٥٥).

لهم كؤوس المنيا فباتوا يتجرعون { ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون }  
مدوا أيديهم إلى الحرام وأكثروا من الزلل والآثام وكم وعظوا بمنثور ومنظوم  
من الكلام لو أنهم يسمعون { ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون }  
حمل كل منهم في كفن إلى بيت البلى والعفن وما صحبهم غيره من الوطن من  
كل ما كانوا يجمعون { ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون }  
ضمهم والله التراب وسد عليهم في ثراهم الباب وتقطعت بهم الأسباب  
والأحباب يرجعون { ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون } أين أموالهم والذخائر أين  
أصحابهم والعشائر دارت على القوم الدوائر ففيم أنتم تطمعون { ما أغنى عنهم ما  
كانوا يمتعون }

شغلوا عن الأهل والأولاد وافتقروا إلى يسير من الزاد وباتوا من الندم على  
أخس مهاد وإنما هذا من حصاد ما كانوا يزرعون { ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون }  
أين الجنود والخدم أين الحرم والحرم أين النعم والنعم بعد ما كانوا يربعون فيما  
يرتعون { ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون } لو رأيتهم في حلل الندامة إذا برزوا يوم  
القيامة وعليهم للعقاب علامة يساقون بالذل لا بالكرامة إلى النار فهم يوزعون { ما  
أغنى عنهم ما كانوا يمتعون }

يا معشر العاصين قد بقي القليل والأيام تنادي قد دنا الرحيل وقد صاح بكم  
إلى الهدى الدليل إن كنتم تسمعون { ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون } . (١)

عن جرير بن عبد الله قال افتتحنا بفارس مدينة فدللنا على مغارة ذكر لنا أن فيها  
أموالاً فدخلناها ومعنا من يقرأ بالفارسية فأصبنا في تلك المغارة من السلاح  
والأموال شيئاً كثيراً ثم صرنا إلى بيت يشبه الأزج عليه صخرة عظيمة فقلبناها وإذا

١ - التبصرة - لابن الجوزي (١ / ٣٠٤)

في الأزج سرير من ذهب عليه رجل وعليه حلل قد تمزقت وعند رأسه لوح فيه مكتوب فقرئ لنا فإذا فيه أيها العبد المملوك لا تتجبر على خالقك ولا تعد قدرك التي جعل الله لك واعلم أن الموت غايتك وإن طال عمرك وأن الحساب أمامك وأنت إلى مدة معلومة تترك ثم تؤخذ بغتة أحب ما كانت الدنيا إليك فقدم لنفسك خيرًا تجده محضراً وتزود لنفسك من متاع الغرور ليوم فاقتك أيها العبد الضعيف اعتبر بي فإن في معتبراً أنا بهرام بن بهرام ملك فارس كنت من أعلاهم بطشاً وأقساهم قلباً وأطولهم أملاً وأرغبههم في اللذة وأحرصهم على جمع الدنيا قد جبيت البلاد النائية وقتلت الملوك الساطية وهزمت الجيوش العظام وعشت خمسمائة عام وجمعت من الدنيا ما لم يجمعه أحد قبلي فلم أستطع أن أفتدي نفسي من الموت إذ نزل بي.

وقال محمد بن سيرين أخذت معاوية قرّة أي من البرد فاتخذ أغشية خفافاً فكانت تلقى عليه فلا يلبث أن ينادى ادفعوها فإذا أخذت عنه سأل أن ترد عليه فقال قبحك الله من دار مكثت فيك عشرين سنة أميراً وعشرين سنة خليفة ثم صرت إلى ما أرى وكان عبد الملك بن مروان يقول عند موته والله وددت أني عبد لرجل من تهامة أرعى غنبيات في جبالها ولم أكن ألي من هذا الأمر شيئاً. (١)

أخي المسلم تأمل في هذا المشهد الذي بين لك حقيقة الدنيا وأنها لا تنفع من خدمها وسعى في جمعها هذا المشهد بطله هارون الرشيد ذاك الذي ملك الأرض وملاها جنوداً. ذاك الذي كان يرفع رأسه. فيقول للسحابة: أمطري في الهند أو الصين. أو حيث شئت. فو الله ما تمطرين في أرض إلا وهي تحت ملكي.

هارون الرشيد. خرج يوماً في رحلة صيد فمر برجل يقال له بهلول.

١ - القبور لابن أبي الدنيا (ص: ١٧٨)

فقال هارون: عطني يا بهلول.

قال: أمير المؤمنين!! أين أبؤك وأجدادك؟

قال هارون: ماتوا.

قال: فأين قصورهم...؟

قال: تلك قصورهم.

قال: وأين قبورهم؟

قال: هذه قبورهم.

فقال بهلول: تلك قصورهم. وهذه قبورهم. فما نفعتهم قصورهم في قبورهم؟

قال: صدقت. زدني يا بهلول.

قال: أما قصورك في الدنيا فواسعة، فليت قبرك بعد الموت يتسع.

فبكى هارون وقال: زدني.

فقال يا أمير المؤمنين: هب أنك ملكت كنوز كسرى وعمرت السنين فكان

ماذا؟ أليس القبر غاية كل حي وتسال بعده عن كل هذا؟

قال: بلى.

ثم رجع هارون.... وانطرح على فراشه مريضاً.... فلما حضرته الوفاة.. وعين

السكرات.... صاح بقواده وحجابه: اجمعوا جيوشي.. فجاءوا بهم....

بسيوفهم.... ودروعهم.... لا يكاد يحصى عددهم إلا الله.... كلهم تحت قيادته

وأمره.. فلما رأهم. بكى. ثم قال: يا من لا يزول ملكه.... ارحم من قد زال

ملكه.... قال: أحضروا لي أكفاناً.... فأحضروا له.... فقال: احضروا لي قبرا....

فحضروا له.... فنظر إلى القبر وقال: ما أغنى عني ماليه... هلك عني سلطانيه....

ثم لم يزل يبكي حتى مات (١)

سل الخليفة إذ وافت منيته أين الجنود أين الخيل والخول  
أين الكنوز التي كانت مفاتها تنوء بالعصبة المقوين لو حملوا  
أين الجيوش التي أرصدها عدداً أين الحديد وأين البيض والأسل  
لا تنكرون فما دامت على أحد إلا أناخ عليه الموت والوجل

والله إنه مشهد رائع... وحوار كله عبر وعظات وتذكرة لمن أراد أن يتذكر أو  
أراد شكوراً... أنا أروي لكم هذا المشهد في هذه الجمعة لأننا أصبحنا نرى دنيا  
يأكل بعضها بعضاً...

لأننا نرى الكثير من المسلمين في دنيا اليوم قد اشتغلوا بأمر الدنيا وتركوا أمر  
الآخرة... اشتغلوا بخدمة المخلوقين وتركوا خدمة الخالق... اشتغلوا بتزوين  
ظواهرهم وتركوا تزوين بواطنهم اشتغلوا بعيوب الناس وتركوا عيوب أنفسهم...  
اشتغلوا بعمارة القصور وتركوا عمارة القبور...

أحببت أن أجعل هذه الجمعة مواعظ... أذكر فيها إخواني بأن الدنيا هي  
مزرعة الآخرة فلا بد على كل مسلم أن يتخذ له زاداً يوصله إلى الآخرة من قبل أن  
يأتي الذي يتمنى أن يعود إلى الدنيا لكي يتزود من الطاعة فلا يسمح له....

واسمع إلى كتاب الله وهو يحدثنا عن هذه الحقيقة فيقول الله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا  
جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ \* لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ  
هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمٍ يُبْعَثُونَ ﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠]

قال أهل التفسير عن هذه الآية: قال قتادة: (ما تمنى أن يرجع إلى أهله وعشيرته

ولا ليجمع الدنيا ويقضي الشهوات، ولكن تمنى أن يرجع ليعمل بطاعة الله، فرحم الله امرأً عمل فيها يتمناه الكافر إذا رأى العذاب).

وهذا سيدنا الحسن البصري -رحمه الله- رأى شيخاً في جنازة، فلما فرغ من الدفن، قال له الحسن: يا شيخ! أسألك بربك... أتظن أن هذا الميت يؤدُّ أن يُرد إلى الدنيا فيتزود من عمله الصالح.. ويستغفر الله من ذنوبه السالفة؟ فقال الشيخ: اللهم نعم... فقال الحسن: فما بالناس لا نكون كلنا كهذا الميت!! ثم انصرف وهو يقول: أي موعظة ما أنفعها لو كان بالقلوب حياة... ولكن لا حياة لمن تنادي!!

إذا قسى القلب لم تنفعه موعظة كالأرض إن أسبخت لم ينفع المطر

ما نفعتهم قصورهم في قبورهم: ومن المشاهد التي تجعل العبد ينزجر ولا يتكالب على حطام الدنيا مشهد عبد الملك بن مروان بن الحكم، خامس الخلفاء الأمويين. كان من أعظم خلفاء بني أمية، لقب ب (أب الملوك) لأن أربعة من أبنائه تولوا الخلافة من بعده (الوليد -سليمان- يزيد الثاني- وهشام)، كان واسع العلم متعبداً ناسكاً شجاعاً قوياً، توسعت الدولة الأموية في عهده وازدهرت وكانت دمشق عاصمة الدولة منارة للعلم وأعظم مدن العالم الإسلامي.

لما نزل به الموت... جعل يتغشاها الكرب.... ويضيق عليه النفس.. فأمر بنوافذ غرفته ففتحت فالتفت فرأى غسلاً فقيراً في دكانه. فبكى عبد الملك ثم قال: يا ليتني كنت غسلاً... يا ليتني كنت نجاراً... يا ليتني كنت حمالاً... يا ليتني لم أَل من أمر المؤمنين شيئاً... ثم مات... هذا حال الصالحين من هذه الأمة!! فماذا سيقول الذي ظلم العباد ونشر الفساد؟ ماذا سيقول الذي زور وأكل حقوق الآخرين؟ ماذا يقول الذي قطع صلته بالمساجد، والذي ربي أولاده على الفساد؟!

**الخطبة الثانية**

**أما بعد:**



إخواتاه هل وقفتن يوماً على المقابر ورأيتن ما رأى بلهول رحمه الله - هذا مالك بن دينار - رحمه الله - يقول: أتيت المقابر يوماً لأنظر في الموتى واعتبر، وأنفكر فيها واتعظ فجعلت أجول بين المقابر وأنشد:

أتيت القبور فساءلتها أين المعظم والمحتقر؟!

وأين المذل بسلطانه وأين القوي على ما قدر؟!

وإذا بصوت يجيني:

تفانوا جميعاً فما مخبر وماتوا جميعاً ومات الخير!!

تروح وتغدو بنات الثرى فتمحو محاسن تلك الصور!

فيا سائلي عن أناس مضوا أما لك فيما مضى معتبر؟!

قال مالك: فنظرت فإذا بهلول بن عمر المجنون قاعد بين القبور وهو ينظر إلى السماء فيبتهل (أي يدعو ويتضرع إلى الله) وإلى الأرض فيعتبر (أي يتعظ) وعن يمينه فيضحك؟ وعن يساره فيبكي؟

فقلت له: السلام عليكم يا بهلول.

فقال: وعليك السلام يا مالك بن دينار.

فقلت له: أراك قاعداً بين القبور.

فقال: قعدت عند قوم لا يؤذونني، وإن غبت عنهم لا يغتابوني.

فقلت له: أراك تنظر إلى السماء فتبتهل وإلى الأرض فتعتبر وعن يمينك

فتضحك وعن يسارك فتبكي؟

فقال لي: يا مالك:

إذا نظرت إلى السماء تذكرت قوله تعالى ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ

﴿الذاريات: ٢٢﴾ فحَقَّ لمن سمع هذه الآية أن يبتهل ...

وإذا نظرت إلى الأرض تذكرت قوله تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ [طه: ٥٥] فحَقَّ لمن سمع هذه الآية أن يعتبر ...

وإذا نظرت عن اليمين تذكرت قوله تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ \* فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ \* وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ \* وَظِلِّ مَمْدُودٍ \* وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ \* وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ \* لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ \* وَفُرْشٍ مَّرْفُوعَةٍ \* إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنِشَاءً \* فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا \* غُرْبًا أَتْرَابًا \* لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ \* ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَى \* وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ [الواقعة: ٢٧ - ٤٠] فحَقَّ لمن سمع هذه الآيات أن يضحك ...

وإذا نظرت إلى الشمال تذكرت قوله تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ \* فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ \* وَظِلِّ مِّنْ يَّخْمُومٍ \* لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ \* إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ﴾ [الواقعة: ٤١ - ٤٥] فحق لمن سمع هذه الآيات أن يبكي ....

### ما نفعتم قصورهم في قبورهم

ذكر القرطبي:

أن أحد المحتضرين ممن بدنياه انشغل وعره طول الأمل لما نزل به الموت واشتد عليه الكرب اجتمع حوله أبناءه .... يودعونه ..... ويقولون:

قل لا إله إلا الله .... فأخذ يشهق .... ويصيح .... فأعادوها عليه.

فصاح بهم وقال:

الدار الفلانية أصلحوا فيها كذا ..... والبستان الفلاني ازرعوا فيه كذا.

والدكان الفلاني اقبضوا منه كذا .... ثم لم يزل يردد ذلك حتى مات.

نعم .... مات .... وترك بستانه ودكانه .... يتمتع بهما ورثته .... وتدوم عليه حسرته.

وذكر ابن القيم:

أن أحد تجار العقار.... ذُكِرَ بلا إله إلا الله عند احتضاره فجعل يردد:

هذه القطعة رخيصة..... وهذا مشترى جيد.... وهذا كذا.... وهذا كذا

.... حتى خرجت روحه

وهو على هذا الحال....

ثم دفن تحت الثرى.... بعدما مشى عليه متكبراً.... قد جمع الأموال....

وكثر العيال.... فما نفعوه في قبره ولا ساكنوه

الدعاء.....



## الفهرس

- المقدمة..... ٢
- (١) أولئك الأكياس..... ٤
- (٢) لماذا يكره ابن آدم الموت؟..... ١٠
- (٣) الموت الأبيض..... ٢١
- (٤) السكرات عبر وعظات..... ٣٢
- (٥) رحلة الأشقياء إلى دار العناء..... ٤٠
- (٦) بشائر المؤمنين والمؤمنات عند الممات (١)..... ٥٠
- (٧) بشائر المؤمنين والمؤمنات عند الممات (٢)..... ٥٥
- (٨) تزكية النفوس المؤمنة بأسباب حسن الخاتمة..... ٦٢
- (٩) تحذير النفوس المؤمنة من أسباب سوء الخاتمة..... ٧٣
- (١٠) الابتلاءات الخمس في القرآن الكريم..... ٨٢
- (١١) ويل لك يا آكل الميراث..... ٩٣
- (١٢) الميراث الحرام..... ١٠٤
- (١٣) تحذير الصفوة من أدران الغفلة (١)..... ١١٦
- (١٤) أسباب الغفلة وعلاجها (٢)..... ١٢١
- (١٥) إتحاف الأحباب بروائع الصبر والاحتساب..... ١٣١
- (١٦) تسلية المصاب عند فقد الأحباب..... ١٣٧



- ١٤٨..... شرح الصدر بأهوال القبر. (١٧)
- ١٥٩..... الناجون من عذاب القبر. (١٨)
- ١٦٧..... مشاعر المؤمنين عند رؤية الجنائز. (١٩)
- ١٧٦..... أسرار الجنائز. (٢٠)
- ١٨٣..... آداب الجنائز. (٢١)
- ١٩٢..... آداب القبور. (٢٢)
- ١٩٩..... أمنيات الأموات. (٢٣)
- ٢٠٧..... ٢٤- أثارك بعد موتك؟! (٢٤)
- ٢١٥..... لماذا يختار الميت الصدقة لو رجع للدنيا؟ (٢٥)
- ٢٢١..... العقد الفريد في بيان منزلة الشهيد وأحكام. (٢٦)
- ٢٣١..... القول السديد في بيان صفات الشهيد. (٢٧)
- ٢٤٠..... ما نفعتهم قصورهم في قبورهم؟ (٢٨)

